(١٢٨)

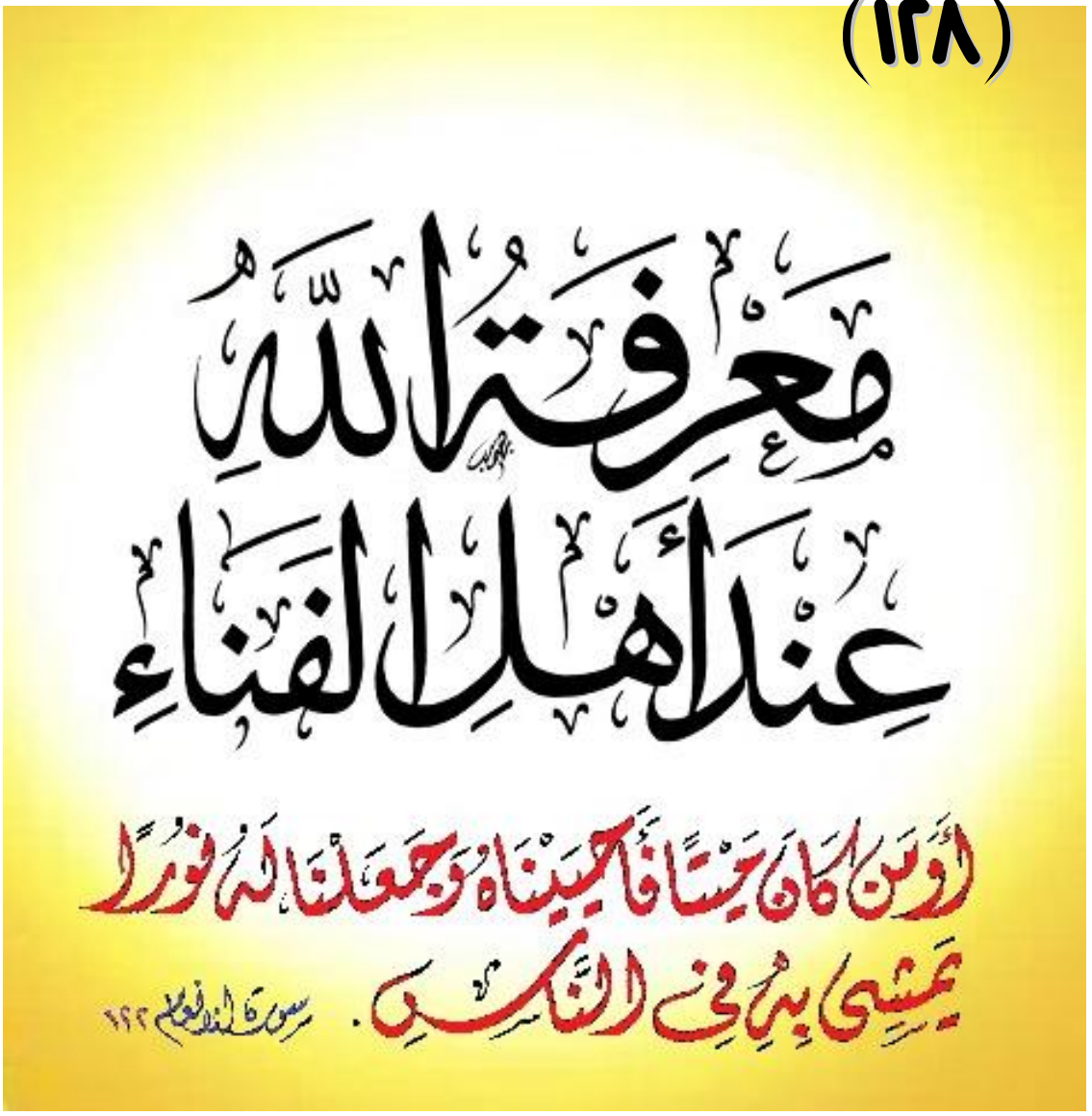

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٨آل عمران).

الكتاب	معرفة الله عند أهل الفناء
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	٢٠ أغسطس ٢٠٢٠م،١ محرم ١٤٤٢هـ
كتاب رقم	١٢٨
سلسلة	دراسات صوفية معاصرة الكتاب ١٧
الداخلى	٢٤٠ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إيداع محلى	٢٠٢٠/١٣٦٠٨
ترقيم دولى	٣١٠ - ٩٠٧٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨
بار كود	9 789779 075310 13608
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله الذي معرفته بسابق حبه سر وداده وقربه، والصلاة والسلام على كنز حبه وفيض وداده سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه، وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين، وبعد ...

فإن أحرص ما يحرص عليه أهل الصفاء والنقاء ممن عمر الله قلوبهم بالنور والضياء والبهاء، هو معرفة الله تبارك وتعالى المعرفة العينية الشهودية، ولا تكون إلا بفضل من الله لمن تعرض لذلك الفضل الإلهي،

والتي إليها الإشارة في الآية القرآنية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٨آل عمران).

وعن أهميتها يقول سيدي أبوالحسن الشاذلي ﷺ لتلميذه الأول ووارث أحواله سيدي أبي العباس المرسي ﷺ: "اعرف الله وكن كيف شئت"، فمن طلبته العناية لذلك يتأهل لهذا المقام بالتعرض لذلك، يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ في هذه العناية:

داع العناية من أزل يناديا ... والمصطفى لصراط الله يهدينا
قلنا نعم أمة المختار من مُدحت ... فاقرأ أخي (كنتُم) تعطى أمانينا
الحب مبدأنا والوجه قبلتنا ... والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا
قد أكرم الله بالحسنى لنا أزلا ... حتى خصصنا بخير الرسل هادينا
هذا هو الشرف الأعلى لمن سبقت ... له العناية من إحسان بارينا

ويقول الإمام أبو العزائم أيضا واصفاً التعرض لفضل الله وأثره في نوال عطاءاته وهباته تبارك وتعالى وهو يسوق الحديث هنا على لسان الحضرة الإلهية:

إذا تعرَّض عبدي ... لنيل فضلي تحلّى
بحلة الحسن مني ... وبالشهود تملّى
يحبه كل خلقي ... والحب مني قبلا
يحبه كل قلب ... مطهَّرٌ لي صلّى
وإن نظرت بعيني ... للعبد قد صار مولى
وإن فتحت كنوزي ... أغنيت قولا وفعلا
ناديت إني قريبٌ ... هلا تقربت هلا
إليك أقرب منك ... بمحكم الذكر يتلى

فالعارفون المحققون غايتهم العظمى هي رؤية وجه الله ﷻ، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية يجاهدون أنفسهم في الله تعالى حق الجهاد، والغاية من هذا الجهاد هي تهذيب النفس وطهرتها وتصفية القلب وتنقيته ليصلح للمشاهدة العلية ، فإذا قام العبد بتوفيق الله بهذه المهمة الجهادية ونال رضا مولاه حاز الشرف الأعلى في القرب من مولاه :

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٤الجمعة).

حول هذه المعاني كانت هذه المحاضرات التى ألقيناها على الخاصة من الأحباب بعضها في لقاءات خاصة بمجمع الفائزين بالمقطم، وبعضها على برنامج زووم وهو احدى وسائل التواصل الإجتماعي الإلكترونية العصرية، نظرا لتعذر اللقاءات المباشرة بسبب انتشار فيروس كورونا. وقد جمعناها بعد تفريغها في كتاب راجعناه ونقحناه وأسميناه (**معرفة الله عند أهل الفناء**).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ علينا وأحبابنا أجمعين بالصفاء القدسي حتى يكون لنا شميم من وراثة مقام ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف)، ولله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الجميزة – السنطة – الغربية، في يوم عرفة المبارك الموافق

الخميس ٩ من ذي الحجة ١٤٤١هـ، ٣٠ من يوليو ٢٠٢٠ م .

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com، البريد الإليكترونى:
fawzyabuzeid@hotmail.com, ،fawzy@Fawzyabuzeid.com
fwzyabuzeid٤٨@gmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com
من روابط صفحات الشيخ على الفايس بوك:
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid
https://www.facebook.com/sfaa, https://www.facebook.com/shbabmoaser
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library, https://www.facebook.com/khotab
https://www.facebook.com/alsoufia, https://www.facebook.com/esharatelaarfeen

المجلس الأول

خطة المسلم للآخرة

خطة المسلم للآخرة[١]

من علامات الساعة التي ظهرت في هذا الزمان كثرة موت الفجأة، وزاد هذا الأمر، فمن منا معه ضمان أنه لن يتعرض لهذا الأمر؟ لا أحد.

ومن منا يعرف ولو تقريباً متى سيسافر؟ ومتى ميعاد الحجز؟ لا أحد، وما الخُطة التي عملتها حتى إذا خرجت من الدنيا أكون من المكرمين.

فالناس هناك أقسام، منهم المقربين، ومنهم أهل اليمين، وهناك من هم في الدنيا يحافظون على الصلاة والصوم والعبادات والطاعات، ولكنهم مقصرين في حقوق العباد، ويروا أن ذلك ليس فيه شيء.

لكن كما ورد بالأثر أن العبد يؤمر به إلى الجنة بعد انتهاء الحساب بينه وبين ربه، ثم ينادي منادي الله ﷻ: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج، فيخرج الخصوم، فمنهم من يتعلق برقبته، ومنهم من يتعلق بذراعه، ومنهم من يتعلق بحقويه، والكل يقول: يا رب خذ لي بحقي من هذا، فيأمر الله ﷻ الملائكة أن لا يدخل الجنة حتى يرضي خصماءه.

منهم من يقول شتمني، ومن يقول سرقني، ومن يقول غشني، ومن يقول كذب عليَّ، وكلٌ يأتي بحجته، ومن الذي بلَّغهم؟ النيابة الإلهية، لأنه يوم الحق، وكل إنسان لا بد أن يأخذ حقه، فلا يدخل الجنة حتى يرضي خصماءه، يعني يجلس معهم ويأتي بمحاضر صُلح منهم، فيجلس ويترجَّى هذا، ويحاول مع هذا، ويتذلل لهذا، والكل هناك مفلس ويبحث عن الغائبة، فيقول له: كم تدفع؟ والحساب هناك بالحسنات !!!

فهذا يأخذ من حسناته، وهذا يأخذ من حسناته، فإذا انتهت حسناته وأعلن إفلاسه يقولون له: احمل مما علينا من السيئات.

وهذا ما حذَّرنا منه حضرة النبي، وللأسف هم كثير في هذا الزمان ..

فلم يكن موجوداً في عهد حضرة النبي إلا القليل، لكن في هذه الأيام زاد عن الحدِّ، ولذلك قال ﷺ:

---

١ الغربية – كفر المنشي ٢١ من محرم ١٤٤١هـ ٢٠١٩/٩/٢٠م

{ أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }[٢]

يظن أنه في الدنيا فارس زمانه، ويكون له مثلاً أخوات بنات ويحرمهم من ميراث أبيهم، ويقول لهم: ليس لكم شيء، والتي تطالب بحقها لن تكون أختي ولا أعرفها، ولا تزورني، وأنت بذلك تخدع نفسك، لأنها لو أخذت حقها في الدنيا فهذا مصلحه لك، لأنها ستأخذ حقها في الطين أو في المال وهي كلها أشياء فانية، لكنك يوم القيامة لن يكون معك إلا الحسنات، فماذا تفعل؟!!

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦فصلت) فلا بد لكل صاحب حق أن يأخذ حقه.

أو عنده قطعة أرض، ويتظاهر أنه يساوي حدود أرضه، ويأخذ جزء من أرض جاره، فماذا تأخذ في النهاية؟ قيراط أو ثلاثة قراريط، أو حتى نصف فدان، ولكن كيف تدفعه هناك؟! هذه الجريمة قد لا يحاسبك عليها أحد في الدنيا، إلا إذا حدثت مشكلة ويكون الخصم من الرجال الأقوياء، لكن لو كان ضعيفاً فأنت تستغله، وهذا الضعيف هو الذي تخاف منه، فقد كانوا يقولون:

(لا تخف إلا من الذي ليس له ناصر إلا الله)

فهذا الذي تخاف منه، لكن من كان له أنصار من الناس محامين، وله أولاد، وله أولاد عم، وله كذا وكذا، فهذا أمره سهل لأنه سيأخذ حقه في الدنيا، ولكن الذي ليس له نصير إلا الله، فستكون هذه مصيبة كبيرة يوم القيامة.

فلا بد للإنسان المسلم الذي يريد منزلة كريمة، أن يضع لنفسه وهو في الدنيا خُطة، فأنا على وشك أن أُحال على المعاش من الدنيا وما فيها، والذي يُحال للمعاش ماذا يفعل؟ يعمل خلوّ طرف أولاً من جميع الجهات التي في العمل، كذلك الأمر، أعمل

---

٢ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

خلو طرف من جميع ممن حولي، إن كان في الميراث، أو كان الجيران، أو كان الزوجة، أو كان الأولاد، أو كان الآباء والأمهات !!

فأُخلي طرفي من كل من حولي حتى لا يكون عليَّ شيءُ لأحد.

فلان ذهبت إليه ولم يرضى أن يسامحني، وحاولت معه، وأرسلت له فلان وفلان ولم يرضى، فما الحل؟ أنت عملت ما عليك، فاطمئن من هذه الناحية، والله سيرضيه، ولكن بعد أن تعمل ما عليك، وحضرة النبي قال في هذا:

{ رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلِمَتِي مِنْ أَخِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي، قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبَ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا، أَوْ لأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا، أَوْ لأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: اتَّقُوا اللهَ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ }[٣]

ولكن هذا شرطه:

أن أذهب إليه وأحاول أن أصلح ما عليَّ نحوه، لكن لو لم يذهب ليصالحه فهذا يُعرِّض نفسه للمساءلة أمام أحكم الحاكمين تبارك وتعالى، وليس هذا فقط، بل لن يوضع في كشوف الشفاعة لرسول الله ﷺ، قال ﷺ:

٣ الحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ

{ مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلا، فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ، مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ }[٤]

متنصلاً يعني معتذراً، فما دام أخاك جاء واعتذر لك فماذا تريد منه بعد ذلك؟! إذا عمل العبد كل شيء وقال: يا رب أنا تبت، فيقول له الله: وأنا قبلت، كذلك إذا جاءك أخوك معتذراً، فلم لا تقبل الإعتذار وينتهي الأمر؟! وذلك حتى يعيش الناس في سلام واطمئنان، وتخرج من الدنيا ليس عليك شيء لبني الإنسان.

لا بد للإنسان أن يجهز المكان الذي سيسكن فيه في الجنة، فليس لك هناك سكن بالإيجار، وليس هناك ميراث سيوزع وآخذ قطعة من أبي حتى ولو كان من كبار الأولياء، ويعطيني مكان في القصر لأعيش فيه، فلن يحدث هذا الكلام هناك، ولكن: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ (١١١النحل) لا بد أن تعمل.

فأنت الذي تشتري المكان، وتحدد الحي الذي تريده، تريده في جنة الفردوس فلها ثمن، أو تريده في جنة عدن فلها ثمن، أو تريده في جنة الخلد فلها ثمن، كل حي من أحياء الجنة له سعره، وأعلى الأحياء في السعر الحي الذي فيه سيد الرسل والأنبياء، ومعه الأنبياء والصحابة والصالحين، وهذا حي العظماء، وكما يقولون: (خذ الجار قبل الدار).

فلا بد أن أُحدد سكني، ولن يحدد لك أحد، فأنت الذي تحدد الحي الذي تسكنه في الجنة، وتنظر ما ثمنه في كتاب الله؟ والإعلانات كثيرة في القرآن وسُنَّة النبي العدنان، وسآخذ إعلان واحد، حضرة النبي قال:

{ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[٥]

حي الفردوس ما الملف الذي أقدّمه لله ليكون لي مكان فيه؟ أول سورة المؤمنون: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون) وهذه الورقة الأولى في الملف: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (٣المؤمنون) لا يتكلم إلا في الضرورات، ولا يتكلم هنا وهناك وفي كل مكان بدون داع، ولكن كلامه يكون بحساب،

٤ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ
٥ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

وقبل أن ينطق بالكلمة ينظر ويضعها داخل عقله، هل يُحرر لي بها شيك؟ أم يحرر لي بها محضر؟ الكلمة التي يحرر له بها محضر لا يُخرجها، ولو أخرجها لا يكون رجلاً حكيما، لكن قبل أن أُخرجها أُفكر فيها وأقدر وبهدوء، وهذا يسموه حكيم، ولذلك الحكيم الذي لا يتكلم بدون داع، ولكن الكلام يكون بحساب.

وبعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ (المؤمنون) فهؤلاء ماذا يأخذون؟ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ (المؤمنون).

بعد قراءة هذا الإعلان، والله أمرني أن أقرأه مراراً وتكراراً، فهل يكون لي حجة أن أخرج من هنا وأقول له: لماذا لم تعطني مكاناً في الفردوس الأعلى؟ سيقول لي: الشروط عندك، فلماذا لم تأت بملف ونحن نعطيك؟!! .. والجنة واسعة تسع الخلق جميعاً ومثلهم أضعافاً مضاعفة، فحضرة النبي يحكي عن أقل واحد سيدخل الجنة، يعني أقل واحد في الملك والأملاك، وهذا بعد أن يستوفي حسابه في النار، فيقول له الله:

{ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً }[٦]

من هذا؟

هذا آخر شخص سيدخل الجنة، بعد أن يخرج من السجون الإلهية في جهنم!!، فما بالك بالآخرين؟ هذا شيء واسع جداً، ففيها ما لا عين رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ولا تحاول أن تفكر في هذا الكلام، لأنه فوق التفكير، وفوق الخيال، وفوق الوهم، لأن هذا ملكوت رب العزة تبارك وتعالى، ولكن لا بد لي أن أعمل خُطة.

ما هذه الخُطة؟ أن أنظر في لائحة المعاصي والسيئات وأبعد عنها، ولائحة ظُلم العباد وأقي نفسي وأهلي شرها وأبعد عنها، وأنظر إلى لائحة الحسنات وأسارع فيها إلى الله تبارك وتعالى، حتى يأتي عليَّ يوم من الأيام فيكون وقتي كله طاعات وعبادات وحسنات لله تبارك وتعالى.

وهل نترك الدنيا ونجلس في المسجد؟! لا، فمن فضل الله علينا أن حضرة النبي قرب لنا الأمر فقال:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[٧]

عليك أن تجتهد حتى تطهِّر القلب، وتصفِّي النفس، وقبل كل عمل حتى – ولو كان للدنيا – تنوي نية طيبة لله، فإذا خرجت في الصباح لأسعى على المعاش ونيتي أن أكف نفسي وأولادي عن سؤال الناس، أدخل في قول سيد الناس:

{ مَنْ أَمْسَى كالا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ }[٨]

وكالاً يعني متعباً من عمله، والحديث الآخر:

{ إِنَّ مِنْ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَلَا الْوُضُوءُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا الْعُمْرَةُ قِيلَ: فَمَا يُكَفِّرُهَا؟ قَالَ: يُكَفِّرُهَا الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ }[٩]

هناك ذنوب لا يكفِّرها إلا السعي على المعاش، بشرط أن يكون السعي على عمل حلال، وأراعي الله في هذا العمل، فلا أخالف فيه الشرع، ولا أُغير الحلال بهواي وشهوات نفسي.

إذا لاعبت أولادي، ونويت نية طيبة أن أعمل ذلك لأُرفِّه عنهم حتى يحبوني، فيكون هذا عملاً صالحاً.

---

٧ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

٨ معجم الطبراني وابن أبي شيبة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

٩ معجم الطبراني وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ

فإذا نويت الاقتداء بحضرة النبي في مداعبة أحفاده، فهذا يكون عملاً رابحاً وناجحاً، فكان يلاعب الحسن والحسين، وكان يجعل نفسه جملاً ويركبان على ظهره، ويمشي بهما، فقال سلمان الفارسي ﷺ:

{ نِعْمَ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّتُكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَنِعْمَ الرَّاكِبانِ هُمَا } [١٠]

كان يفعل هذا آباؤنا وأمهاتنا، لماذا؟ لأنهم كانوا يقلدون حضرة النبي ﷺ. وأعتقد أنه لا يفعل ذلك أحد الآن، إلا نادراً.

وكان ﷺ على المنبر، وجاء الحسن يجري فتعثَّر وهو داخل من الباب فوقع، فأخذه الحنان العظيم الذي أعطاه له الله، ونزل من على المنبر وحمله واحتضنه، وعاد إلى المنبر مرة ثانية ليُكمل الخطبة، حتى يعلِّمنا الحنان والعطف الرحمة والشفقة على الأولاد.

الذي يفعل هذا مع أولاده ماذا يكون حال أولاده معه؟

سيحبوه حبا جماً ..

ولكن بشرط أن لا تزيد الرحمة والشفقة والمودة وتتحول إلى التدليل الممقوت الذي انتشر في هذه الأيام، فكل شيء له حد!

حتى لا يتطور إلى التدليل، فتجدهم لا يبالون بعملي، ولا يبالون إن كان معي ضيوف، فيدخلوا ويعطلوا المجلس، وكل يوم يريدون نقوداً ليشتروا بها طلبات لهم، لماذا؟ فهل هذه التربية الإسلامية؟ لا.

سيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ:

هاجر من مكة إلى المدينة وكان تاجراً، ورسول الله ﷺ علَّم المؤمنين الأنصار في المدينة الإيثار، وعلم المؤمنين المهاجرين العفة، فلا بد أن يكون عفوف النفس ولا يطمع في أخيه ..

فآخى بينه وبين صحابي كان من الأغنياء في المدينة فقال له: سأقسم البيت نصفين واختر ما يعجبك، والأرض نصفين واختر ما يعجبك، وهل أنت متزوج؟ قال: لا، قال له: أنا متزوج امرأتين فاختر ما تعجبك أطلقها وبعد أن تبلغ عدتها تتزوجها.

---

١٠ كنز العمال للمتقي الهندي، ومجمع الزوائد للهيثمي عن سلمان الفارسي ﷺ

والرسول علَّمه العفة فقال له:

بارك لك في بيتك، وبارك الله لك في أرضك، وبارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في زوجك، ولكن دلني على السوق.

يعني قل لي أين السوق؟

وأنا أذهب إليه وأسعى وأحصل على قوتي بنفسي، وهذه التي نحتاجها، ... وهي عفة الأنصار والمهاجرين!

وعندما عرف النبي حكايته سُرَّ لأن تعاليمه أثمرت، ودعا له بالبركة، فقالوا:

لو تاجر في التراب لربح فيه ذهباً، لأنه أخذ دعوة النبي، وهذا بسبب العفة.

هذا الرجل كان تاجراً وتزوج أربعة، وعند انتقاله إلى جوار الله أرادوا توزيع التركة، والأربع نساء يشتركن في الثُمن، فوجدوا الثُمن للأربع نساء كان ثمانين مقطفاً من الذهب، ومع ذلك كان يعيش في حياته العيشة الوسطية التي أمرنا بها الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣البقرة).

فقالوا له: لم لا توسع على نفسك؟

قال: لو وسعت على ابنتي الآن ثم تزوجت رجلاً فقيراً فكيف تعيش معه؟!

فلا بد أن تعيش في الوسطية حتى تستطيع أن تُكيِّف نفسها في كل ظروف تتعرض لها.

فعندما أُعطي ابني وهو لا يزال طفلاً صغيراً في اليوم عشرين أو ثلاثين جنيهاً، وعوَّدته على ذلك، فكم سيطلب بعد أن يكبر؟!! فلو قال لي: أريد كذا، وقلت له: لا، سيبكي لأنه يعرف أنني سأسارع وأعطيه ما يريد!!

لكن أنا أربيه كما يريد الله، وليس كما يريد هو ..

لأننا كلنا عبيد لله تبارك وتعالى.

فلابد للإنسان أن يعمل لنفسه خُطة بحيث:

{ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ }[١١]

هذا في الدنيا ..

وليس معنى ذلك أن أترك ورثتي أغنياء وأخرج أنا إلى الآخرة فقيراً ..

لكن لا يضيعوني ولا أضيعهم، فأعمل لنفسي زاد عند خير العباد، حتى أكون ممن يقول الله فيهم:

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٦٩الأحزاب)

أكون من الوجهاء هناك ...

أو: ... ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ (٤٥آل عمران).

هذه الخطة من الذي يعملها؟ أنا، إذا عرفت أنني مسافر إن آجلاً أو عاجلاً فلا بد أن أستعد للقاء الله.

لأنه لن ينفع بعد العمر الطويل ويأت الموت وأقول: يا رب اتركني ساعتين حتى أستغفر وأتصدق، فلن تنفع الصدقة عند الموت

{جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ }[١٢]

ولِمَ لم تذكر في الأيام الخالية؟

فلا بد للإنسان المسلم أن يضع لنفسه خُطة للآخرة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا ما قدَّمنا منها وما أخَّرنا، وما أسررنا منها وما أعلنَّا، ما أظهرنا منها وما أبطنا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

[١١] البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

[١٢] البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

المجلس الثاني

معرفة الله ﷻ

وسائل المعرفة

الحاجة إلى الجهاد

حجج المحجوبين

بغية المؤمنين العظمى

أول فريضة فرضها الله[١٣]

الطريق إلى المعرفة

تعاريف التصوف

وسائل التصفية

ذكر الله

أوصاف العبودية

١٣ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٨ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١٢/٥م

مـعـرفــة الله ﷻ[١٤]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي اختارنا من عباده الخواص، وفضلنا على كثير من خلقه بمعرفته وقربه ووده، والصلاة والسلام على ذات حبيبه وأوصاف نبيه، سيدنا مُحَمَّد الذي جعله الله ﷻ باب الوصول لحضرته، وسر الارتقا في ميادين معرفته، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار الأبرار، وكل من تبعهم على هذا الهُدى إلى يوم القرار، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

ما أول فريضة فرضها الله تبارك وتعالى على خلقه؟ وكيف يُتِمُّون القيام بها؟

أسوق في هذا المجال قصة نُسبت إلى سيدنا بشر الحافي ﷺ، وسُمي الحافي لأنه كان مستهتراً في صبوته وشبابه، فلما جاء أوان صُلحه مع الله خرج ماشياً حافياً ولم يلبس نعليه، وأصَّر أن يكمل حياته يمشي حافياً ويقول: اصطلحتُ مع ربي حافياً، فلا ألبس حذاءاً قط.

هذا الرجل مع شدة اشتغاله في بدء حياته وصبوته باللهو والخلاعة، إلا أنه عندما تاب رفض الزواج، وعرضوا عليه الزواج مرات وكرات ولكنه رفض، وعندما سأله بعض المقربين منه: لِمَ لا تتزوج والزواج سُنَّة، كما قال ﷺ:

{ النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي }[١٥]

فقال ﷺ: **((شغلتنا الفريضة عن السُنَّة))** أنا مشغول بالفريضة، وليس عندي وقت أؤدي فيه السُنَّة.

ما هذه الفريضة؟ قالوا في هذه الفريضة: معرفة الله أول فريضة ولا فريضة قبلها.

أول فريضة نحن كلنا مكلفون بها هي معرفة الله، والدليل واضح في حديث جبريل مع رسول الله ﷺ، عندما سأله عن الإسلام، فقال ﷺ:

{ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ،

---

١٤ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١١/٢٨م

١٥ سنن ابن ماجة عن عائشة ﷺ

وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ }[١٦]

أول الخمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّداً رسول الله، وكلام الله وكلام رسول الله ﷺ الذي هو وحيٌ يُوحى لا تأخذه على علاته، لكن حضِّر قلبك وروحك لتفقه إشاراته التي ساقها النبي ﷺ في عباراته، فهي عبارات فيها إشارات، لم يقُل الإقرار بأنه لا إله إلا الله، فنحن كلنا نُقرُّ.

نحن في الصلاة عندما نقول: أشهد أن لا إله إلا الله، هل هذا إقرار أم شهادة؟ إقرار، وليس شهادة، فالشهادة شرطها أن أكون قد رأيتُ وعاينتُ وسمعتُ، وإلا يكون شاهد زور.

إنسان لم ير الحادثة التي حدثت ولم يسمع ما دار بين الطرفين، فهل يجوز له أن يشهد على الواقعة أمام القاضي أو أمام لجنة المصالحة؟ لا، لأنه لم ير.

فكأن شهادة أن لا إلا إلا الله شيء غير عادي، فلا بد أن تكون شهادة، والله ﷻ وصف أهل هذه الشهادة وجعلهم في مقام عال، فقال عز شأنه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ (١٨آل عمران) **هل من حصَّل العلم في عالم الدنيا من الكتب وصلوا إلى هذه المرتبة؟ لا، فأولو العلم هم الذين وهبهم العليم من عنده ومن لدنه العلم، وهو الذي أهَّلهم لهذا المقام، وهم ثلة قليلة في الكون كله.**

فالشهادة لا بد أن تكون عن عيان، فكيف نرى الحضرة الإلهية؟ هل بهذه العين الحسية؟ لا، لأن العين الحسية تموت، وكل شيء يموت لا يشهد الحي الذي لا يموت.

وسائل المعرفة

لكن من حكمة الله ﷻ أنه أعطى كل واحد منا وسائل المعرفة، نتعلم ونتعرف ونعرف بثلاث أشياء:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ (٣٦الإسراء).

والسمع هنا يقصد به السمع من الداعي الذي أرسله الله، والذي قال فيه في

[١٦] صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب ﷺ

كتاب الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم) فهذا السماع الذي نحن مأمورون به، وعندما نسمع كلنا ماذا نقول؟ ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٢٨٥البقرة) ثم نتذكر أننا كلنا قصور وتقصير، ولن نبلغ الغاية في الطاعة للبشير النذير فنقول: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥البقرة) لأنه كما قيل:

مـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــط؟ ومـــــن لـــــه الحُســـــنى فقـــــط؟

الشيخ عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه تاه في أودية مكة وصحاريها لمدة خمس عشرة سنة، يمشي ولا يدري لأنه كان مجذوباً، فذات مرة أخذ يُردد:

مـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــط؟ ومـــــن لـــــه الحُســـــنى فقـــــط؟

قال: فسمعت قائلاً يقول:

محمد الهـــــــادي الـــــــذي عليـــــه جبريـــــل قـــد هـــبط

هل يوجد أحدٌ غيره؟ لا، فهو الكامل فقط، لكن هل أحد منا حتى قرُب من الكمال؟ لا، فهو وحده ﷺ الذي اختص بالكمال الذاتي.

فعندما نسمع نسمع من سيد الأولين والآخرين، أو نسمع مِن مَن أقامه مقامه من الصادقين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) يعني ابقوا مع هؤلاء الصادقين، لأنه سيكون منهلاً واحداً لم يتغيَّر ولم يتعكَّر ولم يتبدَّل وهو منهج الهُدى والهدي الإلهي.

والبصر لا يقصد به القراءة والاطلاع، لأنه أيام حضرة النبي ﷺ عندما كان فاتحاً جامعته التي فيها أصحابه المباركين، هل كان فيها مكتبة أو كتب أو شيء يطالعوه أو يقرأوه؟ لا، ففي أي شيء كانوا يطالعون؟ ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (١٠١يونس).

يقرأون آيات الله التي في الآفاق، وآيات الله التي في الأنفس، لأنها ستوصل إلى معرفة الله ﷻ، ولذلك قالوا:

من كانت معرفته من الكتاب، فالخطأ عنده أكثر من الصواب.

لأن الكتاب فيه رأي فلان ورأي فلان، وجائز يميل لهذا الرأي، وقد يتنكر له ويميل لرأي آخر، لكن أنت تريد أن تتعلم علم اسمه علم اليقين: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ (٥التكاثر) فماذا تفعل؟

وإن نظـرت عينـي إلـى أي كـائنٍ تغيـب المبـاني والمعـاني سـواطع
لأن المعـاني الشـمس، والكـل أنجـمٌ إذا أشـرقت فـالنجم بالشـمس طـالع

أنظر في الآفاق: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٣٥النور) فهذه المعرفة، لأن الوجود كله عاليه ودانيه شاشة، ماذا تعرض؟ نور الله المنتشر في السماوات، وفي الكائنات العلويات، وفي الأرض، وفي جميع المخلوقات.

وهذه بداية المعرفة، يقول فيها سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ، وكان سائحاً في الصحراء: ((أخذني الحال فشهدتُ كل ذرات الرمال نور)) وأراد ربه أن يرده إلى المقام الأكمل وهو مقام العبودية، قال: ((فأخذني حصر البول، فاحترتُ أين أتبول؟)) فكل ماحوله نور، فهل يتبول على نور؟ لا ينبغي ذلك لأن هذا ليس أدباً مع حضرة الله، قال: ((فسألت الله تبارك وتعالى أن يحجبني عن هذا المشهد)) لأنه غير قادر أن يتحمل حصر البول، قال: ((فنوديت: لو سألتنا بكل أنبيائنا ورسلنا ما حجبناك، ولكن سلنا أن نقويك)) لأن من يحبه الله يدله على الأفضل والأحسن، فيقول: ((فسألتُ الله تبارك وتعالى أن يقويني، فشهدتُ بالعينين المشهدين)).

أصبح أبو العينين، عين الرأس ترى الكائنات، وعين القلب ترى النور الساطع المنبث في هذه الكائنات، وهذا كله في حال واحد، وهذا هو العجب العجاب الذي يحدث للأكابر من الأوتاد والأنجاب والأقطاب، لأنه يرى هذا وهذا، وبين الناس لا يظهر إلا بالعبودية والذل والانكسار والتواضع لأن هذا رداء حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فلا يفتخر علينا، ولا يتباهى في وسطنا، ولا يدل علينا أنه يرى ونحن لا نرى، فلا شأن له بهذه الأمور، لأنه فات هذه المقامات كلها وأصبح على قدم الحبيب الأعظم ﷺ.

فالبصر الذي إذا نظر ينظر بنور الله إلى نور الله المنبث في خلق الله، ولا يوجد مؤمن ليس له نصيب في هذا المقام، حتى قال حبيبنا ﷺ حتى نفرح كلنا:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[١٧]

وفي رواية أخرى:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }[١٨]

حتى النطق أيضاً يكون موفق فيه، ولذلك يكون حكيماً قلما يُخطئ لأن الألفاظ التي تخرج معها العناية الإلهية والإكرمات الربانية من الله ﷻ.

ولو لاحظت الحديث: لم يقُل اتقوا فراسة المحسن، ولكنه قال: المؤمن، فكيف يكون المحسن؟! المحسن في الحديث الآخر القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[١٩]

وهل هذا مثل هذا في المقام؟ لا، هذا المقام الذي قال فيه الله لسيدنا رسول الله: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ (٣٨مريم) لا تسمع لنفسك أنت، ولكن اسمع بالله وأبصر بالله ﷻ، لأنه وصل إلى مقام المعرفة التامة بالله ﷻ، فما بالنا بالموقن؟!! هذا مقام لا يُباح فيه كلام، لأنه لا يتذوقه جميع الأنام، وإنما غاية ما يُقال فيه: اصحب أهله وذُق تعرف.

والقلب يدرك كل ما غاب عن العين، فالذي يريد أن يرى عالم الملكوت، بماذا يراه؟ بالقلب: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٧٥الأنعام) والملكوت هو الشيء الذي لا يُرى بعين الرأس، وهل هو وحده؟ لا، ولكن: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) الموقنين كلهم يصلون إلى هذا المقام.

كل شيء في الوجود له مُلك وله ملكوت:

الملك هو الظاهر الذي تراه العين، والملكوت هو الباطن الذي لا تراه إلا عين القلب وعين الفؤاد، فكل شيء تراه حتى الجمادات وحتى النباتات، لأن كل شيء في الوجود يسبح الله، فهل الأذن تسمع التسبيح؟ لا، أُناسٌ معدودون هم الذين يسمعون،

---

١٧ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٨ جامع البيان للطبري عن ثوبان ﷺ
١٩ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

وحضرة النبي ﷺ ضرب لأصحابه المثال، فعن أبي ذر ﷺ قال:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا } [٢٠]

يريد أن يعرّفنا أن من وصل إلى هذا المقام هؤلاء فقط، ولذلك سألهم كما ورد ببعض الأثر: ((يا أبا بكر كيف حالك مع الله؟ فيقول ﷺ: ما نظرتُ إلى شيء إلا ورأيتُ الله قبله، وأنت يا عمر كيف حالك مع الله؟ فيقول: ما نظرتُ إلى شيء إلا ورأيتُ الله بعده، وأنت يا عثمان كيف حالك مع الله؟ يقول: ما نظرتُ إلى شيء إلا ورأيتُ الله فيه، وأنت يا علي كيف حالك مع الله؟ فيقول: ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه)) (أورد صاحب تفسير مواهب المواهب قول على ﷺ).

ولذلك يقول سيدنا أبو بكر عن نفسه: ((لو كُشف عني الحجاب، ما ازددتُ يقيناً)) لأنه يرى ما يراه الذين انكشف عنهم الحجاب، فلو كشف الحجاب لن يزداد يقيناً، وبالطبع أغلب الناس الذين يعيشون في الدنيا لا يُكشف عنهم الحجاب إلا لحظة الخروج من عالم الدنيا: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق).

لكن المخصوصين الذين يريدون أن يكونوا من الثُلة المباركة حول أمير الأنبياء والمرسلين، فهؤلاء ليس عندهم صبر للعيش في الدنيا في هذا الحجاب، فيريد أحدهم أن ينكشف عنه الحجاب في لمح البصر، حتى يتمتع بهذا الجمال المهاب للعلي الوهاب ﷻ، وكان يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

أبــداً إلــى هــذا الجمــال حنينــي لا صــبر لــي حتــى تــراه عيــوني

يريد أن يصل إلى مقام: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (٣البروج) يريد أن يدخل في مقام

٢٠ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر ﷺ

المعرفة اليقينية، وهذه المعرفة تحتاج إلى تجهيز آلة المعرفة التي أعطاها لنا رب العالمين وهي القلب، والقلب ليس العضو الذي في الجزء الشمالي من الجسم الذي يتلقى الدم، ويأخذ منه ثاني أكسيد الكربون ويعطيه الأكسجين، ويضخه مرة ثانية في أجزاء الجسم عن طريق الأوردة والشرايين، لأن هذا القلب موجود حتى في الحيوانات.

لكن هذا القلب حقيقة معنوية إلهية لا يدري سرها ولا ينكشف أمرها إلا بإذن من رب البرية، وهي الواسطة بين حقائق الإنسان، وبين جسم وهيكل ومباني الإنسان.

فهو جسم، وهل هذا الجسم يتحرك من تلقاء نفسه؟ لا، بل يُحرِّكه المحرك ﷻ لأنه هو الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وهذا الجسم كيف يتحرك؟ بإشارة من العوالم العلوية التي فيه، تسمع خطرة في داخلك، مثلاً: هيا أُصلي، هذه الخطرة التي خطرت عليك لو جئنا بكل أشعة النور وكشفنا على هذا الجسم، فهل يوجد مكان يُخرج هذه الخواطر من الجسم؟! لا يوجد.

هذه العلوم التي تسمعها وتُسجَّل فيديو، أين هذه الشرائط في الجسم التي فيها هذه العلوم؟! وتأتيك في لمح البصر، وعندما تقابل شخصاً يقول لك: ألا تتذكرني؟ فتقول له: نعم أتذكرك فقد قابلتك في المكان الفلاني، وقلت لك كذا وقلت لي كذا، أين هذه المعلومات؟! هل يوجد مكان في الجسم فيه هذه المعلومات؟! لا، ولكن توجد حقيقة نورانية ربانية جعل فيها الله كل الحقائق الإنسانية، هذه الحقائق هي التي بها الإنسان له وزنٌ وكيان عند حضرة الرحمن ﷻ.

هذا القلب سيدنا رسول الله ﷺ وضع يدنا عليه وذكر أن السبيل إلى تمام معرفة الله، والسبيل إلى النجاة يوم لقاء الله، والسبيل إلى كل خير تريده لنفسك ولغيرك في هذه الحياة، هذا القلب، فقال:

{ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ }[٢١]

لم يقُل في الجسم، لأن كلام الله، وكلام النبي كلامٌ دقيق، فالجسد غير الجسم، لأن

٢١ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

الله يقول في القرآن: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ (الأنبياء١٨) فهذا الجسد لا يأكل طعامنا هذا، لأنه حقيقة أُخرى غير الحقائق الأرضية التي نعيش فيها.

هذا الجسد صورتك الحقيقية التي معها جواز مرور لكل العوالم العلوية، ومعها جواز عبور لكل الكائنات الصلبة الأرضية، وإليك مثال صغير لهذا: أنت تنام في حجرتك وتُغلق الباب والنوافذ، ثم ترى نفسك في المنام، لكن أنت نائم فكيف ترى نفسك؟! هي صورتك الحقيقية التي رأيتها في المنام ولكنك تراها على قدرك، هذه الحقيقة أحياناً تتركك نائماً وتصعد وتسافر، أحياناً تسافر إلى بيت الله الحرام وتطوف حوله وتسعى، وتقابل أناس هناك يحجون ويحدث وقائع. وأحياناً تذهب للمدينة المنورة، وأحياناً تذهب لعالم الجنة وترى بعض المناظر الجنانية، وتتعرف على بعض الأماكن التي يسكنها المتقون والمقربون في العوالم الجنانية، والتي منها يعرف عنوانه أيضاً هناك، لأنه لا بد أن يعرف كل واحد منا أين عنوانه في الجنة، حتى إذا ذهب إلى هناك لا يتوه ولا يسأل، ثم تستيقظ من النوم فتجد الجسم كما هو، فمن الذي ذهب؟ حقيقتك هي التي ذهبت، وهي الحقيقة الإنسانية التي أنت بها إنسان.

طبعاً أنا لا أستطيع مهما آتاني العلي الوهاب من دقة التعبير، ومن غزارة الألفاظ أن أصفها، لكن أنت إذا اتقيت الله، وأصلحت بينك وبين مولاك، تستطيع أن تشعر بها، وتصطحبها، وتعقل ما تشاهده من مناظر، وما تتلقاه من معارف، وما تقابله من ملائكة وأنبياء ومرسلين وغيرهم.

الحاجة إلى الجهاد

هذا الكلام سهل ويسير إذا بدأ الإنسان الجهاد؛ الجهاد في تصفية القلب وتطهيره للعلي الكبير ﷻ.

ولذلك أنا أهمس همسة بسيطة في أُذن إخواني الحاضرين والسامعين أجمعين، لأن آفة هذا العصر التي انتشرت فيه كالنار في الحطب، أن الناس يريدون أن يأخذوا المنح الإلهية والعطايا الربانية بدون جهاد، فكيف يتأتَّى هذا؟! القاعدة التي أسسها الله وترجمها الصالحون: ((لا عطية إلا بعد بلية، ولا منحة إلا بعد محنة)).

فلا بد من الجهاد: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) وسُبُلنا يعني الطرق الموصلة إليها، لأن كل واحد منا له طريق، ولن ندخل كلنا من طريق واحد، والشيخ أبو العباس المرسي كان يزيد عن ذلك فيقول: ((لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق)) فانظر كم من الطرق تصل بها إلى الله ﷻ حتى يكون لله الحجة البالغة؟!! وحتى لا تأتي يوم القيامة ولك عُذر في أنك لم تبلغ مقام معرفة الله اليقينية الشهودية التي طلبها الله ﷻ منا في محكم الآيات القرآنية، وكلها تحتاج إلى:

غُض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صبُّ أنوار القدير

فالجسم له آلاته، والقلب له أدواته، وطالما آلات الجسم في الكون تُحصِّل، فالقلب يسكن ويستكين، ومتى يتحرك؟ كما قلنا في المنام، وتتوقف حركته في المنام على ما تعمله أنت في اليقظة، يعني لو كنت طوال النهار في مجالس قيل وقال، وفلان وعلان، ففي المنام هل ترى حضرة النبي؟ لا يجوز.

لكن إذا أردت من الأدوات الداخلية القلبية أن تتيقَّظ وترى، فلا بد أن أغضَّ عين الحسِّ، وأقلل السمع للكلام حتى لا أتعرض للملام، وأمسك اللسان فلا ينطق إلا بما يحبه الرحمن، وأمسك هذه الجوارح بعصا الشريعة، فهذه غنمك ورعيتك:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[٢٢]

وأول رعية أنت مسئول عنها هي جوارحك؛ السمع والبصر واليد والرجل والفرج والبطن، فهذه كلها رعيتك وأنت المسئول عنها: ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ (طه) يعني عصا الشريعة، أراقب بها غنمي، فإذا نظرت عيني إلى شيء أقول لها: لا تنظري: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ (٣٠النور) والأُذُن تريد أن تتصنت هنا أو هنا فأقول لها: هل تسمعي الحق أم تسمعي الخلق؟! لا يجتمع الإثنين معاً، تعالي معي حتى نسمع الحق.

فلا بد في بداية الجهاد أن أهُش على غنمي، وأهش بالراحة وباللطف وباللين، ولا أركب سبيل بعض المجاذيب في الشدة، لأننا لن نستطيع أن نتحمل، فالمجذوب يكون

٢٢ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

محمولاً فلا يدري ما يحدث له، لكنني غير مجذوب فآخذهم بالرفق واللين إلى أن يصبح قلب الإنسان مشغولاً بالكلية برب العالمين ﷻ.

فإذا نام على الفور يخرج من عالم الدنيا، ويذهب إلى عالم الملكوت، أو يذهب لعالم الجنان، أو يذهب لعالم الرضوان، أو يذهب لجمالات النبي العدنان، أو يدعوه الأنبياء والمرسلين ذوي المقامات الحسان لزيارتهم، ويشرحوا له ويتحدثون معه.

فبالله عليكم من يتحدث في ليلة مع جماعة من السماء الثالثة، وغداً مع جماعة من السماء السابعة، وبعده مع سيدنا نوح، وبعده مع سيدنا لقمان، فهل هذا يرجع لعالم الدنيا ويستمع لمن في الأكوان؟!! لا.

فلا بد أن تبدأ الحكاية هكذا، لكن تريد أن تصل لهذا المقام بدون هذا الجهاد؟! لا يكون:

تريد أن ترى حسني وترقى ... بلا حرب شديدٍ لا يكون
فمن رام الوصال إلى جنابي ... أُصَفِّيه وفي هذا فتون
تمسك إن أردت القرب مني ... بسُنَّة أحمدٍ فهو الركن الركين

حجج المحجوبين

حرب مع النفس والجوارح وليس مع الناس، وبعض المريدين الذين يرون أنفسهم على فلاح وصواب، فيقول: أنا لا أتقدم ولا أرتقي لأنني أرى أن الشيخ غضبان عليَّ ولا يحبني، وهذه مصيبة في عالم السالكين والسائرين في طريق الله، فلم لا يحبك الشيخ إذا كنت محبوباً لله؟! ولا يدخل في هذا المجال إلا المطلوبين والمحبوبين لحضرة الله، فإذا حزن منك الشيخ فلا يحزن منك أنت ولكن يحزن من الأفعال التي تعملها وأنت راض بها، وهي تبعدك ولا تقربك، وهي التي تؤخرك، وهي التي تجعلك في تخلف إلى ما شاء الله، وهو يريد أن ينقذك ويأخذك في أقل من لمح البصر.

لكن مَن السالك الذي يمشي على الدوام على البراق؟ الذي يمسك النفس، ويقول للشيخ: هذه نفسي فافعل فيها ما تريد حتى آخذ ما أريد.

أما إذا كان متمسك بنفسه، ويريد أن يُظهر نفسه، ويكون اليوم شيخ، وبعده يكون له مريدين، وبعده يكون له كرامات، فهذا يحتاج إلى أن يذهب لروضات العارفين ليتعلم أصول طريق الله ﷻ.

لأنه لا يوجد إنسان يريد أن يسافر إلى الله ويكون فيه بقية من النفس بداخله، فهذا مستحيل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ (النازعات) لا يخاف جهنم هنا، ولكن: (مَقَامَ رَبِّهِ) وهذا جزاؤه الجنة على الفور، وهي جنة المعارف، وجنة القرب، وجنة الوُد، وجنة الكشف، وجنة المشاهدات، فتجده في جنة من هذه الجنان الحسان التي ذكرها الرحمن ﷻ.

بغية المؤمنين العظمى

أردتُ أن أُذكِّر نفسي وأُذكركم، فإياك أن تنسى الغاية التي هي من جملة الغايات، التي من أجلها أوجدنا الله في الدنيا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦الذاريات). هل ليأكلون؟ أم ليشربون؟ أم على الخلق يتسلَّطون؟ لا، فسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ليعبدون يعني ليعرفون.

خلقنا الله لحِكمٍ كثيرة موجودة في القرآن يضيق الوقت عن عدها فضلاً عن شرحها، لكن أهم غاية هي أن نعرفه، ومن خرج من الدنيا ولم يعرف الله المعرفة اليقينية العينية الشهودية، فماذا يكون قد عرف من الدنيا؟!!.

سألوا الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: أتتمنى أنك متُّ وأنت طفلٌ صغير، قال: لا، قيل: ولِمْ؟ قال: لأني عشتُ حتى عرفت ربي تبارك وتعالى.

فقد جئنا هنا والغاية الأعظم هي أن نعرف الله، وليس خلق الله، وبعد أن تعرف الله هو سيُعرِّفك بخلق الله ولن يضروك، ولن يُؤخروك، ولن يستطيعوا أن يؤذوك لأنك عرَفْتهم بالله، فإذا عرفت الله فإن الدنيا تجري وراءك، والخلق كما ترون في الوجود كله هم الذين يجرون وراء الدنيا ولا يحصِّلون شيئاً، لأنها أخذت الأمر بذلك: **(من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه)**.

يجرون وراءها، منهم من يريد الشُهرة، ومنهم من يُريد السمعة، ومن يريد المال،

ومن يريد المنصب، ومن يريد كذا، ومن يريد كذا، ولا يأخذوا شيئاً ويتحسروا.

والذين عرفوا الله فالدنيا تُقَبِّل أقدامهم، وتأتي لهم بكل ما تشتهيه الأنفس، وهم يقولون: لا نريد إلا الله، فمن كان معه الله فماذا يريد من الله ﷻ غير هذا؟!

ولذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه ضرب للدنيا مثلاً يحدث معنا كلنا، فقال: لو كان ظهرك للشمس، سيكون ظلك أمامك، يجري وأنت تجري خلفه، ولا تُحصِّله، ولو كان وجهك للشمس، فيكون ظلك خلفك، وأنت تجري وهو يجري خلفك.

كذلك نفس الأمر، فمن كان وجهه للشمس الكلية المحمدية فالدنيا كلها بما فيها ومن عليها تجري خلفه ولا ينظر إليها، فكانت الدنيا تقول له: يا رسول الله انظرني، فلم ينظر إليها ولم يلتفت إليها ﷺ.

ومن يجعل الدنيا أمام عينيه والحضرة المحمدية والشريعة الإلهية خلف ظهره، ستأتيه الأطماع الفانية، والآمال الكاسدة في الدنيا، وتتشعب به الأمور، ويجري هنا فلا يُحصِّل، ويجري هنا وهناك ولا يلحق، ويظل هكذا حتى يأتيه الموت فيقول: يا رب اتركني ولو لحظات حتى أرجع أعمل العمل الصالح، ولكن هذا لا يجوز

فالإنسان طالما مع الله، فالوجود كله طوع أمره وخلف ظهره ومُسخَّرٌ له بإذن الله، واسمعوا في ذلك إلى أمر الله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ (١٣الجاثية) فالكل مُسخر لك، لماذا؟ لأنك سخرت نفسك لله ﷻ.

ولذلك نصيحة بسيطة أيضاً أهمس بها في أُذن إخواني الذين يتمنون أن تكثر أموالهم، والذين يتمنون أن يظهروا في عالم الدنيا ويشتهروا، والذين يتمنون أن تتحقق آمالهم وحظوظهم في الدنيا، فأحسن طريق لهذه الأمور وأسرع طريق أن تتوجه إلى الله، فيُحوِّل لك كل هذه الأمور لأنها في يديه.

لكنك بنفسك ماذا تفعل؟ ستظل تتمنى هذا الشئ ولا تأخذه فتتحسَّر، وتتمنى الآخر ولا تحصله فتندم، فما الذي يجعلك في هذا الطريق؟ خذ طريق الصالحين حتى تكون مع الله وتتاجر مع الله، فتجد كل أمر وكل شيء وكل شأنٍ في الوجود مُسخرٌ لك بإذن الله.

والله ﷻ ضرب لنا أمثلة حية في هذا المقام بالصالحين في كل زمان ومكان، وقد لاحظنا ذلك في هذا الزمان، يتجهون إلى الله بالكلية، فكل ما نبتغيه نحن – ولا يخطر على بالهم – أخذوه وزيادة، من أين؟ من فضل الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد).

وأنا لا أُحب أن أتحدث عن نفسي، فالإمام أبو العزائم ﷺ قال: ((إذا رأيت الرجل يشطح في الحديث عن أسرار مزيته، فاعلم أن ذلك نقصٌ في مقام عبوديته))، هذا الرجل الذي أمامكم كان مُدَرِّساً فقيراً، ولا يُعطي دروساً، وليس له ثروة ولا شيء، ولكنه ظل مع الله، فمكَّنني الله وجعلني مديراً بدون واسطة ولا رشوة ولا شيء، وإنما إعزازٌ من الله ﷻ.

وكل ما كنا نطمح فيه أعطانا الله أضعافاً مضاعفة من عنده، فقد كنا نطمع في زاوية صغيرة نُصلي فيها مع بعضنا، فأعطانا مبنى كبيراً تم بأمر الله وبإذن الله وبفضل الله ﷻ، ومن تمام فضل الله أنه ليس لأحدٍ علينا فيه مِنَّة، والمِنَّة كلها لله تبارك وتعالى.

والأبناء أكرمهم الله ﷻ مع أنني كنت مشغولاً عنهم، وهكذا في كل أمر، تيسير في الدعوة هنا وهناك، فلم أطلب في حياتي أن أظهر في محطة فضائية ولا تليفزيون ولا غيره، وهم الذين يتنافسون علينا الآن والحمد لله، ونحن نتدلل، لماذا؟ لأنها سُنَّة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وهذا ما قلته، أن الله يقيم رجالاً لله نموذجاً، حتى يكونوا حجة على أهل زمانهم، ولا أحد يكون له حجة، فتكون لله الحجة البالغة.

فأي فرصة تلوح لي أُقدِّم فيها، سواء للدنيا أو للآخرة، ولكن أقدِّم فيها كما قال ﷺ:

{ اطلُبُوا الحَوَائِجَ بعِزَّةِ الأنفُسِ فإنَّ الأمُورَ تجرِي بالمَقَادِيرِ } [٢٣]

فلا أذل نفسي لإنسان، ولا أتذلل لأحد ليتوسط لي، ولا أحزن إذا فاتتني، إن كان فيها خيرٌ لي فستأتيني، وإن لم تأتني فيعلم ربي أنها ليس فيها خير لي، وهذا حال

٢٣ رواه تمام في الفوائد وابن عساكر في التاريخ عن عبد الله بن بسر ﷺ

المؤمنين في كل أمر من الأمور إن شاء الله.

أسأل الله ﷻ أن ينوّر بصائرنا، وأن يمسك علينا جوارحنا، وأن يكشف لنا كل ريب وكل غين وكل بين، حتى تقع العين منا على العين، وحتى نكون من الذين يقول الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل).

أول فريضة فرضها الله[٢٤]

قلنا أن معرفة الله أول فريضة فرضها الله تبارك وتعالى على الإنسان، والبعض لم يستسغ ذاك المعنى، مع أن الأمر واضحٌ كل الوضوح، جليٌّ كل الجلاء، حتى في الفرائض التي فرضها علينا الله، وإلا من يُصلي فلمن يُصلي؟ لله، إذاً لا بد أن يعرف الله قبل أن يُصلي لحضرة الله.

فيعرف من يُصلي له، وبالتالي يعرف من يصوم له، ويعرف من يحج بأمره إلى بيته، والله ﷻ أمرنا أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة محددين الأهداف التي وضعها الله لنا في سورة الفاتحة في الصلاة، وهي ثلاثة أسئلة وثلاث إجابات: لمن تُصلي؟ وبمن تُصلي؟ وكمن تُصلي؟.

لمن تُصلي؟ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (٥الفاتحة) وبمن تُصلي؟ بحوله وطوله ومعونته: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة) ولولا حول الله ومعونة الله لنا ما استطعنا أن نُحرّك اللسان بذكر واحدٍ لحضرة الرحمن، وكمن تُصلي؟ يعني تُصلي مثل من؟ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة) اجعلني أُصلِّي كالذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

إذاً لا تصح أي طاعة يعملها المرء سواءٌ كانت نافلة أو فرض، إلا إذا علم علم اليقين لمن يتوجَّه بهذه العبادة، فشرط هذه العبادة لكي يقبلها الله تبارك وتعالى أن تكون خالصةً لوجهه الكريم: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (١١٠الكهف) وشرط قبول العمل الصالح: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١١٠الكهف) ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

---

٢٤ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٨ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١٢/٥م

وهكذا نرى أن درجات المرء في القرب من الصلاة تكون على حسب معرفته لربه، وقدر عظمة الله، والخشية من الله، والخوف من جلال الله في فؤاده، على قدر هذه الحقائق يكون قربه من الله.

ورسول الله ﷺ عندما رأى رجلاً كثير الحركات ولا يُحسن الأدب مع الله في الصلاة، وبعد أن انتهى قال له:

{ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا }[٢٥]

لماذا؟ لأنه يؤديها عادة، وهي يجب أن تكون عبادة، ورأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال ﷺ:

{ أَمَّا هَذَا فَلَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ }[٢٦]

متى يخشع؟ إذا عرف الله المعرفة الحقيقية، فيتحقق بالخشية والخوف والرجاء والطمع في فضل الله وإكرام الله ورضوان الله تبارك وتعالى.

إذاً لا بد من معرفة الله أولاً قبل أن نؤدي ما كلَّفنا به الله في كتابه، وما سِنَّه لنا النبي ﷺ في سنته بعد ذلك.

الطريق إلى المعرفة

هذه المعرفة ما الطريق الموصِّل إليها؟ ذكره الله تبارك وتعالى في قوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١٨٩الشعراء) ومن أي شيء يكون سليم؟ من الكبر، ومن الحقد، ومن الحسد، ومن الإعجاب بالنفس، ومن الأنانية، ومن البخل، ومن الشُح، ومن الطمع ... يكون سليماً من الصفات المذمومة التي ذكرها الله في كتاب الله، والتي حذَّر منها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وماذا بعد ذلك؟ المحبة للأحبة:

---

٢٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٢٦ مسند زيد عن علي بن أبي طالب ﷺ

{ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ }[٢٧]

اللهم ارزقنا حبك، وحب من أحبك، وحب كل عملٍ يقربني إليك، كالمحبة والمودة والشفقة والرحمة واللين، وكل هذه الصفات الطيبة التي ينبغي أن يتخلق بها المرء مع خلق الله تبارك وتعالى أجمعين.

كيف يصل العبد إلى تصفية القلب مما سوى الله؟ يبدأ يُصفِّي القلب أولاً من الميل إلى الشهوات، أو النزوع إلى الأهواء والملذات، أو حب التكاثر في الفانيات، وهذه الخطوة الأولى.

فيخلع جذور هذه الأشياء، وجذور هذه الأشياء في القلب، أما الجوارح فهي جنودٌ منفذة، تتلقَّى الأوامر إما من النفس وإما من القلب.

بعد ذلك يُطَهِّر القلب من الأغيار حتى تُشرق فيه الأنوار، والأغيار كل شيء غير الله، كما يقول ابن الفارض ﷺ:

وإن خطـرت لـي فـي سـواك إرادة على خـاطري يومـاً قضـيتُ بردَّتـي

ردَّتي هنا ليس معناها الرجوع عن الإسلام، ولكن معناها الرجوع من الطريق، حتى ننتبه، فإن كلام العارفين يحتاج لذوق عال لنفهمه، فلو سمعناه بالعقول ضللنا السبيل إلى فهم كلامهم، واستنباط حِكَمهم، لكن يحتاج للسماع بالقلب وهذا ما نسميه بالتذوق، فالتذوق أن يستمع الإنسان بقلبه، والإمام أبو العزائم يقول:

بـذوقك فاشـرب رحانـا يـا أخـا النُهـى فالعقـــل لا يعقـــل أخـــي حـــالاتي

العقل ليس له في هذه الأمور، لأن العقل يحتاج لشيء حسِّي ومشهود والإنسان يلمسه ويراه بحواسه التي أعطاها الله تبارك وتعالى له الظاهرية، لكن هذه أمور معنوية يستشعرها المرء بالحواس القلبية، لذلك نسميها أذواق، ولا بد أن يرقق الإنسان القلب حتى يتذوق معاني كلام الله، ومعاني أحاديث رسول الله، ومعاني كلام الصالحين من عباد الله، حتى يتأهل للمقامات العلية الرضوانية، وهذا كله يحتاج لجهاد شديد.

---

٢٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ

بعد أن يُطهِّر القلب من الأغيار، يصل إلى مقام تفريد الله تبارك وتعالى بالقصد، ففلان قاصد الله أو طالب الله أو راغب في الوصول إلى حضرة الله، ما معناها؟ أنه لا شيء في القلب إلا الله:

لا تعلق بالقلب غير إلهٍ قد تجلى في العالمين عُلاه

ليس في القلب غير ذلك، فإذا وُجد في القلب أمور أُخرى، فهذه الحجب التي تحجبه، أو القيود التي تقيد الحقائق العالية فيه عن الرقي إلى العوالم العالية الراقية، فهذه كلها من الحجب والأغيار التي يتمسك بها المرء في نفسه وإن كان لا يشعر ولا يدري، لكنها الحقيقة، ولذلك لا يستطيع الإنسان القضاء عليها إلا إذا ملَّك نفسه لطبيب رباني، أعطاه الله ﷻ كشَّافٌ نوراني، يكشف به ما به من أغراض ومن علل وأعراض، ويعطيه الروشتة من القرآن الكريم، ومن السُنَّة المباركة لإزالة هذه الأعراض حتى يُشفى فيتمتع بهذه المشاهدات.

تعاريف التصوف

ولذا فالصالحون لهم تعاريفٌ لا تُعد في التصوف، حتى أن بعض الصالحين له سبع أو ثمان تعريفات للتصوف، لماذا؟ كلما وصل إلى حال من الأحوال مع الله يعبر عن التصوف بحسب الحالة التي هو فيها، فمثلاً سيدي أحمد البدوي يقول: التصوف هو الخُلُق، فكل من زاد عليك في الخلق فقد زاد في الصفاء، وهكذا.

الدكتور عبد الحليم محمود رحمة الله تبارك وتعالى عليه، وهو يُنسب إليه أنه أول من درَّس التصوف في جامعة الأزهر، بعد أن حصل على الدكتوراه من فرنسا وأكرمه الله ووصل إلى رئيس قسم أدخل مادة التصوف، وجعلها مادة رسمية في الأزهر، ولم تكن تدرس قبل ذلك، مع أن المشايخ كلهم في الأزهر بلا استثناء كانوا صوفيين، وتربوا على أيدي أولياء ومرشدين، لكنه هو الذي أدخله.

وله كتاب عظيم شرح فيه التصوف بطريقة لطيفة، وأسانيد عالية، وحجج راقية تصد أي معاند، اسمه (المنقذ من الضلال قضية التصوف) والمنقذ من الضلال كتاب الإمام الغزالي صاحب الإحياء بعد أن ترك العلم والعلماء واتخذ سبيل التصوف سبيلاً،

فاعتبر أن ما كان فيه ضلال، فعمل كتاباً صغيراً اسمه (المنقذ من الضلال) حققه الدكتور عبد الحليم محمود وكتب فيه مقدمة مستفيضة، والمقدمة نفسها أكثر من مائتي صفحة، لأنها ليست مقدمة عادية، وكلها في التصوف، وهذا الكتاب موجود في دار المعارف وفي أي مكتبة من المكتبات وبسعر رمزي.

فكان رأيه بعد أن استعرض عدداً كبيراً من تعريفات التصوف، قال: الرأي الذي أميل إليه أن أحسن تعريف للتصوف الذي قاله الشيخ أبو بكر الكتاني ﷺ، وهو: (التصوف صفاء ومشاهدة) لماذا؟ قال: لأنه أتى بالوسيلة وأتى بالغاية، وما الغاية؟ قال: الوصول إلى مقام المشاهدة، وهي المعرفة التي تكلمنا عنها، وهي المعرفة العينية الشهودية اليقينية، وما الوسيلة لها؟ الصفاء، فهو الذي يُشغل الآلات الإلهية الموجودة في الحقائق الباطنية في الإنسان، وهي وحدها التي معها مَلَكة الرؤيا والشهود لما يراه الإنسان بعين رأسه.

وسائل التصفية

هذه الحالة؛ حالة التصفية تحتاج من السالك إلى بعض الوسائل التي تعينه على بلوغ درجة الصفاء.

الوسيلة الأولى:

قلة الاختلاط بالخلق، إلا بحسب الضرورة، والصمت إلا إذا كان هناك داع ضروري للكلام، ولذلك أنا أعجب ممن ينتسبون إلى الصالحين أو للطرق الموصلة إلى الله، والواحد منهم يجلس بالساعات مع جاره هذا ومع جاره هذا ولا يكف عن الكلام أبداً، وهو معذور لأنه لا يوجد شيء يمنعه من الكلام مع الخلق إلا إذا تلذذ واستحلي ذكر الحق، فعندما يستطعم ذكر الله، ويتلذذ بذكر الله يبخل في تضييع نَفَس مع خلق الله إلا في ضرورة ملحة يحتاجها في هذه الحياة، أو نصيحة يقدمها لهم طلباً لمرضاة الله تبارك وتعالى.

الوسيلة الثانية:

أن لا يملأ بطنه من الطعام والشراب، والشيخ الجنيد ﷺ وأرضاه كان يقول:

((من شبع من الطعام والشراب، لم يجد الحضور مع الله)) لا في الصلاة ولا في غير الصلاة، لأن البطن ملآنة، والعقل يُعطي أوامر لكل الدماء التي في الجسم أن تترك نذراً يسيراً وتتحول كلها على المعدة لهضم الطعام، فيجد وخم وتبلد في العقل، فلا يستطيع أن يفهم أو يفعل شيئاً، وهذا الكلام نجده في كثير من الناس في رمضان، فيفلت منه الزمام في الإفطار، وفي صلاة التراويح يتثاءب ويغلبه النوم ولا يستطيع القيام ولا الركوع ولا السجود لأنه ملأ البطن، وكما قيل: (البطنة تُذهب الفطنة).

فماذا يفعلون؟ يمشون على منهج الحبيب ﷺ الذي قال فيه الله في القرآن: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ (٣١الأعراف) يعني لا تزيد العيار، وما قدر العيار يا رسول الله حتى لا نزيد عنه؟ قال:

{ مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ }[٢٨]

ومتى نأكل؟ قال ﷺ:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[٢٩]

لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، فمن أين يأتينا مرض الخمول ومرض الكسل؟!! ونواهيك عن الأمراض البدنية، ومرض الغفلة عن الله، ومرض القسوة أثناء أداء العبادة لله، كل هذه الأمراض ستذهب، لأن الإنسان لا يتناول إلا لقيمات يُقمن صُلبه.

إذا ذاق لذة الإنسان عبادة وطاعة الله، فربما تشغله عن الطعام، وهذه الأحوال التي نسمعها عن الأولياء الأكابر والعظام، وهذه حالة لا ينفع فيها التكلف، يعني لا ينفع أحدٌ أن يقلدهم فيها، ولكنها تأتي منحٌ من الله ﷻ، وإلا خبِّرني بالعقل والعلم والنقل، كيف لواحد كالجنيد يصوم ولا يُفطر إلا كل أربعين يوم مرة، ويُفطر على تمرة، ثم يعود مرةً أخرى للصوم؟!!، هل العقل يقبل ذلك؟! وهل العلم يوافق على ذلك؟! لا، لكن القدرة لها أن تصنع ذلك، فالله قدير وقادر أن يصنع هذا الأمر.

---

٢٨ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ
٢٩ زاد المعاد والبداية لابن كثير

الإنسان قد يمكث أياماً بدون طعام ولا شراب، وقد يمكث أياماً بدون طعام، ولكنه لا يستغني عن الشراب، لكن يستحيل أن يظل أياماً بدون نوم، وإلا فيأتيه هَوَس ويُجنُّ، لكنهم كانوا يقولون أن السيد أحمد البدوي كان يقف أحياناً أمام غار حراء الذي كان يتعبد فيه أربعين يوماً، ينظر في الآفاق ويتفكر في ملكوت السماوات، لا يجلس ولا يأكل ولا ينام، أي عقل يعقل ذلك؟! لا يوجد، هل هذا الحال يستطيع أحدٌ أن يمشي فيه بنفسه؟! لا، لكنه يستطيع أن يدخل فيه بربه، لكن بنفسه لا يقدر، ولا يقدر أن يقف حتى أربعين ساعة.

فمثل هذه الحالات لا يُقاس عليها، ولكن كل ما في الأمر لنعرفه أن القوم لما جاهدوا وشاهدوا أُخذوا، وذاقوا حلاوة الطاعة، وحلاوة المشاهدة، فأنستهم الدنيا والشهوات وما فيها ومن فيها.

فلا بد للإنسان الذي يريد الصفاء أن يمشي على منهج سيد الرسل والأنبياء:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع } [٣٠]

ولا يزيد عن الثُلث، وهذا ما يقوله العلم الحديث الآن، يقول:

كُل خمس مرات أو ست في اليوم، ولكن وجبات خفيفة، ولا تملأ المعدة حتى نهايتها في المرة الواحدة، لأن هذا ضرر مُحقق إن كان للجسم أو للإنسان ككل، فلا بد أن يمشي على هذا المنوال.

إذا نجح في التخلص من شهوة الطعام والشراب، أصبح عنده شهوة طعام الحقائق من الله، والشراب الطهور الذي ذكره الله في كتاب الله: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان) وهذا ما يقول فيه الإمام أبو العزائم ويخاطب فيه حضرة الله:

جعنـــا فأطعمنـــا الحقـــائق ربنـــا واســـق الجميـــع محبـــة الغفـــار

جعنا، من الذين جاعوا؟ ليست الأعضاء الظاهرة، ولكن الحقائق الباطنة، يريدون طعام الحقائق، وشراب المحبة، لأن الإنسان لو شرب شربة واحدة من شراب المحبة، سيكون من خيار الأحبة فوراً، ومن الذي يسقي؟ ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ (٢١الإنسان) وكلمة الرب في القرآن يعني المربي.

[٣٠] زاد المعاد والبداية لابن كثير

ذكـر الله

إذا انتهى من ذلك والتزم بالصمت، وما دام يصمت مع الخلق:

سيشتغل بذكر الحق، فيكون ذاكراً لله على كل حال ..

سيدنا رسول الله ﷺ كان سائراً إلى مكة ووصل جبل اسمه جُمدان ..، فقال لأصحابه:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ }[٣١]

وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }[٣٢]

فيشتغل بذكر الله، ولذلك كان الصالحون يعرفون هذا الرجل متى سيكون له نصيب في كشفهم؟ إذا وجدوا لسانه لا يمل ولا يكل من ذكر الله.

ولذلك كانوا يقولون: ((الذكر منشور الولاية)) وماذا يعني ذلك؟ الله ﷻ ينزل كل يوم منشورات بمن اصطفاهم في هذا اليوم، والإصطفاء لا ينتهي: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ (٧٥الحج) بصيغة المضارع المستمر، فهذا الإصطفاء لا ينتهي، وكل يوم تنزل كشوف لمن اصطفاهم الله، ومن الذي يصطفيه؟ الذين لا يغفلون لحظة عن ذكر الله تبارك وتعالى.

فيبدأون أولاً بذكر اللسان، ثم ينتقلون إلى ذكر القلب والجنان، ثم ينتقلون إلى ذكر السر، وذكر السر هو مشاهدة أنوار الحبيب، ثم ينتقلون إلى ذكر الروح، وذكر الروح هو مشاهدة تجليات الأسماء والصفات في الكون العالى والداني تفعل بأمر من يقول للشيء فيكون، ثم ينفخ الله فيهم نفخة القدس فيذكرون بنفخة القدس، وإذا

---

٣١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٣٢ جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

ذكروا بنفخة القدس كان الذاكر حضرة الله تبارك وتعالى: ﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ (١٥غافر).

فيكون ذاكراً لله على الدوام، لا ينشغل عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل، وإذا وصل إلى ذكر القلب، والقلب اشتغل بذكر مولاه لا تضره حركة الأجسام، لأنه إذا كان يتكلم معنا، أو كان يأكل أو يشرب أو نائم أو يعمل، فالقلب لا يكف عن ذكر الله.

لكن ذكر اللسان شرطه عدم توقف اللسان، فإذا توقف اللسان فلا ذكر، لكن ذكر القلب إذا اشتغل فعلى الدوام لا يكف مهما كانت أحوال الإنسان، لأن الله ﷻ يجعل القلب ذاكراً لله تبارك وتعالى على الدوام.

الوسيلة الثالثة:

إذا تلذذ بذكر الله، واستلَّذ بطاعة الله، سيبخل على نفسه أن يتكلف النوم ليُرضي النفس وتنام، مع أن أقل المنام يُريح الإنسان، لأن الإنسان إذا كان في حالة روحانية عالية فلو نام لحظة فكأنه نام أياماً متوالية.

وبالعكس لو كان في حالة نفسية سيئة فينام مهما ينام، لا يشبع من النوم، والوخم والكسل يعتليه، لكنه إذا كانت الحالة الروحانية عالية فإن النوم ولو قليل يكفيه كسيدنا عمر ﷺ وأرضاه، كان ينام لحظات بعد صلاة الظهر، فسألوه: لم لا تنام يا أمير المؤمنين؟ فقال لهم: ((إذا نمت نهاراً ضيعت رعيتي، وإذا نمت ليلاً ضيعت نفسي، فجعلت النهار لرعيتي والليل لنفسي)).

ومتى ينام؟ كان ينام لحظات بعد الظهر وهو جالس القرفصاء، ويضع رأسه بين رجليه، وينام للحظة فيقوم من نومه كأنه نام أياماً معدودات، كان الإمام أبو العزائم يقول في ذلك:

نـم هيكلـي فـالروح يقظـى مشـوقة لأصـلها العـالي ليسـت مـن التـرب

يعني نم أنت، لكن الروح لا تنام، لأنها من الحي الذي لا يموت، فعندما ينام يدخل في قول الله في أقوام: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (١٦السجدة) يتقلب في النوم يميناً وشمالاً، لماذا؟ يريد أن يتلذذ بذكر الله، ويريد أن يُنعِّم نفسه بطاعة الله، ويريد

أن يتنعم بتلاوة كتاب الله، إن كان مع حبيب الله، أو مع حضرة الله، أو حتى مع ملائكة الله، فيقل عنده المنام لأنه يجد لذة الطاعة لله على الدوام.

فإذا أخذ الإنسان هذه الوسائل، وكان ملازماً لشيخ واصل متمكن مأذونٌ من رسول الله ﷺ، وعمل بقول الله في شأن أصحاب حبيب الله ومصطفاه:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء) وسلم تسليماً كاملاً ظاهراً وباطناً، فلا بد أن تظهر عليه الأنوار، وتُشرق على قلبه الأسرار، ويحدث له ما حدث للصالحين، فيبدأ أولاً بالتخلي، وبعد ذلك بالتحلي، وبعد ذلك بالتجلي، وبعد ذلك بالتملي بما يشهده من نور الوجه العلي.

أي إنسان عاش مع أحد من الصالحين ولو سنين، ولم يصل إلى هذه المراتب فهذا يرجع إلى أمرين، الأول أنه لا يستطيع جهاد نفسه، والأمر الثاني – وهذا الأهم – أنه غير مُسَلِّم تسليماً ظاهراً وباطناً، لأنه لا بد من التسليم الظاهر والباطن، ولا بد من جهاد النفس: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ وبعدها على الفور تدخل في دائرة: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ وبعد الإجتباء: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨الحج) فلا يجد مشقة في أي طاعة أو في أي تكليف، ويجد فيها لذة، واللذة تُذهب المشقة، فلن يجد صلاة التراويح مثلاً ثقيلة، ويريد من الشيخ أن يخفف، بل يريد أن يتلذذ ويستزيد منها.

ولن يمل إذا قرأ جزء أو جزئين من القرآن، بل يريد أن يقرأ القرآن ليل نهار حتى يلقى الواحد القهار، لماذا؟ لأنه يتلذذ، ولا يجد مشقة في التكاليف والأوامر التي أمره بها رب العزة تبارك وتعالى.

وكل هذه وسائل، ولكن ربما آتي بهذه الوسائل كلها ولا أفوز بالمراد، لأن الله لم يُعلِّق فضله ورحمته على عبادة ولا على عمل، وإنما فضل الله ورحمة الله وإكرام الله فضلٌ من الله.

إذاً يحتاج الإنسان إلى جهاد أعظم، وهو أن يعرف نفسه، فيعرف مَن هو، ويعرف مَن ربه، سيدي أبو اليزيد البسطامي يقول: ((رأيتُ رب العزة تبارك وتعالى فقلت:

يا رب بِمَ يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قلت: وما الذي ليس فيك؟ قال: الذُل والعجز والجهل والمسكنة والإنكسار)).

أوصاف العبودية

من الذي يُكرم بالعطايا الإلهية؟ الذي اتصف بهذه الأوصاف؛ أوصاف العبودية على نهج خير البرية ﷺ. لأنه لو اشتغل بالعبادات ربما يُغر، وربما يُعجب بنفسه، فيكون قد دخل في الصف خلف إبليس، فإبليس عَبَد الله اثنان وسبعون ألف سنة، وما في السماوات موضع أربع أصابع إلا ولإبليس فيه سجدة لله تبارك وتعالى، ولكن عندما أمره الله بالسجود لآدم، قال له: لن أسجد، فخالف الأمر في المواجهة.

سبحان الله!! خالف الأمر في المواجهة، فهو الذي أمرك ولم يرسل لك حتى إشارة أو رسالة، ولا حتى مع مَلَك، ولكنه هو الذي أمرك فلم تسجد!!.

قال: ﴿ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ (١٢الأعراف) هذا اسمه الإعجاب بالنفس، ونسميه العُجب، فأُعجب بنفسه بسبب عبادته، وكانت النتيجة الطرد والحرمان:

﴿ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾

(١٨الأعراف)

يعني هناك أناس ستمشي وراءه، وجهنم هنا يعني البُعد، لماذا؟

لأنه دخل في هذا الإطار.

ما الذي ينجيني من هذا الإطار؟

أن الإنسان يتحقق بثياب العبودية، سيدنا موسى يقول: أين أجدك يا رب؟ يعني أين أنت؟ هل أنت فوق العرش؟ أم على الكرسي؟ أم فوق السماوات السبع؟ قال له:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[٣٣]

أنا موجود في قلوب هؤلاء المنكسرين، ...

---

٣٣ ذكره الغزالي في البداية

إذا سألوه يعطيهم، وإذا دعوه استجاب لهم، وإذا لم يطلبوا حقق لهم مرادهم بغير طلب، لماذا؟ لأنهم تحققوا بكمال العبودية لله ﷻ.

وهذا التحقيق بكمال العبودية لا يكون أبداً إلا برضا من رجل من الصالحين تفضَّل عليَّ بهذه العطية، ولذلك الشيخ أبو العزائم يقول حكمة غريبة في كلماتها، لكنها عجيبة في معانيها، فيقول:

((عجبتُ لمن سجد لواحد فأشرك، ولمن سجد لاثنين فوحد))

كيف؟! ... إبليس سجد لله ولم يرض أن يسجد إلا لله، فكانت النتيجة أنه أشرك، والملائكة سجدوا لله وسجدوا لآدم بأمر الله ففازوا وجازوا، وهذا هو ميزان السعادة في الحياة الدنيا.

فمن يكرمه الله في الدنيا ويسلِّم للصالحين يفوز بكل مراد، ومن لم يقدر على نفسه ويريد أن ينافسهم، أو يريد يجاريهم، أو يريد أن ينتقدهم، فهذا مسكين أُعلن عليه الحرب من رب العالمين، وليس له في طريق الطيبين ولا كنوز الصالحين نصيب.

وجائز أن يأخذ كلامهم ويتكلم به، وبعضهم كان يقول لي: أظن أنك تحفظ كتاب الفتوحات المكية للشيخ ابن عربي، فأقول له: أبداً، هو صحيح عندي في البيت ولكني لا أفتحه ولا أقرأه.

هو يظن أن هذا الكلام من الفتوحات المكية، فليس عندي الفتوحات المكية ولا غيره، ولكن عندي الفتوحات المدنية ولكنها غير مطبوعة، فالفتوحات المكية مطبوعة للكل، لكن أين الفتوحات المدنية؟ ليست موجودة ولكنها مشهودة: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ (١٨المطففين) وكتاب الأبرار هو سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾ (المطففين) وليس يقرأه المقربون.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا معرفته، والقرب من حضرته، وأن يجعلنا من أهل أُنسه ومودته، وأن يُكرمنا في الدنيا بأن نكون دائماً وأبداً في معية خير بريته، وأن يكرمنا دائماً وأبداً بأن نكون في قلب الصالحين المنظورين من سيد الأولين والآخرين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس الثالث

الذوق

الحياة الطيبة الراقية

درجات القرب من الله

عالم الإشارات

أهل خشية الله

الـــذوق[٣٤]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه ومن والاه.

ذكر لنا الله تبارك وتعالى أن تحصيل العلم، إما بالسمع، وإما بالبصر، وإما بالفؤاد: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ (٣٦الإسراء).

أولاً: التحصيل عن طريق السمع:

نحن نسمع من العلماء بالآذان، وما دام السمع بالآذان فيكون فيه ميزان وهو العقل، فكل كلمة تدخل على الآذان لا بد أن تدخل بميزان العقل، فمنه ما يقبله، ومنه ما يشك فيه، ومنه ما يتردد في قبوله، فعلى حسب ما يحكم العقل، والعقل يحكم في العادة دائماً على حسب الثقافة التي وصل إليها، والفهم الذي وصل إليه في العلوم والمعارف.

ثانياً: التحصيل عن طريق البصر:

وهذا يكون عن طريق القراءة، فإذا كانت القراءة في الكتب المقروءة أو المطبوعة فلا بد أن يتحكم فيها العقل، وأيضاً قد يسمح لها بالقبول، أو لا يسمح لها بالقبول.

ولذلك أحياناً نقول: أنا سمعت كلاماً من فلان ولكنني لم أسترح له، لماذا؟ لأن العقل اعترض عليه ولم يجد قابلية منه، أو سمعت كلاماً من فلان ولكن أشك أن هذا الكلام غير سليم مائة في المائة، لماذا؟ لأن العقل لا بد أن يزن كل العلوم الظاهرية.

ثالثاً: التحصيل عن طريق الفؤاد:

أما إذا كان النظر بعين الفؤاد في آيات الله في ملكه وملكوته، فإنه يمر على عقل آخر اسمه العقل الوهبي، والإمام علي ﷺ قال:

((رأيتُ العقل عقلين: فمكسوبٌ وموهوبٌ)).

هناك عقل مكسوب وهو العقل العادي، وهو يعتمد على جودة الفهم والذكاء

٣٤ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٧ من جماد الأولى ١٤٤١هـ ٢/١/٢٠٢٠م

والحُجج المنطقية والأدلة والبراهين العقلية، وهذا العقل الموجود مع كل البشر.

وهناك عقل آخر وهو العقل الوهبي، وهو هبة من الله يتفضل بها على السالك إذا ملك هواه، وحجز نفسه عن معاصي الله، وأناب بقلبه إلى مولاه، فيتفضل عليه ويُعطيه العقل الوهبي الذي يعقل عن الله، وهو كلام الله، وكلام حبيبه ومصطفاه، وكلام خاصة الخاصة من الصالحين من كُمَّل عباد الله.

الحياة الطيبة الراقية

ونحن كما نرى في مجتمعنا، كل أهل مهنة لهم مصطلحات بينهم، يتعاملون بها فيما بينهم، فلو أن أحداً ليس عنده فكرة عن هذه المصطلحات ذهب إليهم ورآهم يتكلمون بهذه المصطلحات لا يفهم ماذا يقولون، كذلك العارفين بالله لهم أيضاً إشارات في التعامل مع بعضهم، فكيف نأخذها وكيف نعقلها؟ العلم حددناه، ولكن فوق العلم شيء اسمه الذوق، وهذا الذوق يكون بالقلب، وهو تذوق المعاني العالية، وتذوق الحكم النورانية الراقية، ويقول فيه الإمام أبو العزائم لخاصة أحبابه:

بـذوقك فاشـرب راحنـا يـا أخـا النُهـى فالعقـــل لا يعقـــل أخـــي حـــالاتي

لو حكمَّت العقل في هذه الأمور ستتعب، لأنه ليس له شأنٌ بها، لأن العقل مثله كمثل الجمارك ينظر وفقط، وهذه البضاعة ليس لها شأنٌ بالجمارك ومعفاة من الجمارك، فهي تدخل على القلب مباشرة:

أمـن القلـوب إلـى القلـوب شـرابي ومـن الفـؤاد إلـى الفـؤاد خطـابي

ثم يعود فيرتقي:

ومـــن اللطيفـــة للطيفـــة نظرتـــي تُعطـــى لمطلـــوبٍ مـــن الوهـــاب

أهل النظرة هم أهل الحضرة الذين يتعاملون باللطائف العالية، ولا ينظرون بعين الحس، لأنهم غير موجودين في عالم الحس، ولكنهم في عوالم أُخرى لا يعلم سرها ولا مداها إلا الله تبارك وتعالى.

درجات القرب من الله

فالإنسان السالك في طريق الله ﷻ إذا أراد أن يحيا الحياة الراقية الطيبة؛ حياة العارفين والصالحين، يجاهد إلى أن يرتقي القلب والفؤاد ويتذوق المعاني الإلهية في الآيات القرآنية، وفي الأحاديث النبوية، وفي كلام الصالحين.

وهنا تُفك له رموز الإشارت، ويفهم من الرموز ما فيها من كنوز العبارات، ولا يطَّلع على هذا الكلام ولا يستوعبه أحدٌ من الأنام، ويظل في ظل حفظ الحفيظ السلام تبارك وتعالى، ولكن لا بد أن تكون نفسه قد ماتت.

ومثالٌ على ذلك، كان ﷺ كما يُروى عنه يُدخل نفراً لا يتجاوز أصابع اليد إلى منزله، ويقول لهم:

{ هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ } [٣٥]

لأن غير هؤلاء ليس لهم في هذا الشراب، وعندما دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ فَقَالَ:

{ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟ قَالُوا: لَا، إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ } [٣٦]

فهناك فروق في درجات القرب من الله ...

وهي تكون ..

على حسب العُلو في فهم الإشارات من الله ومن حبيب الله ومصطفاه ﷺ..

فمثلاً تلاوة القرآن، قد تتلو القرآن أحياناً مشغول البال، فهذه تلاوة من أجل الحسنات، الحرف بعشر حسنات، ويضاعف الله لمن يشاء .... ، فخذ ما شئت من الحسنات فهي كثيرة جداً، ويكون رصيدك كبيراً ....

لكن ليس لك شأنٌ بالقرب من العلي الكبير ﷻ.

---

٣٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس ﷺ

٣٦ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

عالم الإشارات

لكن عندما يجاهد الإنسان نفسه حتى يتوهج القلب بنور الحبيب، ولا يكون له في الدنيا ولا في الآخرة نصيب، ولا يريد إلا الله، كالرجل الذي يقول:

قد كانت لي أهواءٌ مفرقة فاستجمعتُ مذ رأتك العين أهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهمُ شغل بذاتك يا ديني ودُنيائي

ففي هذه الحالة لو أعاننا الله ووصلنا لذلك ستقرأ القرآن وتشعر بأن ينابيع وعيون تنفجر في قلبك بمعاني جديدة عديدة فيما تقرأه من كلام الرحمن ﷻ، وكلها من عالم الإشارات، لم تسمعها ولم تقرأها، لأن كل واحد منا من بدء البدء إلى نهاية النهايات له معاني خاصة به في كتاب الله، ومع ذلك كما ورد بالأثر: **((يَأتِي القُرآنُ يَومَ القِيَامةِ بِكْراً وكَأَنَّه لَم يُمس))** يعني لم يصل أحدٌ حتى إلى قريب من المعاني الربانية الخاصة التي حصل عليها صاحب الحضرة المحمدية ﷺ.

فهذا عالم الإشارت، ولذلك نجد العارفين في هذه الأوقات لهم أحوال لا يستطيع أي عقل أن يفقهها، لأن العقل سُمي عقلٌ لأنه عقال، يعقل الإنسان يعني يقيده.

سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ سمع القارئ يقول: ﴿ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ** ﴾ (١٥٢آل عمران) فصرخ ووقع مغشي عليه، وبعد أن أفاق قالوا له: لِمَ فعلت ذلك؟ فقال: أوما سمعتم هذا العتاب؟ فقالوا: وما العتاب الذي في هذه الاية؟! فقال لهم: الله يقول لكم: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة،.. وأين من يُريدني؟!!.

يعني أنتم تريدون الدنيا وتريدون الآخرة، لكن هل يوجد أحدٌ يريد الله؟ فهنا الإشارات، وهذه أذواق عالية ترتشف من رحيق القرآن هذه المعاني السامية.

سيدنا رسول الله أراد أن يوضح لأصحابه وأحبابه خاصة الخاصة أمامهم، فقال كما ورد ببعض الأثر: ((يا أبا بكر أتذكر يوم يوم؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أتذكر كيت كيت؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال سيدنا عمر: يا رسول الله كأني أعجمي بينكما وأنت تتكلم مع أبي بكر!.)) ...

عرَّفهم أن هذا صاحب إشارات عالية، وهذه الإشارات في قوله ﷺ:

{ مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شَيْئَاً إِلَّا وَصَبَبْتهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ } [٣٧]

ولذلك هو الذي كان يفهم الإشارت، فعندما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ (النصر) سيدنا أبو بكر أخذ يبكي، فسألوه: لماذا تبكي؟ فقال لهم: هذه الآية تنعي رسول الله، فإن (تواباً) معناها في اللغة يعني رجَّاعاً، فما دام جاء الفتح واتسع، فأنت تأتينا ويكفي عليك هذا، وهم يكملون المشوار.

والأمر من عصره إلى يومنا هذا مع كل الصالحين في أي زمان ومكان، عندما يفتح الله عليه الفتوحات، ويأتيه الناس من هنا ومن هناك، يقول له: يكفي هذا، لأن هذا تأتي معه الدنيا، ولا نريد أن تدخل معك الدنيا بشيء.

ولذلك سيدي أبو العباس المرسي ﷺ يقول: يكون الرجل بينهم ولا يعرفونه، فإذا مات دخل في طريقته أضعاف أضعاف أضعاف ما دخل في حياته!!.

في حين أن المفترض يكون الإنتفاع به وهو موجود، فهذه السُنَّة الإلهية والوراثة المحمدية الصحيحة الكاملة.

فلا بد للإنسان أن يجتهد حتى يُشغل القلب، والقلب يكون فيه الذوق، والذوق فوق العلم، ولا يوجد أحدٌ ينتقل في طريق الله إلى ديوان العارفين، أو سجلات الصالحين إلا إذا كان ذا ذوق سليم وحال مستقيم.

والذوق السليم يُدرك ما لم يُدركه غيره، كما قلنا في سيدنا أبي بكر، أيضاً عندما كان سيدنا رسول الله في حجة الوداع، قال:

{ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا }

فبكى سيدنا أبو بكر ... ، ولما نزل قول الله تعالى:

---

٣٧ أورده ابن الجوزي، وابن القيم

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة٣)

أيضاً بكى وقال: هذا نعي رسول الله ﷺ.

من الذي فهم هذه الإشارة في هذه الآية؟

سيدنا أبو بكر فقط، لأن الله ﷻ أعطاه ذوقاً عالياً، فأصبح يُدرك به الأسرار الغالية، والعلوم الراقية التي في كتاب الله، والتي يسمعها من حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

ولذلك خطب خطبة بعد انتقال سيدنا رسول الله إلى الرفيق الأعلى، وكانت من جملة واحدة، لكن عندما تُفصصها تحتاج إلى مجلدات، فصعد المنبر وقال: ((الحمد لله الذي لم يصل أحدٌ إلى معرفته، إلا بالعجز عن معرفته)) ونزل.

هذه الجملة يحتاج تفصيلها إلى مجلدات كثيرة، فلن يصل أحدٌ إلى معرفة الله إلا إذا عجز، لأنه سيبذل كل ما في وسعه ولن ينال شيئاً، فماذا يفعل؟ يتسلح بسلاح العجز، وعندما يدخل على الله ﷻ عاجزاً يُعطيه الله من قدرته، وعندما يدخل على الله جاهلاً يُعطيه الله من علمه، وعندما يدخل على الله ذليلاً في نفسه يعزه الله بعزّه، وهكذا.

أهل خشية الله

إذا وصل الإنسان إلى هذه المقامات، وهو مقام الأذواق العالية، فلا يقول ولا يُصرّح بكلام للفخر ولا للشهرة ولا للرياء ولا للسمعة، وإنما كما قال الله:

﴿ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب٣٩)

الرسالة التي تأتيه يُبلّغها، إذا كان جالس مع أحد وجاءته رسالة يبلغها، وإذا لم تأته رسالة يظل صامتاً لا يتكلم ولا يتحدث، وهنا يكلمه الله بالحال ويمده بالحال:

((بالحال تزكية النفوس، لا بالدروس ولا بالفلوس)).

فإذا لم يصل إلى هذا الحال !!! ويريد أن يظهر!!

سيُظهر ما لا يُطاق، ويوقع غيره في النفاق !!! وهذه المشكلة الصعبة العويصة التي يتعرض لها الدعاة إلى الله ﷻ في كل زمان ومكان.

كنت في رحلة للأقصر، وكانت الآيات التي نفسرها آيات عظيمة:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ (النساء) كلها تتحدث عن رسول الله، والكلام في رسول الله محببٌ إلى القلوب وإلى الأرواح على الفور، وكان الكلام من فوق العرش.

وفي آخر الحديث حضرنا رجلٌ مُحب لنا، وهو إمام مسجد كبير، ولكنه لا يزال قادماً من فكر المتشددين، فختمت الحديث، وألغيتُ الذكر في هذا اليوم، لأنه لا يتحمل هذه الأمور، وأكملت الآيات بتفسير شرعي، لماذا؟

الإمام أبو العزائم يقول لنا في مذكرة المرشدين والمسترشدين:

((لا على الداعي أن يُضيّع ليلة كاملة على أن لا يُظهر سراً لغير أهله))

وضرب مثالاً فقال:

((لو كان في الجلسة ألف رجلٍ من أهل مقام الإحسان، ورجلٌ واحد من أهل مقام الإيمان، فلا عليه أن يُضيّع الليلة بأكملها في الحديث في مقامات الإيمان، حتى لا يُظهر سراً لغير أهله)).

لن يستطع ذلك إلا المتمكن الذي فنى عن نفسه وحظه وهواه، وأصبح يتكلم بالله ليُبلّغ رسالات الله على حسب قدرة الجالسين أو الحاضرين في مواعين قلوبهم التي أوجدها الله ﷻ، وهؤلاء يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ:

وإذا دعـــاهم أن يـــدلُّوا غيـــرهم	قـــاموا بحـــولٍ منـــه لا بفخـــار
يـــدعون والرهبـــوت مـــلء قلـــوبهم	بالهـــدي هـــدي المصـــطفى المختـــار
وإذا رأيـت الخلـق مقبلـة فـلا تـركن	ركـــون مقـــربٍ مـــن نـــار

يعني إذا فتح الله عليك والناس تجمعوا من حولك، فإياك أن تغتر بهؤلاء الناس، وماذا يفعل لك الناس؟!!

هب أن الخلق جميعاً مشوا خلفك، فماذا تصنع بهم؟! وماذا يصنعون لك؟!

إذاً ماذا نفعل؟

فخـــلِّ الخلـــق خلفـــك ثـــم عامـــل بصـــــدقٍ ذات مـــــولاك العليـــــة

إياك أن تجعل الخلق محل نظرك أبداً، لكن ما محلُ نظرك؟ الله ﷻ، فهنا الإنسان لا يُظهر الإشارات لأهل العبارات، ولا يُظهر الرموز لأهل الإشارات، ولا يفتح الكنوز لأهل الرموز، لكل قوم مشربهم، وهو ساقي، ولكن الذي يفيض عليه هو الله ﷻ من سواقي عزته وكرمه وجوده ﷻ.

كان سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه يقول:

((سواقِيَّ على المحيط لا تنفد أبداً))

ويقصد بالمحيط سيدنا رسول الله ﷺ، لأنه محيط بكل الأنوار وكل العلوم وكل الأسرار، فلا تنفد هذه السواقي ولا تنتهي.(سواقى جمع ساقية وهى أداة سقيا الماء من الترع والأنهار).

لكن لا يُظهر سراً إلا لأهله، ويستعد لذلك، كان سيدي أحمد البدوي أحياناً ينام بعد الظهيرة، وفي ذات يوم من الأيام قام من النوم فقال: سيأتينا الآن رجلٌ صادق وسنتحدث معه في علوم عالية – هو بُلِّغ بذلك، ولابد أن يُبلَّغ – وفعلاً فوجئوا برجل جاءه، ومكث الشيخ يتحدث معه ما شاء الله في علوم لم يسمعوها من قبل، ما هذا؟ هذا رزق هذا الرجل، فهي أرزاق يسوقها حضرة الرزاق ﷻ.

فالذوق هو الأساس لمن أراد أن يكون من هؤلاء الناس، وهذا الذوق يجعل الإنسان راقياً، وفي رقيه على أخلاق الأنبياء، وعلى ورع الأصفياء، وعلى محبة الأتقياء الأنقياء.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا دوماً الذوق السليم والحال المستقيم، والخُلُق الكريم والمنهج القويم، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس الرابع

منهج الداعي إلى الله

منهج الداعي إلى الله[٣٨]

من يرغب في سرعة الفتح من الله، وإشراق العلوم الوهبية من الحضرة المحمدية على قلبه، وينطق بلسان الحكمة الربانية محفوظاً في نطقه من الأهواء النفسية والشيطانية، فعليه بعلوم العصر لرجل العصر، فإني أرى كثير من الأحباب وخاصة الدعاة يبحثون في الكتب القديمة والحديثة ليحصلوا على معلومات لم يُسبقوا فيها، حتى يمتدحهم الناس بأن لهم السبق في هذه المعلومات.

والحقيقة قد رأينا في علوم الإمام أبو العزائم علوم لا تُعد ولاتُحد، ومولانا الشيخ مُحَمَّد علي سلامة ﷺ وأرضاه كان يُفتت لنا بعضها، وأنا مشيت على نفس النهج، فأحاول أيضاً أن أُفتت بعضها، يعني قمنا بعمل ما يزيد عن مائة وعشرون كتاباً ولم نأخذ إلا أقل من القليل.

العبارة الواحدة في كتاب من كتب الإمام أبو العزائم تحتاج إلى مجلد كبير لشرحها، ولذلك عندما كان يُملي القصائد أو الكتب كان هذا الإملاء يكون نتيجة وحيٌ اسمه الإلهام، لأن الإلهام نوعٌ من أنواع الوحي، فكان يغيب عن نفسه، وكان يقول:

أغيب عني وأُملي لمن بِسرِّي تحلى
لستُ المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى

أحد الأحباب احتار في هذا البيت، فرأى في المنام سيدنا رسول الله ﷺ خلف ستارة، وأمامه الإمام أبو العزائم، سيدنا رسول ينطق الجملة فيعيدها الإمام أبو العزائم، يعيد ما أمدَّه به النبي السعيد ﷺ، هذه العلوم من أين أتى بها؟ قال:

أنا غارقٌ في بحر نورٍ مطلقٍ لا برَّ يحصرني ولا ملاح
من رام يعرفني تجرَّد عن سوى نصّ الشريعة إن أراد فلاح
النور محظورٌ على أهل الهوى والحظ، بادر نعطك الأقداح

انزع الهوى والحظ تأخذ هذه الأقداح، كم علم تعلمته؟

٣٨ الأقصر – إسنا – طومية طفنيس ٢٨ من جماد الأول ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/١/٢٣م

قال:

فمائـــة مـــن الآلاف عشـــرون بعـــدها مشـــــارب رســـــل الله بالإجمـــــال
فلـــي قـــد تجلـــت بـــل وفـــيَّ قـــد انجلـــت فســـلِّم لنـــا تحظـــى بخيـــر وصـــال

مائة وأربع وعشرون ألف بحر من بحار النبوة، وإذا كان بحر النبوة الأعظم ﷺ يكفي، فما بالك ببحار الأنبياء والمرسلين؟!!

فليت الأحباب لا ينسوا أن يأتوا بكتب الإمام أبو العزائم ويقرأوها ويفصصوها، والأستاذ الدكتور العظيم في الجامعة لا بد في بدايته أن يكون معيداً، ومعيد يعني يعيد كلام أساتذته، فالدكتور إذا طلب من المعيد أن يدرّس مادة مكانه فإنه يُدرِّس من كتاب الدكتور، ولا يأتي بكلام غيره، والقسم يكون له منهج، وأي فرد في القسم يدرِّس لا يخرج عن المنهج.

فالذي يُريد أن يمشي على المنهج، فهذا هو المنهج، يتكلم من كلام الإمام أبو العزائم، أو كلام الشيخ مُحَمَّد علي سلامة، أو يتكلم من كلامي، لكن الذي يريد أن يكون منفرداً بأسلوب خاص به، فلست أنت الذي تعمل، لكن ربك هو الذي يعمل، وأنت لو أردت أن تعمل فلن تعمل، فإذا أراد هو أن يعمل لك سيعمل، لكن هذا المنهج الذي مشيناه وعرفناه.

متى يُوفق الأخ ويجمع الله عليه الأحباب والصادقين؟ إذا مشى على هذا المنهج، فهذا المنهج المعتمد من الحضرة المحمدية لهذا الزمان.

أما إذا مشى مع نفسه، فإنه إذا تكلم في الشرق وفي الغرب ويأتي بعلم من هنا ومن هنا، فإنه كالصياد الواقف على شاطئ البحر ويرمي الشبك هنا وهنا ولا يخرج له إلا خشب.

لكن كل زمان كما قال الله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة) هناك بيان خاص في كل زمان، معه الجذب الإلهي لقلوب هذا الزمان، فأنت تريد أن تأتي بمنهج سيدي عبد القادر الجيلاني، فعلى العين والرأس لكن ليس لهذا الزمن، أو تأتي بمنهج سيدي أبو الحسن الشاذلي، فهو أيضاً ليس لهذا الزمان.

المنهج القديم الذي كان في جامعة بغداد، والذي كان في جامعة الأزهر في الزمن الفاضل، والذي كان في جامعة قُرطبة كانت مناهج فاضلة، لكن لا يصلح تدريسها الآن في الجامعة، فماذا أُدرِّس؟ أدرس المناهج العصرية الحديثة.

وأنا أعتقد أن الإنسان إذا أخلص في طلب العلم، وهو يطالع في الكتاب تكون الإمدادات الإلهية نازلة على قلبه من كنوز حضرة الوهاب، ولذلك كما قلت جاءت في العبارة كتب، من أين؟ فيض من حضرة الوهاب على قلبه، لماذا؟ لأنه يطلب العلم للعمل، لا للجدل ولا للكلام.

فنطلب العلم للعمل أولاً، وعندما نكلم الناس لا بد أن نعمل كما كان سيد الناس، فإني أحزن عندما يقولون لي: فلان هذا مكث في خطبة الجمعة ساعة، لماذا يا أخي؟! لماذا لا تمشي على منهج مشايخك؟! جئت بخمس نماذج في الخطبة، فيكفي نموذجين، وبعد الخطبة لو تريد أن تكمل، أكمل لمن أراد أن يجلس ...

فهذا العصر عصر التخفيف.

وأيضاً مجالس الأحباب، أحدهم يظل يتكلم ساعة، لماذا؟ .. فالجماعة الذين معك يريدون إشارات فقط ولا يريدون عبارات، فاذكر لهم الإشارات واتركهم يفكُّوا العبارات التي فيها.

هو يريد أن يكون له قدر، وهذا الأمر لن يتأتَّى إلا إذا ماتت النفس، ومشايخك هم الذين يوجهوك، لكن طالما أنت تحفظ وتقول، فامشي كما تشاء.

أنا أكون في عنفوان الدرس، وأجد خاطر يقول لي: انهي الدرس، لأني لا أريد أن أقول ولا أريد أن أتكلم، فهي أرزاق يسوقها حضرة الرزاق ﷻ.

فالعلوم الوهبية الإلهية لهذا الزمان هي التي جاء بها الإمام أبو العزائم ﷺ، ولذلك تجد الأحباب معظمهم لم يضع نفسه في دائرة جهاد النفس، وإذا تكلمت معه في جهاد النفس كأنك تكلمه في فرنساوي أو إنجليزي أو لوغاريتمات أو شئ آخر، لماذا؟ لأنه لا يريد جهاد النفس، ويريد أن يظل على هواه وفي نفس الوقت يريد أن يأخذ مناه، وهي المشكلة العُظمى، لأنه لو لم يأخذ مناه ينسب ذلك للشيخ ويقول: الشيخ لا يعطيني لأنه لا يحبني، وماذا مع الشيخ فيعطي نفسه حتى!!، لأن المعطي للكل هو الله ﷻ.

الشيخ الذي أدخل ابنه الخلوة وأعطاه الأوراد، ولم يُفتح عليه، فأعطاه أوراد أُخرى فلم يُفتح عليه، وأدخله الخلوة ثلاث أو أربعة مرات، وفي النهاية قال له: يا بني لو كان الفتح بيدي لكنت أول مريد عندي في الطريق !!!

لكن الفتح بيد الله يؤتيه من يشاء.

لا بيدي ولا بيد أحد، ولذلك تجد كثير من أولاد المشايخ ليس معه شيء، لأن الفتح بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فعندما ينخرط الإنسان في كلام الإمام أبو العزائم ويريد أن يطبق تجده مركزاً على جهاد النفس، ووسائل الفتح الإلهي، ويتكلم بعد ذلك عن الفتوحات الإلهية والربانية وأنواعها ليزن نفسه، لأن الإنسان عندما يمشي في طريق الله وليس معه المربي الرباني ولا يستحضره معه على لوح قلبه، فجائز أن يدخل الشيطان ويلبّس عليه ويقول هذا هو الفتح، وهذا يكون استدراك.

والذي يُخرجه من هذه الأمور كلها هو الولي المرشد الذي يستحضره على لوح قلبه، ويوجهه وينصحه ويُخرجه من هذه المتاهات التي يقع فيها، وتُسوِّل النفس له أنه فتح، وهو بعد في الحقيقة عن حضرة الله تبارك وتعالى.

فنحن في حاجة إلى قراءة هذه الكتب، وفي حاجة كذلك إلى مطالعة حياة العارفين الصالحين السابقين والمعاصرين، ونركز فيها على أمرين اثنين، كيف ربَّى نفسه حتى وصل إلى الفتح الإلهي؟ وكيف ربَّى المريدين حتى وصلوا للفتح الإلهي؟.

ولا نركز في الكرامات، والتي قد تكون من تأليف المريدين وينسبونها للمشايخ، والمشايخ برءاء من كل هذه الكرامات ولا يحتاجون إليها، لكن نركز على كيف تربَّى حتى جاءه الفتح؟ وهل تربَّى بمربي أم بغير مربي؟ لأننا في هذا العصر انتشرت أمراض النفوس، وأعتاها وأكثرها مرض الكبر.

ولذلك أتعرض لهذ السؤال كثيراً: هل هناك ضرورة للشيخ؟ يعني هو يريد أن يرتقي بدون شيخ، فأنا أجيبه حتى تكون الإجابة دقيقة وأقول له: لا بد من الشيخ، وهذا الذي أعرفه، لكن الكثير لا يريد أن يكون له شيخ حتى لا يكون لأحد منةٌ عليه، ولكنها حكمة الله.

وهل يوجد أحدٌ تخرج من مدرسة ابتدائي بدون مدرسين؟ أو هل يوجد من يقرأ القرآن بدون قارئ للقرآن علمه كيف يقرأ القرآن؟ وهل يوجد من يتقن مهنة – حتى ولو اللعب – بدون معلم بارع في هذه المهنة؟ لا، وهي سُنَّة الله ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً.

فلِمَ تريد أن تصل الى الله بدون شيخ؟! أنت لا تعرف الطريق، وطالما لا تعرف الطريق فتحتاج إلى دليل، وهي طريق غير محسوسة ولكنها معنوية، وأنت بينك وبين الله نفسك، فإذا خرجت من نفسك وجدت أُنسك بالله على الفور، كيف أخرج منها؟ هذا يحتاج إلى جهاد، وتحتاج إلى من يأخذ بيدك ويدلك على هذا الجهاد الذي يوصلك إلى الواد المقدس طُوى، لكن لا يمشي الإنسان وحده بدون شيخ!!.

بعض الناس يتعلل ويقول: أنا سمعت أن الإنسان إذا لم يجد الشيخ يجتهد في الصلاة على حضرة النبي ﷺ، وهذا كلام صحيح، ولكنهم لم يقولوا: تجعل من الصلاة على النبي شيخك، ولكنهم قالوا: تجتهد في الصلاة على حضرة النبي لأنك ببركتها يدلك الله على الشيخ الذي يأخذ بيدك.

فيقول: وهل أستطيع أن أتربَّى على يد النبي؟ وكيف يتأتَّى ذلك؟ هل يوجد طالب في الكلية يتربَّى على يد عميد الكلية، أو يتربَّى على يد رئيس الجامعة؟؟! لا، كذلك الأمر، فهم درجات عند الله، ولا بد للإنسان في البداية أن يكون له شيخ يأخذ بيده، وهذا الشيخ كما قال إبن بنا السرقسطى فى المباحث الأصلية):

إنمـــا القـــوم مســـافرون لحضـــرة الله وظـــاعنون
فـــافتقروا فيـــه إلـــى دليـــل عـــالمٍ بالســـير وبالمقيـــل
قـــد ســـلك الطريـــق ثـــم عـــاد ليُخبـــر القـــوم بمـــا اســـتفاد

من يُريد أن يذهب إلى مكان لا يعرفه، وهناك أناس يعرفون هذا الطريق، فهل يجوز أن يقول: سأجرب وأمشي وحدي بدون دليل حتى أصل إلى هذا المكان؟! سيتوه، وقد تخرج عليه الوحوش فتأكله، أو يموت من العطش، لأنه لا يوجد مياه في الطريق إلا في أماكن محدودة ويعرفها الأدلاَّء، فكيف يصل؟ لا بد أن يكون معه دليل.

فأنت تحتاج إلى دليل عيَّنه الحبيب المصطفى ﷺ حتى يأخذ بأيدي الناس،

ويوصلهم إلى مراد رب الناس تبارك وتعالى.

هذا الدليل ما أول شيء يعمله معي؟ جهاد النفس، وجهاد النفس إرادتك أنت، لأنني لا أريد منك شيء، تريد أن تجاهد نفسك فأهلاً وسهلاً وأنا أساعدك وأعينك لوجه الله.

وإذا كنت لا تريد أن تجاهد نفسك، فماذا أصنع لك؟ أنصحك وكفى ولا غير ذلك، لكن من الذي يريد أن يجاهد؟ من كانت عنده بُغية، وعنده أمل، وأمله أن يكون معه شيء من أحوال الصالحين، وبُغيته أن يكون من عباد الله المقربين.

وهذا لا بد أن نساعده ونعينه على وصوله إلى بُغيته، ولكن الأمر كله يعتمد على استعدادك وإرادتك وطلبك.

تضحك عليَّ وتكذب عليَّ، فأنت تضحك على نفسك، وتغش نفسك، لأنني لا شأن لي بهذا الأمر: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣الزمر) هؤلاء الذين يمشون معنا، لأنه جاء بالصدق ومصدق به، لكن تكذب، فهل تكذب عليَّ؟ لا، أنت لك رغبة ولك بُغية وتريد أن تصل لها، وأنا ليس لي شيء عندك، ولن آخذ منك شيئاً، لأن الأمر كله لوجه الله.

نور الصدق هو الذي يوصل إلى يقين الصادقين، لذلك لا بد أن يكون السالك صادق في كل أحواله مع شيخه.

ونقيس ذلك بعالم الطب، ذهبت للطبيب وأنا أعاني من ألم ما، وقلت له كلام غير الحقيقة، والطبيب يُشخِّص بناء عن كلامي، حتى ولو رأى بالأجهزة، وحتى العارف لو رأى بعين الكشف، لكنه يُقرر بما تقوله بلسانك ...

لأنك أنت الذي تريد، وسُنَّة الله هكذا.

فأنت تقول له غير الحقيقة، فهل يعطيك الدواء المناسب؟ لا!!!

ولذلك يجب أن أُعطيه الحقيقة كاملة، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: لو ذهب المريض إلى الطبيب، وكان داؤه أو مرضه في موضع عورته، فلا بد أن يكشفه للطبيب ليأخذ الدواء المناسب، قال: كذلك المريد الصادق لا بد أن يكشف

للمرشد الرباني عوراته المعنوية حتى يعينه على التخلص من هذه الرذائل النفسية والإبليسية، ويجمِّله بالجمالات الملكوتية.

نريد أن نجعلك مَلَكاً، لكن أنت معك شيء من الصفات الإبليسية، وشيء من الصفات الحيوانية، وشيء من الصفات النباتية، وهذه تعوقك عن الرتبة الملكوتية، فلا بد أن تتخلص منها بالتدريج بمعونة الله، وببركة رسول الله، وبتشخيص العارف الرباني الذي يصف لك الداء والدواء.

ولو جادلت عن نفسك، فيقول لك قلبياً: هذا فراق بيني وبينك، لماذا؟ قال:

((كن مع المرشد على نفسك، ولا تكن مع نفسك على المرشد))

لأنه لا يريد منك شيء، وأنت المحتاج إليه، وأنت من يبحث.

فأنا أوجّه إخواني وخاصة المتحدِّثين أن يتكلموا من كلام الإمام أبو العزائم، وينظرون إقدام الناس عليهم ماذا يكون؟! فالكلام الذي أتوا به من هنا ومن هنا، لا يجد قبول عند الخلق، ولا يجد صدى في الأفئدة، ويخطب هنا ويتكلم هنا وتجد المحصلة في النهاية لا أحد قد أقبل عليه، لأنه لم يستخدم الدواء العصري الذي يصل إلى القلوب، ويُدخلها إلى حضرات القرب من حضرة علام الغيوب ﷻ.

أنت منتسب إلى مدرسة، وأي واحد منا يتكلم باسم المدرسة ... إما كلام الإمام أبي العزائم، ... أو كلام الشيخ مُحَمَّد علي سلامة، .. أو كلامنا، .. لكن أنت منتسب لمدرسة وتتكلم باسمها وتأتي بكلام فلان والثاني والثالث والذي هو مخالف لمنهجنا، ... فهذا لا يصح ولا ينفع.

وكمثال، نحن نمشي على منهج التيسير، وبعض إخواننا يمشون على منهج التشدد، وهذا مخالف بالكلية، فنحن نمشي على المنهج النبوي، وقد كان ﷺ يُشدِّد على نفسه، ويُيسر على غيره.

وُوجد المتشددين في عصرنا، يشددون على الناس، وييسرون على أنفسهم، فيفسروا الفتاوى على هواهم لتلائمهم، ويشددوا على الناس، وعندما يفعل ذلك أحد أحبابنا، فهل يمشي على منهجنا أم يمشي على منهج المتشددين؟!!

كل كلام قيل في الزمن القديم أصبح له لون آخر في الزمن الحديث، فالناس قديماً كانوا عندما يتكلمون عن الموت، يتحدثون بصورة تجعل الناس يبكون ويحزنون ويقولون: حتى يخاف الناس، فيقولون: الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف، ووجه ملك الموت شكله كذا، وسترى في سكرات الموت كذا وكذا.

ولو نظرنا في الحقيقة في أحاديث رسول الله وفي كلام الله، لوجدنا أن الموت ليس كذلك، فالموت هو الحياة: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ (٢٤الفجر) ليس لموتي، فهي حياة، ولكن حياة أُخرى، فالجسم يتوارى، لكنه يحيا حياة أخرى، إما في روضة من رياض الجنة، وإما في حُفرة من حفر النار، ونحن لا شأن لنا بهذه الحفرة والحمد لله.

هذه الروضة من رياض الجنة، أين العذاب الذي فيها؟ نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَأْسِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ:

{ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ارْفُقْ بِصَاحِبِي فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: طِبْ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا، وَاعْلَمْ أَنِّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ }[٣٩]

فهل بعد ذلك من بشرى؟! هذه بشرى بشَّرنا بها رسول الله على لسان ملك الموت، وسيدنا رسول الله أقسم:

{ وَاللَّهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ }[٤٠]

وهل عندما أنام أتعب؟ أتعب في حالة واحدة إذا ارتكبت ظلماً شديداً في هذا اليوم لأحد من الخلق، فالضمير يؤنبني، لكن لو ليس عليَّ شيئاً للخلق أنام وأنا مستريح الضمير، فكذلك الموت مثلها: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (٣٢النحل).

فعندما يكون أحد الأحباب وينتسب إلينا ويتكلم باسمنا، ويتكلم عن الموت بالأسلوب القديم! فهذا لا يصح، وهذا من العجب العجاب!، وقس على ذلك.

لا بد أن تعرف مصطلحاتنا وتتكلم منها، والمصطلحات القديمة غيرناها في عصرنا

---

٣٩ معجم الطبراني ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد

٤٠ ورد في أنساب الأشراف للبلاذري عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم ﷺ

لأننا رجعنا إلى الزمن الأول، وهؤلاء أخذوها من فكرهم ومن نتيجة تحصيلهم، لكننا أخذناها من الزمن الأول مباشرة، كما يقول الإمام أبو العزائم:

((ما قد مضى قد عاد نوراً مشرقاً))

يعني هو قد رجع مرة ثانية، وأتى لنا بالأمور التي كانت في عصر رسول الله ﷺ وحقائقها القويمة.

فعندما يتكلم أحد، يتكلم من منهج الإمام أبو العزائم، أو يتكلم من شروح الشيخ مُحَمَّد علي سلامة، أو شروح العبد الفقير، فكل كلامنا شروح لهذا الكلام ولا جديد، ففيه إلهام صحيح على قدر العصر، ويمشي على المنهج الذي رأيناه وعاصرناه.

أنا عاصرت الشيخ مُحَمَّد علي سلامة، وكنت أحسب له خطبة الجمعة بالساعة مرات لا تُعد، فكانت لا تزيد عن سبع عشرة دقيقة في الخطبة الأولى والثانية، وتسمع فيها موضوعاً ممتعاً للسامعين، ويستفيد منه الحاضرون ومُوفى.

أما الذين يمكثون ساعة، ويقلدون المُحدثين، حتى يقول الناس عنه عالم، ويأتي كل ما عنده من هنا ومن هنا، وجائز أن يأتي بموضوع غير متواصل، لقطة من هنا ولقطة من هنا، لكن كان الشيخ مُحَمَّد على سلامه يقول لي:

((لا بد للناس أن يستفيدوا شيئاً من خطبة الجمعة، ويخرجوا به ويمشون على هُداه، وهذا المقصد من خطبة الجمعة.)) .

نحن نريد من الأحباب أن يسيروا على المنهاج القويم الذي تعلمناه من مشايخنا رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، وكتب الإمام أبو العزائم موجودة، ومن لم يستطع شراءها فهي موجودة على الإنترنت ويستطيع أن ينزلها.

تم طباعة عشرة أجزاء من التفسير فقط، لكن تفسيره ليس له نظير، فأنا أقرأ كتباً لكثير من المفسرين فلا أجد نظير لتفسير الإمام أبو العزائم، معلومات جديدة ومفيدة وحميدة، ولم يأت بها السابقون، وهكذا قس على ذلك بقية الكتب، لذلك نحن في حاجة أيضاً أن نراجع هذه الكتب مرة أخرى.

وأنت لو راجعتها للعمل بها وأخلصت، ستنزل عليك الأحوال، وتُفاض على

قلبك المعاني، وتكون ربما كما يقول بعض الصالحين:

((ربما يُفتح على المرء بمقام الكشف وهو في الإطلاع))

عندما يقرأ بصفاء ليعمل يدخل في الصفاء، ... فعندما يقرأ يرى ما يقرأه، حتى ولو كان يقرأ شيء شرعي، مثل وضوء رسول الله، فيرى أمامه سيدنا رسول الله عياناً وهو يتوضأ.

أو يقرأ في سيرة أحد الصالحين، فيجد ربما هذا الرجل الصالح يأتيه ويحادثه، .. فيأخذ مقام الكشف في القراءة وليس في العبادة ولا غيره.

الشيخ محي الدين بن العربي ﷺ وأرضاه:

شاهد كل أرواح الأنبياء والمرسلين السابقين وسألهم عن الأمور المذكورة عنهم في القرآن، وأخذ الردود البليغة منهم، وسجل بعضها في كتاب قد لا يتحمله بعض الناس وسمَّاه (فصوص الحكم) فيقول مثلاً:

حضرت روح النبي سليمان فكلَّمته في كذا، وسألته عن كذا، فأجابني بكذا وكذا، وحضرت روح النبي يوسف وسألته عن كذا، فأجابني بكذا وكذا، ..

أين كان هذا الكشف؟

في القراءة والاطلاع ولكن بصدق وإخلاص وصفاء.

ولذلك أعلى نافلة في النوافل التي تقرب إلى الله هي طلب العلم:

لأن طلب العلم ليس نافلة ولكنه فريضة، فهي أفضل عبادة تتعبد بها لله في هذا الزمان، أنك تطلب العلم للعمل به.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس الخامس

جهاد النفس

جهاد النفس[٤١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) لا بد لكل مؤمن من جهاد في الله، والجهاد الذي طلبه منا الله هو الذي قال فيه ﷺ عندما كان قادماً من غزوة تبوك:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[٤٢]

جهاد النفس والهوى هو جهاد العارفين وجهاد الصالحين، وكثير من المريدين قديماً وحديثاً يظن أن الجهاد وقفٌ على العبادات، فيجاهد في قيام الليل، ويجاهد في صيام الأيام الفاضلة، ويجاهد في تلاوة القرآن، ويجاهد في أنواع الأذكار، ويجاهد في تلاوة الأحزاب الواردة عن الصالحين الأكابر، وهذا جهاد العُبَّاد، والعُبَّاد مقصدهم الجنة، ويريدون الأجر نظير ما عملوا، والله سيعطيهم الأجر وزيادة.

لكن كُمَّل الصالحين يطلبون المنَّة وليست الجنة، وما المنَّة التي يريدونها؟ يطلبون النظر إلى وجه الله، وأن يرفعهم إلى مقام الرضوان الذي فيه الإنعام الخاص لخواص المتقين من عباد الله، وهذا الجهاد الذي كان عليه معظم أصحاب رسول الله ﷺ.

صحيح كان بينهم العُبَّاد، وكان بينهم الزُهَّاد، الذين يزهدون في الدنيا طلباً لنعيم ومُتع الآخرة، لكن كان أكثرهم يقول فيهم رب العباد: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

فهؤلاء أصحاب المقام الأعلى، ولذلك أمر الحبيب ﷺ أن يُصبِّر نفسه معهم، وسيدنا أبو هريرة ﷺ كان كبيرهم، كما قَالَ عنه أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ: كَانَ عَرِّيفَ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَأَشْهَرَ مَنْ سَكَنَهَا.

فكان ﷺ إذا جلس معهم بعد نزول هذه الآية لا يقوم حتى يقوموا، كما ورد:

---

٤١ الأقصر – إسنا – طفنيس ٢٩ من جماد الأول ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/١/٢٤م

٤٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر ﷺ

{ فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا؛ قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ }[٤٣]

فإذا لم يقوموا يظل معهم، لأنه الله أمره أن يُصبِّر نفسه معهم.

ما جهاد هؤلاء؟ وما جهاد العارفين والصالحين في كل زمان؟ يوضحه الإمام أبو يزيد البسطامي ﷺ وأرضاه حين يقول: ((ليست الكرامة أن تطير في الهواء فإن الطيور تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تمشي على الماء لأن الأسماك تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تقطع بين المشرق والمغرب في خُطوة لأن إبليس يفعل ذلك، لكن الكرامة أن تُغير خُلقاً سيئاً فيك بخُلُقٍ حسن)).

إذاً الجهاد الأكبر في تغيير الأخلاق، فأنت ارتضيت هذا النبي ﷺ وجعله الله لك مثلاً أعلى، وقال لنا أجمعين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

ولكي يُفاض عليك شيء من ميراث النبوة، من الأحوال العالية، ومن العلوم الوهبية، ومن التجليات القدسية، ومن المكاشفات الروحية، لا بد أن يكون هناك نسب بينك وبينه، من الذي يرث الأب بعد موته؟ أبناؤه، لماذا؟ كما قيل: ((الولد صورة أبيه)) يعني صورةٌ منه.

فلا بد لكي ترث من رسول الله أن تكون صورة منه، هل صورة من الشكل الظاهر؟ لا، لكن صورة من الصورة المعنوية التي قال فيها رب البرية: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم) **يعني أنت أعلى من الخُلُق العظيم، فلم يقُل له: وإنك لذو خُلُق عظيم، ولكنك أعلى من الخُلُق العظيم.**

أو كالقراءة القرآنية الأُخرى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ خُلُقِ مضاف وعظيم مضاف إليه، والعظيم هو الله، يعني أنت على أخلاق الله ﷻ، ولذلك سماه الله بأسمائه، فالله رءوف ورحيم، وقال في حضرة النبي: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة).

فتجمَّل النبي ﷺ بالأخلاق الإلهية، وهذا السلاح الوحيد الذي يجذب الناس جميعاً إلى الحضرة الربانية، وإلى التوحيد والديانة الإسلامية.

---

٤٣ سنن ابن ماجة والطبراني عن خباب بن الأرت ﷺ

أنت ستعبد الله، وتقوم الليل، وتصوم النهار، فهل لنا شأن بهذا الأمر؟! لا، فهذا يخصك أنت، وستدخل في قول الله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٤٦فصلت) لكننا نريد أن نرى منك الصدق في القول، والأمانة، والمروءة، والوفاء، والبشر، وطلاقة الوجه، والكرم، وهذه الأخلاق الطيبة، وهي التي نحتاجها.

أحد الدول الخليجية أقامت معرضاً في لندن يدعو إلى الإسلام، فذهب رجلٌ إنجليزي وكان مطلعاً ومثقفاً، وقرأ عن الإسلام، فذهب إليه أحد القائمين على المعرض ليريه أقسام المعرض ويرشده، فقال له: ماذا تفعل؟ قال: أصطحبك لتشاهد المعرض، قال له: أنا قرأت عن الإسلام وأعرف عن الإسلام أكثر منكم، الإسلام يدعو إلى الصدق وأنتم تكذبون، والإسلام يدعو إلى الوفاء وأنتم تخونون، والإسلام يدعو إلى كذا وأنتم لا تفعلون، وأخذ يذكر له الأوصاف التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية الآن!.

لأن معظم الناس كل جهادهم في المضمون، يجاهدون في الرزق وهو مضمون، ولكن لا يوجد جهاد في تكميل النفس، الذي قالوا فيه:

أدِّب النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانٌ

ما الذي يعطيك الصورة الطيبة عند الآخرين؟ الأخلاق، وفي نفس الوقت إذا تخلقت بأخلاق سيد الأولين والآخرين.

لماذا جاهدت؟

لأنك تنازلت عن اعتزازك بنفسك، وآثرت أن تتخلق بأخلاق النبي، ولذلك أنا أعجب عندما أرى الكثرة الكثيرة متمسك بما هو عليه، ومعجب بنفسه، ويرى أنه على الصواب ولا ينبغي أن يتغير!.

لكن ضع نفسك في مرآة رسول الله، وانظر أين هو؟ وأين أنت؟

وهي المرآة التي يجب أن تزن بها نفسك على الدوام، فانظر لحلمه، وانظر لتواضعه، وانظر لحنانته، وانظر لشفقته، وانظر لرحمته، وانظر لمودته، وانظر لحسن ملاطفته، وانظر لطيف معاشرته، وانظر للألفاظ العذبة الجميلة التي تخرج من فيه، وحاول أنك تصلح نفسك حتى تكون صورة على قدرك من هذا الكامل الأكمل صلوات ربي وتسليماته عليه.

وجهاد النفس يحتاج لنَفَس طويل وتصميم وعزيمة وإرادة، وبدايته أن أعرف أنني مُخطئ في هذا الخُلُق، ولا بد أن أُغيره، فأنا رجل أرى نفسي مثلاً سريع التعصب وسريع الغضب، وهذ يتنافى مع خُلُق الحلم، فلا بد أن أعرف هذا العيب في نفسي، وأريد أن أكون حليماً، وأنصح لنفسي، وكلما جاء موقف يستدعي سرعة الغضب أضبط زمام نفسي، وألجمها عن سرعة الغضب وأقول لها: النبي قال:

{ لَا تَغْضَبْ }[٤٤]

هذا العلاج الذي أعطاه لنا رسول الله ﷺ، وآخر أعطاه علاج عدم الكذب، فكلما أراد فعل شيء ونفسه تسول له أن يكذب، فيقول لها: وماذا أقول لرسول الله إذا سألني وقد قال لي: لا تكذب؟! فيردُّه دواءٌ واحدٌ من حضرة النبوة، وهذا هو جهاد الصالحين والعارفين.

قد يبلغ الإنسان من السن عتياً ولا يستطيع تغيير خُلُق واحد من أخلاقه، فمتى تتغير؟ وكيف تأخذ هذه الأحوال العلية؟! قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ؛ إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ }[٤٥]

من الذي يرث؟ أشبه الناس برسول الله في أخلاقه، والذين عملوا بالحديث الوارد عن أبي ذر ﷺ حيث قال:

{ أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ بِسَبْعِ خِصَالٍ، فَلَنْ أَدَعَهُنْ حَتَّى أَلْقَاهُ، أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَلَا أَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ، وَلَا تَأْخُذُنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }[٤٦]

---

٤٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٤٥ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ
٤٦ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري

وكما قال ﷺ لعقبة بن عامر ﷺ:

{ يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ}[٤٧]

كل خُلُق من هذه الأخلاق كم يحتاج من الوقت حتى يتخلق الإنسان به؟! فالنفس لا تتركك، والنفس دائمة الإلحاح على الإنسان لكي تخرجه عن رضا حضرة الرحمن، وعن اللحاق بميراث النبي العدنان ﷺ.

لماذا يصحب الناس العارفين؟ لأن النفس تسول للمرء أن تغيير هذه الأخلاق في هذا الزمان صعب، كيف أكون في هذا الزمان الذي كله منافقين، والكذب أصبح وسيلة لجلب الأرزاق، وللسعي إلى ما يريد الإنسان من مناصب ومكاسب وغيرها، فكيف يترك الكذب؟! وكيف يعيش؟! حتى أن التجار يوصون من يتعامل بالصدق، ويقولون: يا فلان سمعنا أنك ستسير على الصدق والأمانة ولن تغُش، فكيف تطعم أولادك؟ وكيف تعيش؟ فكما قال الله: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢الأنعام) ذكر الإنس أولاً لأنهم أخطر.

فيعطي الإنسان نفسه الحجة، ويقول لها:

في زماننا أناس يعيشون ويتمتعون بالأخلاق المحمدية، والله ﷻ ألبسهم ثوب العزة، وجعلهم في عزة لا تُضاهى حتى في الأمور المعاشية، فهم في أرغد عيش، وأسعد حال، وأهنأ بال.

حتى أولادهم يكونون بررة وأتقياء، ما هذا؟ هذه حجج قائمة لله لنعرف أن رسالة سيدنا رسول الله ﷺ ممتدة إلى يوم الدين.

فلا بد أن يكون لله الحُجة البالغة على الدوام في هؤلاء الأقوام الذين يجاهدون أنفسهم، ويتخلقون بأخلاق الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فيُفاض عليهم من أنواره، ومن أحواله، ومن أسراره، ومن عطاءاته، ومن هباته، ما لا يستطيع إنسان أن يتحدث به لأنها شيء فوق الطاقة والقدر والإمكان.

---

٤٧ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر ﷺ

وهؤلاء هم الذين يُعرفوننا كيف نتخلق بهذه الأخلاق مع تناسبها لهذا الزمان، فنسمع من بعض الناس أن الصحابة كان لديهم الوقت ولم يكونوا مشغولين، أما نحن مشغولون بالمعايش وغير ذلك، ونقول لهؤلاء: ومن أين كان يأكل هؤلاء الصحابة؟ هل كانوا يأتيهم المن والسلوى؟!! كانوا كما وصفتهم التوراة: ((سباعٌ بالنهار، ورُهبانٌ بالليل)) أثناء النهار كان كل واحدٍ منهم يخرج إلى السوق، أو إلى العمل، أو إلى تجارته، سيدنا الإمام علي باب مدينة العلم كان رجلاً يعمل على ذراعه، ليس عنده قيراط ولا سهم ولا فدان ولا مزرعة ولا محل ولا شيء أبداً، بل يخرج كل صباح يبحث عن رجل يعمل عنده في هذا اليوم، حتى ولو يهودي، فذات مرة استأجرته امرأة يهودية ليُخرج لها ماء من بئر، والبئر كان عميق، فرفع لها ثلاثين دلواً من البئر وأعطته بكل دلو تمرة، فأخذ منها ثلاثين تمرة، وجاء بها لرسول الله ﷺ فأكل منها ﷺ جبراً لخاطره وتشجيعاً له رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه.

وكان يأكل يوم بيوم، يعمل اليوم ويأخذ الأجر، وينزل إلى السوق فيشتري به قليل من الشعير، ويأخذه للسيدة فاطمة ﵂، فتطحنه على الرحاية، وتعجنه وتخبزه، فيخرج لها رغيف أحياناً أو اثنين ويأكلوا، وليس معه لحم ولا غموس ولا شيء، ولكن كان لا بد أن يسعى ليأكل من عمل يده.

لأن النبي ﷺ حبَّب للإنسان المؤمن أن يأكل من عمل يده، ويجاهد نفسه في الإنطباع على أخلاق رسول الله ﷺ.

ذات يوم دُعي الإمام علي للمنازلة والمبارزة في إحدى المعارك، فكان في بداية الحرب يخرج فارسان من الطرفين، والضرب مباح بأي شيء، فتقاتلا حتى مات تحتهما الفرسين من شدة الحركة، فنزلا وأخذا يقتتلان بالسيوف حتى تكسرت السيوف، فدخلا في مصارعة مع بعضهما، وبعد جهد حمله الإمام علي وألقاه على ظهره – لمس أكتاف – وركب فوقه وأخرج خنجره ليقتله، وإذا بالرجل يبصق في وجه الإمام علي، فقام وتركه، فقال: لِمَ تركتني بعد أن تمكنت مني؟

قال: كنت أقاتلك لله، فلما تفلت في وجهي خفتُ أن أقتلك انتقاماً لنفسي، فقال: وهل تراقبون الله في هذه المواضع؟! قال: وفي أدق منها.

يريد دائماً أن يكون العمل خالصاً لله، تأسياً بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

والنماذج في الصحابة الأجلاء في هذا الباب كثيرةٌ وكثيرة، يعجز المقام عن الإحاطة ببعضها، لكن أريد أن أُعرِّف الجميع أن الجهاد الموصل هو أن تغير الأخلاق التي فيك ولا تتناسب مع أخلاق الحبيب، بأخلاق الحبيب ﷺ.

وهذا لا بد أن يحدث له كما نسمع: (تخلي وتحلي):

تتخلى عن خُلق أنت منطبعٌ عليه، وتتحلى بالخُلق الأفضل والأكمل المواجه له الذي كان عليه الحبيب المصطفى ﷺ.

إذا تخليت وتحليت فتمشي في الأطوار، تخلي وتحلي، ثم تجلي، ثم تملي، فتصعد في هذه الأطوار واحد وراء واحد على الفور.

لكن إياك أن تظن أنك تصل إلى ما وصل إليه الواصلون وأنت بطباعك الإبليسية، وأنت بأخلاقك الآدمية، بل لا بد أن تغير هذه الطباع، وتغير هذه الأخلاق، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

ليس الرُقي إلى العليا بأعمال ولا جهادٍ بأبدان وأموالِ
خُلقٌ عظيمٌ وإيقانٌ ومعرفةٌ بالله ذي الفضل والإحسان والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت وفي خوف المقام تنال القرب بوصالي
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه سعادة أبداً بغير زوال

فالجهاد هو:

تخلق بأخلاق الإله وحافظن على منهج المختار في العقد تُنسق

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُخلِّقنا بالأخلاق الإلهية، وأن يجمِّلنا بالكمالات القرآنية، وأن يجعلنا نموذجاً مصغراً على قدرنا من أخلاق خير البرية، وأن يتنزل علينا بجوده وكرمه حتى ننال منه أكرم عطية، وأن لا يتركنا لأنفسنا ولا لغيره طرفة عين، ويعيننا بعونه وقوته على بلوغ هذه الأُمنية.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس السادس

شروط الشيخ المربي

حياة القلب

شروط الشيخ المربي[٤٨]

سؤال: الطرق الصوفية دخلها كثير من الأدعياء، والذين جعلوا أنفسهم مشايخ، فما الواجب الذي يكون عليه المريد؟ وما الشروط الواجبة أن تكون في الشيخ؟

المريد الذي يريد أن يسلك في طريقة صوفية يجب أن يبحث أولاً عن شروط الشيخ المربي الذي سيتبعه في الآيات القرآنية، لأنه سيمشي خلفه ويسلّم نفسه له، أول صفات وشروط المربي: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف) لا بد أن يكون هذا الرجل صاحب بصيرة.

الشرط الثاني: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) أن يكون معه علم وهبي، كالشيخ الذي بعث الله سيدنا موسى له، فكان معه العلم الوهبي، وقبل العلم معه الرحمة.

الشرط الثالث: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢١يس) لا يطلب مني قليل ولا كثير، فإذا طلب مني فهو رجل فقير، مثله مثلي، فلماذا أذهب إليه؟!.

لكن الشيخ الحقيقي يعطيه مولاه، فلا يطلب إلا من حضرة الله، والله يغنيه بفضله وعطائه عن كل ما سواه، بل هو يُعطي المريدين، كما قيل:

((شيخك الذي يُعطيك ولا يأخذ منك)).

الشرط الرابع: يكون عالم بالشريعة وبالحقيقة، وعاملٌ بهما، لكن جعل نفسه شيخ كبير ولا يصلي! تقول له: لِمَ لا تصلي؟ يقول: أنا أُصلي في مكة، فنقول له: لا شأن لنا بذلك، نحن نريد أن نراك حتى نتبعك، فأنت إمام لنا، وإذا رآك من معك لا تُصلي فلن يصلوا، إذا كنت كما تقول أنك تُصلي في مكة، فلماذا لا تأخذ هؤلاء معك أيضاً؟!.

هذا كلام ما أنزل الله تبارك وتعالى به من سلطان، فلا بد أن يكون عالماً بالشريعة، وعاملاً بها، وإلا كيف سيأخذ الحقيقة؟! لا يأخذ أحد الحقيقة إلا بعد العمل بالشريعة، قال ﷺ:

---

٤٨ الأقصر – إسنا – ديوان البلايكة بطفنيس ٣٠ من جماد الأول ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/١/٢٥م

{ مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَمْ }[٤٩]

الشرط الخامس: أن يكون معه إذنٌ من رسول الله ﷺ بإرشاد العباد إلى الله: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٤٦الأحزاب).

الطريقة الفلانية طريقة قديمة ومشايخهم ما شاء الله أباً عن جد، لكن أنا يهمني الشيخ الحي، فسيدي أحمد الرفاعي لا مثيل له، لكن أي شيخ رفاعي الآن، ما شكله؟ هذه هي الموازين، فلو سيدي أحمد الرفاعي موجود سأسلِّم له لأن فيه هذه الشروط، لكن الآخر الموجود لا بد أن تكون فيه نفس المواصفات.

سيدي عبد القادر الجيلاني كان الفرد الغوث في زمانه، فيقول لي أحدهم: أنا خليفة السادة الجيلانية، فأقول له: على العين والرأس، ما معك من ميراث القطب الجيلاني؟! إذا كان وارث هذه الصفات أمشي معه، لكنه ورث الاسم فقط، أو معه شهادة على الحائط، أو معه كارنيه، فلا شأن لي بذلك، ونحن عقلاء وأذكياء فلا أُسلِّم نفسي لأحد هؤلاء.

لكن أُسلِّم نفسي لمن توافرت فيه هذه الشروط ولا شأن لي إن كان قادري أو غير ذلك، لأن هذا الذي سيأخذني ويعلمني ويمشي معي حتى أصل للقرب من الله ﷻ، فمقولة (ابن الشيخ لا بد أن يكون شيخاً) لا أعلم من أين أتوا بها!!.

في كثير من البلاد يجعلون أولاد الشيخ وإخوة الشيخ كلهم مشايخ، كيف يتأتى ذلك؟! فهؤلاء أولاده الصُلب، لكن الذي ورث حاله وسيقوم مقامه فهذا وارث روحاني تربَّى التربية النورانية الربانية القرآنية، ومعه أحوال هذا الرجل، وشاهدناها وعايناها، وهذا الذي يجب أن نسلِّم أنفسنا له، ويكون هو الشيخ الذي يجب أن نمشي وراءه.

فيجب على المريد أن يكون على شيء من العلم، ويُحكِّم عقله فيما يراه، لا ينقاد لأي إنسان يأخذ بيده ويُدخله أي طريقة، ويجعله يأخذ العهد، ويقول له: طالما أخذت العهد لا تستطيع أن تخرج، من الذي قال هذا الكلام؟!

فأي شيخ في الوجود يأخذ العهد يكون هذا بالنيابة عن سيدنا رسول الله، فالعهد في الحقيقة لسيدنا رسول الله ﷺ.

---

٤٩ حلية الأولياء لأبي نعيم وأحمد عن أنس ﷺ

مشيت مع رجلٍ وظننت أنه من الصالحين، وأخذ عليَّ العهد، واكتشفت بعد وقت أنه ليس من الصالحين، فهل أظل معه بعد ذلك؟! لا، وهل أغش نفسي؟! لا، يقولون: أنت لو تركته سيحدث لك كذا وكذا وكذا، من الذي قال هذا الكلام؟! وهل الصالحين يؤذون الناس؟! وهل الصالحين يتسببون في مشاكل وبلاء للناس؟ لا، فالصالحون يتحملون أذى الناس، ولا يردون عليهم بالمثل.

مثلاً أنا أريد أن آخذ درس في اللغة الإنجليزية، وفلان قريبي يعمل مدرِّس إنجليزي، ولكنه لا يستطيع توصيل المعلومات، وفلان غريب ولكنه يستطيع توصيل المعلومات للطالب، فلمن أذهب؟ هل أجامل قريبي؟! لا ينفع ذلك لأني سأضيّع نفسي، كذلك ليس في طريق الله مجاملات، لأنني أبحث عن مصلحتي، فأُحكِّم فكري وعقلي، وكما قلت مع الأوصاف الموجودة في كتاب الله، حتى أمشي على هدي الله.

فالشيخ كما قلنا هذه شروطه الموجودة في كتاب الله، فإذا لم يجد هذه الشروط، يبحث عن رجل يتكمل على يديه حتى يبلغ مقام المشيخة، ويأذن له رسول الله ﷺ.

لأنه لو أقام نفسه فقد غش نفسه وغش غيره، وهذا يقول فيه ﷺ:

{ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا }[٥٠]

شيخي انتقل إلى جوار الله، فليس لي علاقة بابنه، إلا إذا كان ابنه مثله في الحال والعلم والنور والولاية، فأهلاً وسهلاً وبها ونعمت.

أما إذا كان ابنه بعيداً عن هذا الطريق، فلا شأن لي به، وأبحث عن شيخ عنده حال، وعنده علم، وعنده نور، وأمشي معه حتى أتكمل على يديه.

سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وأرضاه كان شيخ الأزهر في زمانه، ولكنه أخذ الولاية من رجل اسمه الشيخ علي الخواص، وكان رجلاً أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، ويشتغل في صناعة الخوص، ولكن فتح الله عليه فتوحات لا عد لها ولا حد لها، وبلغ مراتب عالية في الكشف والنورانيات، فكان عندما يرى دواة حبر يقول: سيُكتب بها كذا وكذا وكذا، ويذكر كل الكلام الذي سيُكتب بها حتى ينتهي الحبر.

٥٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

ولم تكن في عصره الوسائل الحديثة في الحمامات، فكان كل أهل يصنعون بركة ماء في المسجد، وكانوا يسمونها المغطس، وكانوا يغطسون بها للاغتسال، فكان يذهب للمغطس وينظر فيه ويقول: هذه غطسة فلان!، وهذه غطسة فلان!، ما هذا؟! هذه عيون الكشف.

ما الذي جعل الشيخ الشعراني يسلِّم له؟ كان هذا الرجل يعمل في شارع الحسينية، وشارع الحُسينية يبدأ من باب الشعرية إلى الأزهر، فكان الشيخ عبد الوهاب الشعراني كلما مرَّ عليه وهو ذاهب للجامع الأزهر يُلقي عليه السلام ويقول له: ما اتخذ الله من وليٍّ جاهل، فيرد عليه ويقول: ولو اتخذه لعلَّمه، وفي ذات يوم من الأيام رد عليه وقال له: ولو اتخذه لعلَّمه يا جحش زينب.

فكانت زوجة الشيخ الشعراني اسمها زينب، ولا تمكِّنه من نفسها حتى تركب على ظهره، ويروح ويجيئ بها حتى تهدُّ قواه، من الذي أراه هذا الأمر؟ لا أحد، ولكن أراه الله بالبصيرة النورانية، فسلَّم له.

وظل معه حتى انتقل الشيخ علي الخواص، فبحث عن وليٍّ آخر، فوجد رجلاً في قرية بجوار طنطا اسمه الشيخ مُحَمَّد الشناوي، فجاءه وتكمَّل على يديه، ولم يُعلن نفسه أنه شيخ ولم يطلب مريدين وغيره، لأن قصده الأول أن يصل إلى الله، وأن يأتيه الإذن من سيدنا رسول الله ﷺ.

هؤلاء المشايخ لا يرجون من الدارين سوى رضا الله ﷻ وسيد الكونين.

لكن بعض الناس الآن الذين يدَّعون أنهم مشايخ، لماذا؟

للتجارة!!!

يجعل له ساحة، والناس يوصون بعضهم: لا تذهب للساحة بدون أن تأخذ معك شيئاً للساحة، وهذه تجارة سهلة، لكن أين الرجل الذي في الساحة والذي يُربي هذه الأرواح ويوصلِّها إلى معية الكريم الفتاح؟!

لا يوجد، وهذا هو المهم.

عندما ذهب سيدنا موسى للعبد ...

هل كانت له ساحة؟ أو عنده بواب؟ أو عنده خدم؟ أو مائدة ممدودة؟ لا، بل وجده نائماً على كوم رماد!، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[٥١]

وأهم شيء في هذا الأمر بالنسبة للشباب، عليك بصحبة الشباب الصالح، لأن الذي يوقعه أنه يمشي مع أحد هؤلاء ويثق فيه، ولكنه مُلبَّس عليه أو مُغرر به فيضيع، لكن عليك بالجليس الصالح، ومرافقة الأخ الصالح الذي لن يغشك، وسيأخذك إلى المداخل الرضوانية التي توصل إلى المراتب العلية.

حياة القلب

سؤال: كيف تكون حياة القلب؟ وكيف أعرف أن قلبي حيٌ؟ وما صفات القلب السليم؟

إذا استجاب الإنسان لله وللرسول، وحافظ على التكاليف الشرعية التي أمرنا بها الله، فهذا دليلٌ على حياة القلب، لأن الله قال في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال)

فالاستجابة لما جاء به الله، وبلَّغه لنا رسول الله، والمسارعة إلى القيام بهذه الأعمال طلباً لوجه الله، دليل على حياة القلب، وهذه الحياة الأولى للقلب، وهي الحياة التي نسميها حياة الطائعين.

وبعد ذلك إذا طهَّر القلب من الأغيار، وملأه الله بالأنوار، يحي القلب حياة أُخرى اسمها الحياة النورانية، وهي حياةٌ لها مواصفات أُخرى غير ذلك.

ثم إذا أكرمه الله ﷻ بشروق شمس النبي المختار في قلبه، يدخل في حياة أُخرى روحانية صرفة، وهكذا.

لكن بداية الحياة القلبية:

---

٥١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

الاستجابة لله وللرسول فيما طلبوه منا:

فيسارع إلى أداء الفرائض في وقتها، ويسارع إلى عمل البر وعمل الخير، ويسارع إلى بر الوالدين، ويسارع إلى صلة الأرحام، ويسارع إلى الإحسان إلى الجيران .. كل هذه الأعمال التي طلبها منا الرحمن يسارع إليها، وهذا دليل على أن هذا القلب أحياه الله بنور معرفته تبارك وتعالى.

كيف يكون القلب سليماً؟

القلب السليم الذي سلم من الحظ ومن الهوى وكل شيء غير الله تبارك وتعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١٨٩الشعراء)

ليس فيه غلٌ ولا حقدٌ لأي أحد من الخلق، ولا حسد لأي إنسان آتاه الله من فضله أو من عنده، ولا كُره لأي إنسان، حتى ولو كان بينه وبينه خصومة، فلا يكون في قلبه أي شيء لأي إنسان ...

قال ﷺ لسيدنا أنس:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ } [٥٢]

جنة الرضوان ..

وجنة المعارف ...

وجنة الأنوار ...

فيكون مع النبي في كل هذه الجنان، والتي هي مخصوصة للنبي المختار ﷺ.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٥٢ جامع الترمذي عن أنس ﷺ

المجلس السابع

المنهج الصحيح للمريد والسالك

آداب الدخول على المرشد

حُجُب المريد

الغاية من صحبة الشيخ

وظيفة العارفين

المنهج الصحيح للمريد والسالك[٥٣]

هناك بعض الملاحظات على الإخوة السالكين، الملاحظة الأولى أن بعضهم قد لا يهتم بالأوراد التي أخذها السادة الصالحون عن سيد الأنبياء والمرسلين، وقد قالوا:

((من لا وِرْدَ له، لا وُرود له))

فمن يستسهل ويقصِّر في هذا الأمر سيتجمَّد في السير والسلوك، ولن يرتقي مع المقربين والعارفين والمُجدين في طريق رب العالمين.

الملاحظة الثانية والأهم :

هي لا بد من وجود شيخ مُربِّي، فأنا أذكر أول ما وجَّهني الله تبارك وتعالى إليه، وكنت لا أعرف مشايخ، وكنت فقط أزور الصالحين من حولي، ولكن لم أتخذ منهم شيخاً، وكان معي عقيدة كنت جربتها واكتشفت بعد ذلك أنها غير صحيحة، بأن الإنسان يُصلِّي على حضرة النبي حتى يراه ويوجهه ولا يحتاج لشيخ، وكنت قد وصلت لهذه المرحلة، إلا أن أحد الصالحين نبَّهني وقال لي: لا بد من الشيخ المربي.

ففي البداية وجدت أن اهتمامات الصالحين بالسالكين الراغبين في القرب من رب العالمين تبدأ أولاً في التشبه بسيد الأولين والآخرين، فبماذا أتشبه به؟ حُفَّاظ الأحاديث جمعوا عمل حضرة النبي الذي كان يعمله في اليوم والليلة في كتب اسمها (عمل اليوم والليلة)، مثل كتاب لابن ماجة المُحدِّث، وكتاب لابن السُني، وأشهر الكتب في هذا الباب كتاب اسمه (الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار) للإمام النووي ﷺ، وكان الصالحون قديماً يقولون للمريدين: (بع الدار واشتري الأذكار).

ما هذه الأذكار التي لا ننتبه لها؟

ما كان يقوله حضرة النبي وهو خارج من البيت، وما يقوله وهو داخل البيت، وما يقوله قبل أن ينام، وما يفعله قبل النوم، وما يقوله بعد أن يستيقظ من النوم، وما يقوله وهو ذاهب للمسجد، وما يقوله وهو يزور مريض، وما يقوله قبل تناول الطعام، وما يقوله بعد تناول الطعام ... وغير ذلك في كل أحوال الإنسان.

---

٥٣ السريب – إسنا ٢ من جماد الآخر ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/١/٢٧م

وبالطبع الإنسان لا يستطيع أن يحفظها من أول مرة، فكنت أمسك الكتاب وأقرأه، مرة في مرة حتى حفظت هذا الكلام، وإلى يومنا هذا لا أنساه، ولا أتخلف عن أدائه كما كان يفعله رسول الله ﷺ.

وطلبت من الأحباب شيئاً واحداً مراراً وتكراراً، والكثير لا ينفذ ذلك!، وقلت لهم: عندما تدخل بيت أي إنسان، أو ترى أخاك، أو حتى إذا نظرت لزوجتك وأعجبتك، أو شاهدت أولادك وفرحت بهم، فلا بد أن تقول: (بسم الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله).

هذا البرنامج الأساسي لمن يريد التشبه بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وقد سهَّلنا الأمر عليكم، فاختصرنا هذه الكتب التي ذكرنا أسماءها لأن فيها السند وفيها روايات متعددة، وجمعنا الأمور الميسرة في كتاب صغير تضعه في جيبك وسميناه (أذكار الأبرار) الأذكار الواردة عن النبي المختار، وهذا بداية التشبه برسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران) وما النتيجة؟ ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣١آل عمران).

هذه الملاحظة التي أحب أن ألفت الأنظار إليها، وأنتم مكلفين بأي مريد جديد يدخل إلى طريق الله، دورك أن توجهه لأذكار الأبرار، وتوجهه لأوراد الأخيار.

والأوراد عبارة عن الاستغفار مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل، ومائة مرة فقط معناها أننا نتساوى بحضرة النبي، لأنه كان يستغفر في اليوم والليلة مائة مرة، قال ﷺ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ } [٥٤]

وهذا لا بد بالنسبة لي، لكن يجب أن أزيد في اليوم عن مائة مرة، فتكون مائة بالليل ومائة بالنهار.

وكذلك قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير) مائة مرة، قال ﷺ:

---

٥٤ مسند أحمد والنسائي

{ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ}[٥٥]

وقول: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله العظيم) مائة مرة، كلمات خفيفة على اللسان، وثقيلة في الميزان، وحبيبة للرحمن، وهي ذكر ملائكة الرحمن.

كذلك الصلاة على النبي ﷺ، والشيخ أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب في طلب الحبيب المحبوب) وهو كتاب من أوائل المراجع الصوفية في العصور الزاهية العباسية، يقول فيه: (اتفق العارفون على أنه ينبغي لمن رغب في سلوك طريقهم، ونيل مطلوبهم أن لا يقصِّر في كل ليلة عن الصلاة ثلاثمائة مرة على سيد الأولين والآخرين).

كل ليلة على الأقل ثلاثمائة مرة، وإن زاد فهو خيرٌ له، فقد كان من الأقطاب من يُصلِّي على النبي ﷺ كل يوم ألفين مرة، ومنهم من كان يُصلِّي خمسة آلاف مرة، ومنهم من كان يُصلي عليه سبعة آلاف مرة، ومنهم – وهذا ممن كان معه بركة الوقت – كان يُصلي على النبي ﷺ كل يوم وليلة أربعين ألف مرة، وبالطبع نحن لا نستطيع أن نفعل هذه إلا إذا أعطانا الله بركة الوقت.

فالصلاة على النبي:

عُمدة في الطريق إلى الله، للوصول إلى أنوار حبيبه ومصطفاه ﷺ.

وكذلك لا بد للسالك من وِرْد قرآني، ولا يقل عن جزء كل يوم، وتكون التلاوة مع التدبر والتمعُّن، وليست سريعة حتى أعد.

كذلك المحافظة قدر الاستطاعة:

على السنن الواردة اللاحقة بالفرائض المفترضات.

---

٥٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

ولا بد لي كذلك من قومة قبل صلاة الفجر، وأُصلي ولو ركعتين، قال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[٥٦]

وهذا أعلى مقام في المقامات العشر المذكورة في سورة الأحزاب.

ولا بد أن يكون لي ولو ركعتين سُنَّة الضُحى، وكل ما على الإنسان أن يعوِّد نفسه، وإذا تعوَّد فلن يستطيع ترك هذه العبادة.

وأنا كنت قبل ذهابي للعمل وبعد الإفطار أتوضأ، وأُصلي ركعتين سُنَّة الوضوء وتحية المسجد وسُنَّة الضحى، أنوي ثلاثة نوايا في ركعتين اثنتين، وأخرج لعملي بعد أن صليت سُنَّة الضُحى التي كان يواظب عليها سيدنا رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا، يُقَالُ لَهُ: الضُّحَى، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُدِيمُونَ عَلَى صَلاةِ الضُّحَى؟ هَذَا بَابُكُمْ فَادْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ }[٥٧]

لكن إذا ذهبنا للأماكن المباركة، أو في يوم ليس فيه عمل أزيد، لأن سيدنا رسول الله كان يزيد حتى ثماني ركعات، لا بد للإنسان أن يحافظ على صلاة الضُحى وصلاة القيام، ولذلك كانوا يقولون:

((من لم يكن له في بدايته قَوْمة، لم يكن له في نهايته مع ربه جِلسة))

ومن هم أهل الجِلسة؟

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ ﴾ (الذاريات).

فكنا ننفذ القيام كحضرة النبي، وكما وصفت السيدة عائشة:

ركعتين خفيفتين في البداية بعد أن أدعو بدعاء القيام الوارد عن رسول الله ﷺ، وبعد ذلك أُصلي أربع ركعات اثنين اثنين، يقرأ فيهم الإنسان ما تيسر من القرآن، ويطوِّل فيهما مع التدبر والتمعن، وبعد ذلك أربع ركعات خفيفة، وبعد ذلك إذا لم يكن

---

٥٦ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٥٧ معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ

صلى الوتر بعد صلاة العشاء يُصلي الوتر، فإذا كان قد صلى الوتر، يُصلي قبل قيام الليل ركعة واحدة أولاً حتى تكون مع الركعة الأخيرة الوتر شفعاً، ويُصلي ما شاء ثم يختم بواحدة وتر.

ولابد للإنسان أن يجعل بين صلاة القيام وآذان الفجر وقت للاستغفار حتى يدخل في: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٨الذاريات) وهذا كان عمل سيدنا رسول الله.

فعندما يمشي السالك على هذا المنهاج، فهذا منهاج الطالبين للقرب من الله ﷻ، وليس منهاج العابدين، فمنهاج العابدين الذي يريدون أن يكون لهم رصيد كبير في الجنة، ولا شأن لنا بهم لأننا نريد وجه الله فقط، فماذا نفعل بالجنة؟!.

فلولا أن الجنة فيها النظر إلى وجه الله ما طلبناها، فنحن نطلبها لشيء واحد فقط، وهو النظر إلى وجهه الكريم، وفيها جوار الرءوف الرحيم ﷺ، ولا نطلبها للطعام والشراب، فماذا نفعل بهما؟! نحن هنا نأكل ونشرب.

فأرجو – ولكم الأجر والثواب – أن ترشدوا الأخ الجديد على هذه الآداب، وتبينوا له طرق الصواب، وإلا فأنتم من يضيعه، فلن أجلس مع كل سالك جديد وأقول له: أورادك كذا وأذكارك كذا، فأنتم مساعدين ومعينين، ولكم الأجر، وكل ما يفعله بعد ذلك السالك لكم مثله من الأجر.

فالأذكار والأوراد التي قلناها الآن هي الواردة عن رسول الله ﷺ، وليس من عندنا، ولا يوجد خلاف بين الصالحين الأولين والآخرين فيها، فالكل متفق على هذه الأوراد العامة، وهي للكل.

لكن بعد ذلك من يريد ورداً خاصاً به فلا مانع، فهذا يعطيه له شيخه، وعلى حسب طاقته الروحانية ووسعته القلبية، فنعطيه ما يناسب حالته عند الله تبارك وتعالى.

لكن هذه الأمور العامة كلنا نعرفها، وما يحدث أن كثيراً من الأحباب ينساها، ويتساهى عنها، ويظن أنه أصبح رجلاً كبيراً ولا يحتاج إليها، لكن أنا لا أترك الأوراد أبداً حتى في زياراتي للأحباب، مع أنهم وردي في ذلك الوقت، لكن مع ذلك لا بد أن أظل مستمسكاً بهذه الأوراد، لأنني أعلم أن الناس تقتدي بي، فلا بد أن أعمل ما هو صواب، والذي عمله الأئمة والأقطاب.

نسأل الله ﷻ :

أن يوفّقنا أجمعين لما يُحبه ويرضاه، وأن يوفّقنا للسير في الطريق المستقيم الموصّل إلى مرضاة حضرة الله، وأن يفتح لنا أبواب العناية الربانية حتى نتمتع ظاهراً وباطناً بوجه حبيب الله ومصفاه، وأن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

آداب الدخول على المرشد

سؤال: ما الآداب التي تؤهل المريد للدخول لحضرة المرشد؟

الآداب التي تؤهل للمريد للدخول لحضرة المرشد كثيرة:

الأدب الأول:

توحيد المقصد، وهو أهم الآداب، بأن لا يكون له مقصدٌ إلا رضا الله، لا يقصد الدنيا ولا الشهوات ولا الحظوظ ولا الآمال الفانية، بل يقصد وجه الله ورضاه، فإذا تحقق بذلك كان أول شرط ينطبق عليه ويكون له نصيبٌ كبير، يقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((السالك من توحَّد مطلوبه، ورضي بما قدَّره محبوبه)).

الأدب الثاني:

الرضا والتسليم بما يشير به عليه شيخه، فلا يعترض عليه ظاهراً ولا باطناً، إلا إذا وجده خالف شرع الله، وحاشا للورثة أن يخالفوا شرع رسول الله طرفة عين ولا أقل.

وهذا ما قال فيه الله ﷻ في شأن حبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء) وهو شرطٌ صعبٌ تحقيقه في هذا الزمان، لأن معظم الأحبة يريدون أن يمشوا على أهوائهم، وينفذوا ما تدعوه إليه نفوسهم ومراداتهم، وينالوا مع ذلك رضا الله ورضا رسوله ورضا شيخهم، وهذا محال.

الأدب الثالث:

أن يكون في صفاء الصفاء في قلبه، من ناحية الأحباب أجمعين، بل والخلق أجمعين، فلا يحمل في قلبه ضغينة ولا حقد ولا حسد ولا أثرة ولا أنانية لأي أخ من

إخوانه، لأنهم جميعاً أبناء الشيخ، والشيخ كالأب الرءوف الرحيم، يحزنه ما يُحزن ابنه، فإذا وجد شراً أو ضُراً سيصيب ابنه يتألم لذلك، حتى ولو كان من أخيه، ويريد دائماً أن يكون الإخوة أجمعين متحققين بقول رب العالمين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات).

ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ: ((الإخوان أجساد متعددة تسري فيها روحٌ واحدة)) لأن عقيدتهم واحدة، وتوجههم واحد، وميولهم واحدة، وكل أغراضهم واحدة، فلا يختلفون إلا في الأجساد، لكن كلهم يريدون عين المراد، ويسعون إلى تحقيق ما به ينالون هذا المراد، وهذا هو الذي يجعلهم دائماً وإن تفرقوا في الأجساد إلا أنهم متحدون في الوجهة والمعاني التي يطلبونها من الله ﷻ.

حتى أنه كان الأحبة السابقون يشعر الواحد منهم بما فيه أخيه، وإن كان بينهما كما بين المشرق والمغرب، فإذا تألم أخٌ له في المشرق شعُر بهذا الألم في الوقت والحين وهو في المغرب، ... بل بعضهم كان إذا جاع أخٌ له وبينه وبين أخيه بونٌ بعيد، يأكل بنية إطعام أخيه، وأخيه يشعر بالشبع وبوقع الطعام في جوفه في اللحظة التي يأكل فيها أخوه!!، والأمر في هذا المجال يحتاج إلى تفصيل كثير ....، نسأل الله ﷻ أن يوفق الجميع إليه.

الأدب الرابع:

أن تخرج الدنيا من قلب المريد وتكون في يده، فلا تسكن الدنيا في قلبه، لأن الدنيا كما ورد ببعض الأثر: ((الدنيا جيفةٌ قذرة)) ولا يجوز للمؤمن أن يُسكن الجيفة في قلبه، بل لا يُسكن في القلب إلا مقلِّبه، وإلا الحبيب المصطفى والأحبة المؤمنين أجمعين، ولكن ليس فيه الدنيا، لا من قليل ولا من كثير.

ومثل هذا يدخل في قول الله: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٢٣الحديد) يعني لا يفرح بما يأتيه من الدنيا، ولا يحزن على ما فاته منها، لأنه يعلم علم اليقين أن الدنيا بأجمعها من أولها إلى آخرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء.

الأدب الخامس:

وهو الأدب الذي يسُّر الشيخ من المريد أن يجده أحرص الناس على القيام

بفرائض الله، والعمل بالسنن التي سنَّها لنا رسول الله، والالتزام بالشرع الذي جاءنا به من عند الله، فلا يترك الشريعة طرفة عين ولا أقل.

والسالك الذي يترك الشريعة قد انحلَّ عقده مع الله، وعهده مع شيخه، لأن العقد والعهد على الالتزام بشرع الله، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

من فارق الشرع الشريف فليس من آل العـــزائم فـــافهمن برهـــاني

حُجُب المريد

سؤال: ما الذي يحجب المريد من الانتفاع بشيخه؟

الذي يحجب المريد من الانتفاع بشيخه أشياء كثيرة ..

أول هذه الأشياء :

إذا كان المريد لم تعلُ عقيدته في شيخه، ويبحث في الوقت الذي يتبعه عن غيره ويوازن ويقارن، فهذا يعمل كالذي يطوف على الفترينات ليشتري شيئاً ولم يدخل، فلن يشتري من هنا ولا من هنا ولا من هنا.

العارفون كالأطباء، فأنا أطوف في الشوارع أقرأ لافتات الأطباء وأسال عنهم وعن قدر كشفهم وعن حالتهم ومهارتهم، ولم أدخل لأحد، فأكون أنا كما أنا.

أو ذهبت لطبيب، هل يجوز أن أذهب لطبيب ثم أتركه وأذهب إلى طبيب آخر وأتعاطى الروشتتين الإثنين معاً؟

لا يجوز، فهو واحد الذي أمشي معه!

وإذا جاء الفتح فمن عند الله، وإذا أبطأ الفتح أُفتش في نفسي، فربما يكون هناك عيبٌ في نفسي وهو الذي أبطأ عني الفتح.

والتردد على غيره من الصالحين يكون على سبيل البركة، أوسبيل الزيارة، لكن الاتباع لا بد أن يكون لفردٍ واحد جامعٍ:

أفـــردن بالقصـــد مـــولاك العلـــي تشـــهدن غيبـــاً مصـــوناً أولـــي

الأمر الثاني :

الذي يحجب المريد عن العطايا التي تأتي عن طريق شيخه أن يتبع هواه ويظن أنه يتبع شيخه، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

(والجاهل مَن الأكوان مناه، وهو يظن أنه يعبد الله)).

فهو يمشي على هواه، وهو يريد الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء والملذات، فشيخه لكي يحدث له الفتح يطهِّره من هذه الحالات، فكيف يأتي الفتح وهو مستمسك ومستوثق من هذه الأشياء التي ذكرناها؟! وهي موانع الفتح من الله تبارك وتعالى.

الأمر الثالث:

أن يظن المريد إذا قرب شيئاً للطريق، أو صنع جميلاً لنفرٍ من أهل الطريق أنه لا بد له من جزاء، وهذا الجزاء يكون فتحٌ في طريق الله تبارك وتعالى.

فالصالحون مبدأهم من البدء إلى الختام:

((من جاء بشيء للطريق جاء به لله، وأجره على الله تبارك وتعالى))

لا يطلب الأجر من الشيخ، ولا من المريدين، ولا من الصالحين، ولا من غيرهم، لأن الأجر في كل أمرٍ يعمله الإنسان لله: ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٧٢يونس).

فلا يعتقد أن الشيخ سيقرّبه لما قدمه من طعام، أو ما قدمه من مال، أو ما قدمه من جهد، أو ما قدمه من وقت في خدمة الطريق، لأن هذه الأشياء الذي يكافئ عليها هو الله تبارك وتعالى، وهو وحده الذي يقول:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلٗا ﴾ (٣٠الكهف).

فكل من أنفق أو أعطى شيئاً لله، لا ينتظر الأجر والعطاء إلا من حضرة الله تبارك وتعالى، لأنه إذا أعطى شيئاً للطريق وظن أنه بهذا الشيء يُفتح عليه لن يأته الفتح، بل ربما يُردُّ على عقبيه وينقلب، وهذا الذي ذكره الله تعالى في كتاب الله، ونسأل الله ﷻ أن يحفظنا جميعاً من الوقوع في هذا الأمر.

الأمر الرابع :

إذا أراد المريد سرعة الفتح، فعليه بمخالفة نفسه، وعليه بتصفية قلبه، فإن مصاحبة الشيخ بالجسم لا تفيد إلا إذا تخلَّص الإنسان من هواه وشهوات نفسه وصفَّى قلبه.

أما إذا رافق الشيخ في سفره وحضره وجلوسه وسيره أعواماً كثيرة ولم يتطهر مما ذكرناه، ففيه يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

حب الجسوم فلا يفيد نواله والقلب بيتٌ عامرٌ أنا فيه

لا يعتني الشيخ بمن يحيط به بجسمه، ولكن بما صفَّى لله قلبه:

إذا صفا القلب من وهمٍ وشبهات يشاهد الغيب مسروداً بآيات

الأمر الخامس أن المريد لابد أن يكون له شيء من البذل، فقد قيل: ((أقبح القبيح صوفي شحيح)) فإذا كان المريد ملازماً للشيخ على مدى العام، ولكنه لا يُنفق شيئاً على الأنام، فهذا يقول فيه سيد الأنام ﷺ: يقول الله تعالى:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ }[٥٨]

وقال ﷺ:

{ مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا }[٥٩]

وأول الطريق هو البيعة، والبيعة لا تتم إلا إذا باع الإنسان نفسه وماله لله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (١١١التوبة) إذا كان الذي يريد الجنة يبيع نفسه وماله، فما بالك بالذي يريد صاحب الجنة ﷺ ورُفقة الحبيب ﷺ؟! يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

فبذلتُ الروح لما أن أتى الداعي وبشَّر

---

[٥٨] البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٥٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

وقليـــــل بـــــذل روحـــــي للمليـــــك وفيـــــه أُعـــــذر

نسأل الله أن يجمِّلنا بالآداب، وأن يجعلنا على نهج كُمَّل الأصحاب، وأن يفتح لنا في العرفان كل باب، وأن يسقينا من يد المصطفى صافي الشراب، وأن يجعلنا دائماً وأبداً وسط المقربين والأحباب.

الغاية من صحبة الشيخ

سؤال: ما الذي يستفيده المريد الصادق من صحبة الشيخ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، أبيَّن أن الذين يصحبون الشيخ أصناف، صنفٌ يصحبونه للتربية والتهذيب والترقية، وهؤلاء المذكورين في السؤال وسنتحدث عنهم.

وصنفٌ يصحبون الشيخ محبةً له وللصالحين ليكونوا معه يوم القيامة في جوار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهؤلاء على خير.

وصنفٌ يصحب الشيخ لقضاء المصالح والمنافع الدنيوية، وهؤلاء يقول فيهم إمامنا أبو العزائم ﷺ:

((يتركون ما ينبغي أن يطلبوه من الشيخ من القرب إلى حضرة الله، ودخول معية حبيب الله ومصطفاه، ويطلبون منه الدنيا الدنية)).

وهذه ليست مطلب الصادقين ولا السالكين ولا العارفين في أي وقت وحين!

وهؤلاء ربما يكونوا هم أغلب الملتفين حول الصالحين ..

منهم من يلتفُّ حولهم طلباً للمطعم والمشرب، ومنهم من يلتف حولهم طلباً لقضاء مصالح دنيوية، ومنهم من يلتف حولهم ويتكاسل عن العمل، ويظن أنهم سيقضون له كل ما يحتاج إليه من المصالح الدنيوية.

حتى أن منهم من يريد أن يقوم الشيخ بتهذيب أولاده وتربيتهم لأنه لا يستطيع ذلك، ومنهم من يريد أن يُصلح الشيخ له زوجته لأنه يعاملها بجفاء وبأحوال خارج الشريعة الغراء، ومنهم من يريد أن يقوم الشيخ له بكل ما يحتاج إليه، يربي له الأولاد في

المدارس وينفق عليهم، ويجهز لهم المساكن ويزوجهم، ويجد لهم فرصة للسفر إلى الدول العربية وغيرها ليأتوا بالأموال، وإلا يشنُّع على الشيخ، وكان في نظره ليس بشيخ.

لعلكم تعجبون إذا سمعتم ذلك ...

ولكنها هذه أحوال نراها ويراها الصالحون أجمعون في كل وقت وحين.

الإمام أبو العزائم ﷺ في يوم من الأيام جلس في منزله، وكل من أتاه في هذا اليوم من المحبين لا يطلبون إلا مصالح دنيوية، منهم من يريد كرتاً إلى فلان باشا، ومنهم من يريد قرضاً من المال، ومنهم من يريد توصية إلى الطبيب الفلاني ليعالجه مجاناً، ومنهم، ومنهم، وعندما انتهى من هذه الطلبات، وكان قريباً من الظهر، ضرب كفاً على كفٍ، ثم خاطب مولاه وقال: أعمل إيه؟! ما حدش سألني عنك النهارده!!.

وظيفة العارفين

مع أن وظيفة العارفين هي وراثة سيد الأولين والآخرين في قول الله:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (١٨٦البقرة) فالمريد الصادق الذي يصحب الصالحين ينتفع من شيخه في أمور لا عدَّ لها ولا حدَّ لها:

أولاً: ينصحه ويوجز، وبذلك يختصر له الطريق، ويُسهِّل له الوصول.

ثانياً: يدله على خير الأعمال التي تسرع به إلى الواحد المتعال ﷻ.

ثالثاً: يراقبه ويطهره من الآفات الباطنية التي تقطعه عن الله، أو تباعد بينه وبين القرب من مولاه، أو تحجبه وتجعله والعياذ بالله من جملة الغافلين عن الله.

رابعاً: بعد ذلك يواليه بالنظرات، وبالدعوات الصالحات، وهذه هي التي عليها جُل الأمر كله، لأن الأمر يحتاج إلى ذلك كقول الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ (١٠٤البقرة).

يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

((نحن نربي مريدنا بالنظرة، كما تربي السلحفاة صغارها والنعامة بيضها)).

فالنعامة تضع البيض ولا ترقد عليه وإنما تنظر إليه من بعيد، وبهذه النظرات يفقس هذا البيض ويخرج منه الصغار!

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

مـن نظـرة يرتقـي المطلـوب مرتفعـاً قـدس الجلالــة فــي حــال المناجــاة

ويقول أيضاً بلسان الحضرة الإلهية:

وإن فتحـــــــت كنـــــــوزي أغنيـــــت قـــــولاً وفعـــــلاً

وإن نظـــــــرت بعينـــــــي للعبـــد قـــد صـــار مـــولى

فنظرات الصالحين:

هي التي تفتح أبواب المواهب للصادقين من السالكين، لأن الأحوال العلية مواهب لا تُنال بالمكاسب يعني بالأعمال، وإنما بالمحض الوهبي من الواحد المتعال ﷻ.

الأعمال لها أجر وهو حسنات ...

لكن الأحوال العلية المرضية والمقامات الهنية من باب:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٥٤المائدة) أو من باب:

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (١٠٥البقرة) ...

ولا يتحقق ذلك ولا ذلك إلا برضا العبد الصالح الذي أقامه الحبيب المختار ﷺ، وزيَّنه بالأنوار، وكلَّفه بتربية الأخيار.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بالصالحين، وأن يرزقنا حسن الأدب معهم في كل وقت وحين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس الثامن

صفات السالك الصادق

سلوكيات الصادقين

عفة المريد

صفات السالك الصادق[٦٠]

لماذا يحب الناس أجمعون الصالحين وأتباع الصالحين الصادقين؟

أنت يا أخي لو كنت في صفاء الصفاء، وفي نعيم المشاهدات العلية، والمكاشفات القدسية، وتتنزل عليك بحارٌ ومحيطاتٌ من الأسرار العلومية والقرآنية الوهبية، فكل ذلك لنفسك، ولكن ما الذي يراه الخلق في هيئتك ويجعلهم ينجذبون إلى حضرتك؟ إذا كانت سلوكياتك مطابقة لسلوكيات حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

بأن كنت دائماً وأبداً لا تنطق إلا بالصدق في القول، ولا تتكلم إلا عند الضرورة، وصمتك أكثر من كلامك، وإذا تحدثت فليس هناك مجالٌ للهو أو للهزل، أو ما شابه ذلك، وكنت وفياً في تعاملك مع غيرك، وحسن الأخلاق عندما تجالس أو تجانس أو تؤانس غيرك، وتعامل الناس معاملة يقول فيها الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: ((عاملوا الناس معاملةً إن عشتم حنوا إليكم، وإن مِتُّم بكوا عليكم)).

فيحنون إلى الجلوس معك، وإلى سماع كلامك، وإلى إسداء نصحك، وإلى مشاورتك في الكلام الذي يكون له عندهم فيه اهتمام، وإذا وجد أخاك صدره فيه شيء يعكر صفوه يذهب إليك، ولقاء الإخوان يُذهب الأحزان، فيبوح لك بمكنون صدره، وهو واثقٌ تمام الثقة أنه لن يخرج من لسانك شيء قاله لك لأحد آخر، لأن صدور الأحرار قبور الأسرار.

إذا قلت في أي قضية قولاً لا يكون فيه هوى نفس، ولا شُح طبع، ولا ميلٌ إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل تعمل بقول الله ﷻ: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ (٥٤المائدة).

عندما تظهر عليك هذه الصفات المرضية، وهي الأخلاق القرآنية التي أول من تزيَّا بها نبينا خير البرية، ثم أصحابه أولي العطية، ثم مَن بعدهم الصالحون أولي المزية في كل زمان ومكان؛ يحبك الله ويقول:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،

---

٦٠ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٧ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠/٥/٢٠٢٠م عبر برنامج زووم

فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ }[٦١]

وأهل السماء هم أهل القدر العلي، والمقام الكريم البهي عند الله تبارك وتعالى، فضلاً عن الملائكة الكرام بشتَّى أنواعهم، ويوُضع لك القبول في الأرض عند الأتقياء والأنقياء والأسوياء الذين لهم الشهادة يوم القيامة على أهل زمانهم.

ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ: كان الناس فيما مضى في الزمن الفاضل يقولون: (وحياة أهل الطريق) يعني عندما يحلفون كان من جملة الأيمان التي يحلفون بها (وحياة أهل الطريق) لأن أهل الطريق كانت لهم هيبتهم، وكان لهم وقارهم، وكان لهم احترامهم، وكان لهم صدقهم، وكان لهم وفاؤهم، وأهل كل زمان يُقرون بذلك ويعرفون ذاك الفضل لهم.

سلوكيات الصادقين

فإذا تجمَّلت بهذه الأوصاف، فابشر ثم أبشر، فإن الله بولايته يتولاك، ويجعل هدايته تبارك وتعالى لك ولكل من يلوذ بك أو يأتنس بك، ويجيب لك كل طلب، ويستجيب لك كل دعاء، ويحقق لك كل رجاء، ويجعلك في الدنيا مفتاحاً لكنوز الفضل الإلهي، بل وكنوز الأرض من الخير والرخاء والسخاء.

وهذا المقام العلي لأنك لا ترجو من وراء أي عمل أو قول أو حال إلا وجه الله، ورضاه تبارك وتعالى، ورضا حبيبه ومصطفاه، ولا ترجو من الخلق إلا أن يهتدوا إلى الله، ثم يقوموا عاملين بما أمرهم به المولى تبارك وتعالى في عُلاه.

فإذا وجدت نفسك لست على هذه الهيئة، فجاهد نفسك في التخلق بهذه الأخلاق العلية، والتمكن من هذه الأخلاق المحمدية، فإن الأخلاق هي باب الأرزاق الباطنية التي يوزعها الرزاق على يد سيدنا رسول الله ﷺ:

تخلــق بــأخلاق الإلــه وحــافظن على منهج المختار في العقد تنسق

---

٦١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

يقول الإمام ابو العزائم ﷺ:

لـيس الرقـي إلـى العليـا بأعمـال ولا الوصـول بأسـرارٍ وأحـوال
ولا بعلـمٍ بـه تقـوى ولا أمـلٌ ولا جهـادٌ بأبـدانٍ وأقـوال

وإنما الوصول كما بيَّن إمامنا ﷺ:

خلـقٌ عظـيمٌ وإيقـانٌ ومعرفـةٌ بـالله ذي الفضـل والإحسـان والـوالي
إذا عرفـت مقـام الله خفـت وفـي خـوف المقـام تنـال القـرب بوصـال
هـذا الوصـال وهـذا القـرب أجمعـه سـعادة أبـداً بغيـر زوال

إذاً سلوكك يا أخي في الله هو الذي يُنبئ عن صفاء باطنك، وهو الذي يُنبئ عن مقامك الكريم عند الله، وهو الذي يُوضح ما ورثته من حبيب الله ومصطفاه.

فحافظ على هذه السلوكيات، وجاهد نفسك فيها جهاداً أميناً، وما ذكرناه الآن لا يُعد حتى موجزٌ لها، فعليك بدراستها خُلقاً خُلقاً، وأولها كتمان الأسرار، فهو أول خُلقٌ يتحلَّى به الصالحون والأبرار، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((نحن قومٌ نجلس مع الله، فإذا قمنا من المجلس فكأننا لم نجلس)) ويقول ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ }[٦٢]

فكل مجلس جلسته مع رجلٍ في الدنيا، وخصَّك بحديث خاص فيه فهو أمانة، لا ينبغي أن تُبيحها ولا أن تذيعها، فضلاً عن أن تنشرها بين خلق الله، فإذا كتمت هذه الأسرار الظاهرة ائتمنك الله تبارك وتعالى على الأسرار العلية الراقية الباهرة.

أما إذا كنت غربالاً لا تكتم ما تسمعه من الأبرار، فكيف تكون أميناً للأسرار، ومؤتمناً على أخبار الواحد القهار، التي يخصُّك بها لأنك عنده من الأخيار؟!!.

أسأل الله تبارك وتعالى بأن يُخلِّقنا بهذه الأخلاق العالية، وأن يطهِّرنا من كل زيغ ونفاق ورياء وسُمعة وسوءٍ في الأخلاق، وأن يجنّبنا أجمعين كل شقاق، وأن يجعلنا إخوةً متآلفين متحابين، متوادين متباذلين عملنا خالصاً لله في كل وقت وحين، لا ننتظر من وراء العمل إلا رضاه، ولا نبغي إلا وجهه وضياء علاه.

---

٦٢ اعتلال القلوب للخرائطي ومسند الشهاب بصيغة (المجالس بالأمانة) عن علي بن أبي طالب ﷺ

عفة المريد

سؤال:

ما عفة المريد عند الصالحين؟ وما دورها في رُقيِّ المريد؟

العفة هي أول خُلُقٍ يجعل المريد السالك محبوباً عند شيخه، ويجعله يدعو له فيستجيب الله له، ونأخذ ذلك من قصة سيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ عند هجرته، فعندما هاجر من مكة إلى المدينة، وكان النبي ﷺ يؤاخي الرجل المهاجر مع رجل من الأنصار، لأن المهاجر ترك ماله، وترك داره، وترك أهله، وليس له مكان يقيم فيه، ولا شيء يقتات منه، ولا عملٌ يزاوله.

فكان سيدنا عبد الرحمن بن عوف مع رجل من الأنصار، وكان من أغنى أغنياء الأنصار، فلما أخذ رفيقه وجلسا في البيت، قال: يا أخي تعلم الأنصار أني من أغناهم مالاً وأكثرهم زرعاً ونخلاً، فهذا بيتي سأقسمه إلى نصفين واختر ما يروق لك، وهذه أرضي سأقسمها إلى نصفين واختر ما ترضاه، ثم سأله: هل لك زوجة؟ قال: أما الآن فلا، قال: إني متزوجٌ باثنتين، فانظر إليهما وأيهما أعجبتك طلقتها فإذا انتهت عدتها تزوجتها على سُنَّة الله ورسوله!، وهذا هو الإيثار الذي مدح الله تبارك وتعالى عليه وبه الأنصار.

فأظهر عبد الرحمن بن عوف المقام العليّ للتربية النبوية في العفة وعزة النفس، وهما اللذان يحبهما الله ورسوله، فقال له: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في بيتك، وبارك الله لك في زوجاتك، وبارك الله لك في أولادك، ولكن دلني على السوق، يعني لا يريد أن يكون عالةً على أحد.

فلما أُخبر النبي ﷺ بذلك فرح، ودعا له بالبركة، ولم يكن فرحه بعبد الرحمن في شخصه، ولكن في الوصف الذي تَخلَّق به واعتز به، ولذلك يحب كل من كان على شاكلته أو مثله.

وعبد الرحمن كان يمتهن التجارة، فرُوي أنه كان لو تاجر في تراب لربح منه ذهباً، بدعوة رسول الله التي دعاها له واستجاب الله، لأن الله يحب ذلك.

حتى رُوي أنه عند وفاته، وكان متزوجاً من أربع نساء، والأربع نساء يرثن الثُمن لأنه معه أولاد وبنات، فكان ميراث كل واحدة من الأربع – كما رُوي في كتب التاريخ – ثمانون مقطفاً كبيراً من الذهب غير باقي الميراث، مع أنه قاسم الله ماله مرات، وأنفق منه مرات وكرات، لكن الله كان يغنيه ويزيد عنده المال ببركة دعوة الحبيب له، ودعوة الحبيب له كانت بسبب عفته وعزته التي يقول فيها الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون).

ولذلك ورد أن إبراهيم بن أدهم ﷺ قابل رجلاً من الصالحين، وكان قد اتخذ طريق التوكل، يعني يعتمد على أن الله سيرزقه بدون كد ولا جهد ولا عمل، فسأله إبراهيم بن أدهم: لماذا لا تعمل؟ قال: يا أخي رأيتُ طائراً أعمى على شجرة، وطائرٌ يأتي يحمل إليه الطعام ويضع فمه في فمه حتى يُنزله، ثم يذهب ويملأ فمه بالماء ويرجع إليه فيضع منقاره في منقاره حتى يرويه، فقلت: أألله ﷻ الذي يرزق هذا من ذاك يعجز عن رزقي؟! فقال ابن أدهم ﷺ وهو الأعلى مقاماً: ولِم يا أخي جعلت نفسك الطائر الأعمى الذي ينتظر الرزق، ولم تجعل نفسك الطائر الذي يسعى ويُطعم غيره؟!! فإن الذي يسعى ويُطعم غيره، خيرٌ من الذي يمد يده ويتكفَّف الناس.

فالمشايخ رضوان الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين يحبون المريد الصادق الذي يقوم بأعباء نفسه الدنيوية، ولا يكلفهم شططاً يبحث عمن يعينه أو يقضي له شئونه وهو يتظاهر بالعجز والمسكنة.

ويحبون من يقوم بشئون أولاده، ولا يذهب إلى إخوانه يُلمِّح بأعضائه أو بلسانه أو بعينه أنه يطلب منهم فضلاً يساعدون به أولاده:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق)

ومن توكل على الله كفاه.

المريد عفوف النفس الذي لا يذهب إلى الموائد للطعام، وليس همه فيما يملأ به البطون والأجسام، ولكن يسعى ليسمع كلمة حكمة عالية، أو معلومة إلهامية راقية، أو ليُحصِّل أنواراً إلهية إليه ساعية، أو يكون دائماً وأبداً يريد أن يرى الله ورسوله ينظرون إليه ونفسه غنية راضية، قال ﷺ:

{ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ }[٦٣]

فالمريد الصادق حتى ولو كان فقيراً تجده عفوف النفس، لا يمد يده ولا ينتظر ولا يُلمِّح، وإنما دائماً وأبداً لا يسأل إلا مولاه، ولا يطلب إلا من الله، ولكنا نقول له كما قال ﷺ:

{ مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ عَنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ؛ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ }[٦٤]

يعني من أتاه رزقٌ من أخيه من غير سؤال فليقبله ولا يرده، فإن لم يكن في حاجة إليه، أعطاه لمن هو في حاجة إليه من إخوانه الذين ربما هو أبصر بهم من أخيه.

ولخَّص إمامنا الشاذلي هذا الأمر فقال: ((نحن قومٌ لا نسأل ولا نرد)) يعني لا نسأل أحداً شيئاً، ولا نرد شيئاً جاءنا من غير مسألة، وإنما نُظهر دائماً العفة، والعفة لا تتنافى مع الأخذ، لأن الأخذ إذا امتنع الإنسان عنه مع حاجته ربما يكون فيه حب الظهور، ولكنه إذا أخذ فإن نفسه ربما تنكسر، والإنكسار يُحبه الواحد القهار:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[٦٥]

فيجعل السالك بصيرته شفافة نافذة، ... يزن كل أمر بموازينه، ...ويُعد لكل أمر ما يناسبه، والله ﷻ – إذا صدق العبد في ذلك – يُلهمه حُسن التصرف في كل ما تشابه عليه.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا العفاف والتُقى والغنى ..

وأن يجعلنا من عباده الذين يشملهم بعزته، ويكلأهم بعنايته، ويرعاهم بعين عنايته، ويجعلهم دائماً وأبداً في معية حبيبه المختار.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٦٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٦٤ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن خالد بن عدي الجهني ﷺ
٦٥ ذكره الغزالي في البداية

المجلس التاسع

طلب المغفرة وتطهير القلب

طلب المغفرة وتطهير القلب[٦٦]

السالك في طريق الله لو ارتكب ذنباً وتاب يتوب الله عليه، ولو كان خائفاً من عدم قبول التوبة يعمل بقول الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤النساء).

فكيف يذهبون إليه الآن؟ يذهبون للوارث، والوارث له حكم مورثه، فالصالحون يتحملون عنا هذه الذنوب، بشرط أن نُقر ونعترف، لكن من يجادل ويتكبَّر ويعاند يقول: أنا لم أُذنب، فأنت حر، لكن الله يغفر لمن استغفر، لكن من لم يستغفر لا يُغفر له، ولذلك طُلب منا الاستغفار على الدوام.

لكن هناك شيء قد يمر بخاطر المريد ونحن لا نملك من أمره شيئاً في هذا الشيء، فإذا وقع فيه سيقع في حجاب غليظ، أو كما يسمونه الصالحون: وحل، ولا أحد يستطيع أن يأخذ بيديه إلا إذا استغاث وعرف أنه أخطأ، فيأخذ الله تبارك وتعالى ببركة الصالحين على يديه.

ما الأمور التي تخطر للمريد وتحجبه عن إكمال السلوك إلى ملك الملوك؟ المريد ليمشي إلى الله مُطالب أولاً أن يُطهِّر القلب من كل ما فيه، فيُطهِّر القلب من ناحية حضرة الله، ولا يبقى فيه شك ولا شرك ولا غيره ولا شيء أبداً ينتقص من كمالات الحضرة العلية.

ومع هذا لا بد أن يُطهِّر القلب من قِبَل الناس، فلا يكون في القلب حقد على أحد، أو حسد على أحد بسبب نعمة أتاه الله إياها، إن كانت نعمة دنيوية، أو نعمة دينية، أو نعمة فتحية من الفتوحات:

إذا صفا القلب من وهمٍ وشبهاتٍ يشاهد الغيب مسروداً بآيات

يشاهد الغيب فوراً لأنه يمشي على الطريق القويم المستقيم، لكن إذا دخل في القلب شيء مما قلناه بينه وبين أحد الأحباب، فماذا نفعل فيها؟ إما أن يُصفي ما بينه وبين أخيه، وإما أن يقع في وحلة في الطريق، وليس له ذرة واحدة من الأنوار في عالم

٦٦ المساوية – إسنا ٣ من جماد الآخر ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/١/٢٨م

التحقيق، ويظل غريق إلى ينتهي به العمر، وهو المسئول عن ذلك.

لأن شرط المقبل على الله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١٨٩الشعراء) إذا كان القلب سليم، قال فيه إمامنا أبو العزائم ﷺ:

نَفَسٌ بقلبٍ سليمٍ رفعةٌ ورضا وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظات

في التأخر والبعد عن حضرة الله تبارك وتعالى، ولذلك الحبيب الأعظم ﷺ أعطانا هذه التوجيهات، أنت تريد أن تكون أخ صادق في طريق الله، وترتفع بالمآخاة إلى مُآخاة حبيب الله ومصطفاه، فقال:

{ لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا }[٦٧]

يعني الإنسان لا يكون أخاً في طريق الله، إلا إذا تخلى عن كل هذه الصفات نحو إخوانه في الله أجمعين.

ولذلك أنا أعجب عندما أسمع أن بعض من يدَّعون السلوك إلى الله جالسين مع بعضهم، ويتكلمون ويقدحون في فلان، وهو أخٌ أيضاً لهم، ويسبُّون فلان، ويعيبون فلان، لكن ما شأنكم وهذا الأمر؟! هل كلَّفكم الله تعالى بذلك؟! وهل يرضى الحبيب ﷺ عليكم إذا فعلتم ذلك؟! فلماذا تفعلوا هذه الأفعال؟!

وبعد ذلك يقولون: لماذا لا نتقدم في الطريق إلى الله؟! أو لماذا لا نرى ما يراه الناس؟! اجلس مع نفسك وراجع نفسك، وانظر ما الذي عملته وأخَّرك عن هؤلاء الأقوام؟! يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في قصيدته الوصايا، وانظروا إلى النداءات:

أيا رفقتي يا خلتي يا أحبتي على العُروة الوُثقى فسيروا ورافقوا

يعني امشوا مع بعضكم حتى نأخذ بأيدي بعضنا ونمشي في هذا الطريق، .. وقال فيها:

دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتي دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا

٦٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وإيـــاكمُ وأخـــلاق إبلـــيس إنهـــا لقـد أبعدتـه وهـو طـاووس رامـق
ألا مـــن يكـــن فـــي قلبـــه بعـــض ذرةٍ مـن الكبـر والأحقـاد مـا هـو ذائـق

أخلاق إبليس هي الغرور والكبر، ونحن مجتمع المحبة، وكل ما فيه أحبة، وكلهم قلوبهم مليئةٌ بالحب لله، والحب لرسول الله، والحب لأحباب الله.

وهذه القلوب لا تعرف البُغض أبداً، ولا تعرف الكُره، ولا تعرف الحقد والحسد، فالحسد عندهم في أمرين اثنين فقط، رجلٌ أتاه الله مالاً فهو ينفقه في سبيل الله، والحسد هنا ليس بمعنى تمني زوال النعمة، ولكن يقول: ليتني مثله، ليتني يوسع عليَّ الله حتى أعمل مثل فلان هذا، فالتمني هنا أن يكون مثله.

أو رجلٌ أتاه الله القرآن فهو قائمٌ به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول أيضاً: ليتني مثل فلان، والمهم أن يقول: بسم الله ما شاء الله، أنا أتمنى أن يكرمني الله وأكون مثل فلان، فأبدأ أولاً ببسم الله ما شاء الله، لكن ننساها ولا نقولها أبداً، فهذه من الأمور التي تجمد المريد، وتجعله لا يتحرك في طريق الحميد المجيد طرفة عين ولا أقل.

ومثلها وأشد منها – لأنها تستوجب الطرد والإبعاد – من يتخذ طريق الله وسيلة لنيل دنياه، فيدخل الطريق ويجعل نفسه زاهد وعابد وأستاذ عظيم، وقصده من ذلك أن هؤلاء القوم طيبين، فيضحك على فلان، ويأخذ منه مثلاً مال على سبيل السلف ويهرب، ويعطي صورة سيئة، وانطباع سيئ للمريدين الآخرين أنهم أناس يأكلون الحقوق.

أو يتصنع أنه رجلٌ فقير وليس معه شيء ويحتاج للمعونة، وهم أناس أرقَّاء القلوب، فيقولون: أخانا فلان هذا محتاج ويشتكى الحاجة، فهو أولى، لكن هل يوجد أحدٌ في طريق الله يشكو لغير مولاه؟! لا.

السيدات في زمن سيد السادات ﷺ كُنَّ على فقه كبير في هذا الباب، فكما ورد ببعض الأثر أن أحد الصحابة وزوجته لم يكن عندهما غير ثوب واحد، يلبسه ويذهب ليُصلي مع رسول الله، وهي تبقى في البيت عارية، وتطلب منه أن يعود سريعاً حتى تصلي في أول الوقت، لأن حضرة النبي قال:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ،

{ وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ }[٦٨]

من يتخلف عن قطار الرضوان هذا، ليس له شأن بأهل الرضوان، إلا إذا كان معه عذر شرعي فلا مانع، ....

لكن كما نرى كثير من الناس يجلسون بجوار المسجد والظهر يؤذن ولا يقومون للصلاة وهذا من غضب الله عليهم، أو عدم توفيق الله تبارك وتعالى لهم.

سيدنا رسول الله ﷺ كان لمَّاحاً، وشديد الذكاء، وصفات الأنبياء هي صفات كُمَّل الورثة للأنبياء، وأولها الفطانة، فيلمح بإمداد من الله ما لم يلمحه أحدٌ سواه، وثانيها التبليغ، وثالثها الأمانة، وأيضاً كما قال سيدنا رسول الله ﷺ:

{ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا حَسَنَ الصَّوْتِ }[٦٩]

مَن يدَّعي أنه وارث، ولكن صوته أجشٌّ، فهذا ليس له شأن بالوراثة الكاملة، ولو كان صوته أجشٌّ واختاروه سيُجملوه.

فرسول الله لاحظ هذا الرجل يخرج مسرعاً بعد كل صلاة، فقال له ذات مرة: ما بك تخرج مسرعاً بعد كل صلاة؟! فقال الرجل للنبي: يا رسول الله لا أملك غير ثوب واحد أنا وزوجتي، فآتي لأصلي خلفك به ثم أنصرف مسرعاً أعود إلى زوجتي حتي تلبسه لتصلي به.

فطلب النبي من أصحابه أن يعينوه، وذهب الرجل إلى زوجته، فقالت له: أين كنت يا عبد الله؟ فحكى لها ما حدث، فقالت له: أتشتكي الله إلى رسوله؟! الحمد لله علي ما نحن فيه!! فقال لها: والله لم أشتكي، ولكن النبي هو من سألني وقد أخبرته.

فمن يتخذ طريق الله معبراً للدنيا قال فيه الحبيب ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، طُمِسَ وَجْهُهُ، وَمُحِقَ ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ }[٧٠]

---

٦٨ سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي ﷺ

٦٩ رواه الحافظ بن حجر في فتح الباري، وراه الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ

٧٠ معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء ﷺ

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ طَلَبَ عَمَلَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } [٧١]

هو يريد الدنيا، فيتشبه بأعمال أهل الآخرة ليثق الناس فيه، وتعطيه، فهذا: ﴿ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١٠النساء) وهذا ليس له شأن بطريق الله.

فأول صفة في طريق الله الزهد في الدنيا، ومن لم يزهد في الدنيا يريح نفسه، لأنه لن يمشي في طريق الله، الرجل الذي سأله سيدنا رسول الله:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ } [٧٢]

هذه هي الحقيقة، وهذه هي العلامات، أول شيء عزفت نفسي عن الدنيا، وهو الزهد، وبعد ذلك أسهرتُ ليلي وأظمأت نهاري، وهي العبادة، لكن عبادة بدون زهد لا يكون فيها حضور ولا خشوع ولا قرب من القريب ﷻ.

فلما فعل ذلك كانت الثمرة:

{ وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ }.

وأتى بالكاف للأدب، فسمة الصالحين والسالكين المجدين الأدب التامُّ، فيرى كل شيء ويجعل نفسه كأنه لا يرى شيء، فقال له رسول الله: (عَرَفْتَ فَالْزَمْ) ومن هذه العبارة جاءت كلمة العارف.

---

٧١ مسند الشهاب عن أُبي بن كعب ﷺ

٧٢ مصنف ابن أبي شيبة

فإياك يا أخي أن تغريك النفس والهوى، أو كثرة مطالب مَن حولك لأنك لم تأخذهم معك في طريق ربك، وهذه علامة من علامات الساعة، حيث يطلبون منه ما لا يستطيع أن يوفيه لهم من الحلال، فيعمل الحرام ليرضيهم، فيدخل النار بسببهم.

من الذي يُدخله جهنم؟

تقول له زوجته مثلاً: يا فلان لِمَ لا تعمل مثل فلان؟! ففلان يأخذ كل يوم لأولاده كذا وكذا، لأنه يأخذ مال من الناس مقابل أداء عمله، وأنت تحرمنا من هذه النعم، وهكذا.

لكن لو أنك أخذتهم معك من البداية سيكونوا من الصالحين، وسيكونوا مثل أولاد الأنصار، يخرج أبوهم في الصباح ليبحث عن عمل، فيقولون له: يا أبانا تحرَّى لنا مطعماً حلالاً، فإنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار.

فإياك أن تستغل طريق الله لأهوائك الشخصية، ومصالحك الذاتية، لأنني أو غيري لن نستطيع أن نعمل لك شيئاً إذا وقعت في هذا الخطأ، والصالحون ماتوا وقالوا: نحن وأولادنا ونساءنا ودورنا وأموالنا كلها لله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦البقرة).

يُسخِّرون كل ما يملكون إلى حضرة الله، وإلى طريق الله، وإلى نشر دين الله ﷻ، ولذلك يتكفَّل بهم أرحم الراحمين ولا يكلهم إلى غيره طرفة عين ولا أقل، ويلبسهم ثوب العزة، ويكونوا بين الناس أعزة على الدوام، وعندما يرونهم يقولوا: فلان هذا ما شاء الله عليه، نراه كأنه من الوجهاء العظام، لأن هذه هي عناية الله لأحباب الله وأصفياء الله، الذين أخلصوا لله تبارك وتعالى.

فنحن في طريق الله نحتاج:

إخلاص العمل لذات الله ...

ولا نبغي من وراء العمل أي منفعة ى...

وحتى لو طلبت من أخي منفعة وهي عنده أوطِّن نفسي لو أن المنفعة لم يقضها لا تقطعني عنه، لأن الأساس بيننا هو الأُخوة، وليست هذه المصلحة، فهي مصلحة طارئة، وأنا على يقين أنه لو استطاع أن يقضيها سيقضيها، فإن لم يستطع أن يقضيها ألتمس له

ألف عذر، ولا بد أن يكون معه عذر كذا أو كذا.

ولذلك أحزن عندما يقولون:

فلان خطب لابنه بنت فلان، ولم يحدث نصيب بعد ذلك، فيتخاصمان على الدوام، لماذا؟!

أنت تعرف أن هذا الأمر نصيب، فلِمَ تحزن؟! وهو الآخر لماذا يحزن؟!

فقد عرفنا بعض وتآخينا في الله، وإذا تم هذا الأمر فتزيد المحبة، وإذا لم يتم لا يؤثر في المحبة التي بيننا، لأننا لم نتعارف من أجل هذا الزواج، أو لأجل شركة في أرض، أو لأجل شركة في تجارة، فهذا شيء عارض، لكن ما بيننا:

إذا الجبال تزحزحت عن أرضها عن حبنا في الله لا نتحول

لا نستطيع أن نتحول عن الحب الذي بيننا في الله أبداً، فأخوك أغلى من النفس والنفيس:

أنا لا أرضى بالملك والملكوت في أخٍ في الله حاشا بل ولا الرضوان

لماذا؟ لأن الأخ أغلى من هذا كله، فمن أخوك؟

أخوك هو أنت، إلا أنه صورةٌ أُخرى،...

فميوله هي ميولك، وأخلاقه هي أخلاقك، وعقيدته هي عقيدتك، وشمائله هي شمائلك، متحد معك في كل هذه الوجهات، فإذا نسيت ذكَّرك، وإذا ذكرت أعانك.

هذه الأمور وصية من قلب شفوق وعطوف عليكم يرجو لكم جميعاً الخير والبر والرفعة في المقام، حتى تكونوا أنجماً في سماء رسول الله في هذا الزمان، ويعزُّ عليَّ عندما أجد أخاً زلَّ، ولا أعرف ماذا أفعل له؟ لأن المشكلة بينه وبين أخيه، وهذه المشكلة تؤثر على صقاء القلب، فيُمنع من الأنوار، ويُمنع من الأسرار، ويُمنع من سلوك الطريق مع الأخيار، لأن هؤلاء كلهم شرطهم صفاء القلب لله ﷻ.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس العاشر

القرآن الكريم والسنة

كيفية اتبَّاع السُنَّة

القرآن الكريم والسُنَّة[٧٣]

الحمد لله رب العالمين، نزَّل لنا القرآن تبياناً لكل شيء، وأرسل لنا خير رسول اختاره من بريته، ليُبين لنا ما غمض علينا من أحكام القرآن، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الهادي بك إلى صراطك المستقيم، والمبين لنا وللمسلمين أجمعين منهج الإسلام القويم، والذي أمرتنا في الذكر الحكيم أن نتبع هديه ونتأسى به أجمعين.

كثُرت الفلسفة في هذا الزمان وخاصة إذا كان الحديث في أمور الدين، إذا كان الحديث في أي أمر من أمور الدنيا تجد الناس يُسَلِّمون للمتخصصين، فلا يستطيع أحدٌ أن يتكلم في فرع من فروع الطب وأحد المتخصصين في هذا الفرع من الحاضرين، بل لا يستطيع أن يتحدث مع أحد من أرباب الفنون، إن كان صانعاً في أي مهنة، وصاحب هذه المهنة المشهود له بالكفاءة من الحاضرين.

لكن العجب العجاب إذا كان الحديث في أمور الدين، تجد الكل يسارع ويتحدث، بل ويُفتي، بل ويأتي برأي من عنده ويدافع عنه بحماسة شديدة، وكأنه الرأي الحق الوحيد في هذا الذي يتحدث فيه، وهذا من أعاجيب هذا الزمان بالنسبة لأهل دين الإسلام.

فنجد قوماً تحدَّث عنهم النبي ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، فقال عنهم:

{ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ }[٧٤]

ظهرت طائفة في هذا الزمان تُنكر السُنَّة والعمل بالسُنَّة وتكتفي بالقرآن، ويقولون: ليس لنا شأنٌ بالسُنَّة، ما وجدناه في كتاب الله استحللناه، وما لا نجده في كتاب الله ليس لنا شأنٌ به.

والله ﷻ ردَّ على هؤلاء قبل ظهورهم في القرآن، فإن الله ﷻ عندما أمرنا في

٧٣ الغربية – المسجد الكبير بكفر المنشي ٢٧ من جماد الآخر ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٢/٢١م
٧٤ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن المقدام بن معدي ﷺ

القرآن قال لنا في شأن نبيه الذي أوحى إليه وأنزل على قلبه القرآن: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء) وقال ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (٦٥النساء).

وأنزل الله ﷻ تحذيراً شديداً ووعيداً لمن خالف هدْي النبي وسُنَّته فيما جاء به في كتاب الله، فقال عز شأنه: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣النور).

وسمَّى الله ﷻ سُنَّة النبي في القرآن باسمٍ عظيم، فقال ﷻ لنا مبيناً لنا اسمها الذي يُعلي من شأنه ومن شأنها: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ (١٥١البقرة).

ذكر أصحاب النبي ومنهم عبد الله بن عباس وغيره، أن الحكمة هنا هي سُنَّة النبي ﷺ، فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السُنَّة القولية والفعلية والتقريرية الواردة عن رسول الله ﷺ.

وقال الله تبارك وتعالى لزوجات النبي في سورة الأحزاب: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ (٣٤الأحزاب) آيات الله هي القرآن، والحكمة هي أحاديث النبي العدنان ﷺ.

فإذا ذُكرت الحكمة في القرآن كان معنياً بها ما تحدَّث به النبي العدنان، لأن الله قال عن حديثه في كل وقت وآن:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

ولذا رُوي أن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يكتب وراء النبي أحاديثه ويحفظها، فقال له نفرٌ من قريش:

أتكتب عن النبي وهو بشر قد يقول الحق وقد يقول وهو غاضباً؟! فذهب إلى النبي ﷺ وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ عَنْكَ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ

وَالرِّضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلا حَقًّا }[٧٥]

لأنه لا ينطق إلا بتأييد الله، وإلا بوحي وإلهام من الله، .... وإلا بروح من الله تبارك وتعالى.

ماذا لو اكتفينا بالقرآن، وتركنا سُنَّة النبي العدنان؟ تعالوا بنا إلى رجل من أصحاب النبي وهو سيدنا عمران بن الحُصين ﷺ، ذهب إليه نفرٌ من الخوارج وقالوا له: ما هذه الأحاديث التي تحدثونا بها؟! هلا اكتفيتم بالقرآن!، قال: يقول القرآن: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٤٣البقرة) فكيف نصلي؟! هل يوجد في القرآن صلاة الصُبح وصلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء؟ وهل في القرآن عدد ركعات هذه الأوقات؟ فسكتوا، قال: ممن تعلمنا الصلاة؟ قال: من القائل ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٧٦]

فهو الذي علَّمنا الوقوف، والركوع، والسجود، وهيئات الصلاة، وعلَّمنا ما نقوله ونسبِّحه لله ونقرأه في الصلاة، وعلَّمنا الأوقات التي نقوم فيها لله بالصلاة، وكل ذلك جاء عن رسول الله ﷺ.

ثم قال: قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٤٣البقرة) أين نصاب الزكاة في كتاب الله؟! وما مقدار زكاة الزرع؟! وما مقدار زكاة المال؟! وما النصاب الذي إذا بلغه كل منهما يجب على صاحبه إخراج الزكاة؟! وما زكاة الحيوانات؟! وما نصاب كل أنواع الزكاة؟! فسكتوا، فقال: الذي علَّمنا ذلك هو سيدنا رسول الله وذكره لنا في سُنَّته، وكذلك الصيام، وكذلك الحج، فهو الذي قال:

{ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }[٧٧]

أمرنا أن نقتدي به في كل هذه الأعمال، والأمر الأعظم جاء لنا من الله في قوله لنا أجمعين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

---

٧٥ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٧٦ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ
٧٧ سنن البيهقي عن جابر ﷺ

بل إن الله ﷻ أمرنا أمراً صريحاً باتباع سُنَّته، وجعل ذلك هو الطريق لمحبته، فقال لنا أجمعين: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ (٣١آل عمران) واتبعوني يعني اقتدوا بهديي وسنتي في كل أحوالكم، والنتيجة والثمرة: ﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٣١آل عمران).

إذاً فإن الله ﷻ جعل لنا أصلين تشريعين نأخذ منهما شرع الإسلام، الأول هو كتاب الله، والثاني هو سُنَّة رسول الله، فهما يكملان بعضهما، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، قال ﷺ:

{ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ}[٧٨]

إن الله ﷻ أدَّب المؤمنين بأدب عظيم في كتاب الله، ألا يفعل الإنسان المؤمن شيئاً من أمور دنياه أو من أمور دينه أو من أمور أُخراه، إلا إذا علم الحكم الصحيح فيها في كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله.

فإذا كان على غير علم بها، وغير مُلمٍ بتفاصيلها قال الله تعالى لنا في ذلك: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) يسأل العلماء المتفقهين في الدين، أهل المنهج الوسطي الذي ارتضاه لنا رب العالمين عندما قال في أمَّة سيدنا رسول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ (١٤٣البقرة).

ولا نقوم بعمل أي عمل بأهوائنا، ولا بحظوظنا، ولا بميولنا، ولا بجهلنا، لأننا سنُسأل عن كل عمل عملناه، فمثلاً كل قرش جمعته ستُسأل عنه يوم القيامة من أين جمعته وفيم أنفقته؟ يعني هل جمعته من حلال أحلَّه الله ورسوله، أم من حرام حرَّمه الله ورسوله؟ وهل أنفقته في باب يُبيحه كتاب الله ويبحه رسوله، أم في باب حرَّمه كتاب الله وحرَّمه رسوله؟.

فإذا كان كل قرش أجمعه سأُسأل عنه، فلِمَ نسمع البعض يقول: هذا مالي ولي حرية التصرف فيه؟ فلو كان هذا مالك ولك حرية التصرف فيه، فلِمَ يحاسبك الله تبارك

٧٨ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

وتعالى عليه؟! لكن المال مال الله: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (١٧الحديد) وأنت خليفة عن الله في هذا المال، تُنفق منه وفقاً لتشريعات الله في كتاب الله، وفيما بيَّنه سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذا لا يحق لك قبل موتك أن تُعطي شيئاً لأحد الأبناء، وأن تحرم هذا أو هذه من البنات، فإن هذا المال لك أن تتمتع به من الحلال وفي الحلال طالما أنت في حياتك الدنيا، فإذا انتهى زمانك، وقرُب خروجك من الدنيا وانتهى عصرك وأوانك، أصبح هذا المال ليس ملكاً لك، وإنما ملكاً للورثة الذين ذكرهم الله، والتقسيم بينهم كما في كتاب الله، وكما بيَّن رسول الله ﷺ.

أما إذا تصرفت بهواي في هذا الميراث عند الموت وحرمتُ هذا وأعطيت هذا، دخلت في قول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثَهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ }[٧٩]

إذاً المال مال الله، ونحن نتصرف فيه كما يريد الله، وقد وضَّح لنا بالتفصيل أبواب الحلال التي نكتسب منها المال، وأبواب الحرام والشبهات التي لا نقترب منها عند اكتساب المال، ووضَّح لنا كذلك لائحة الإنفاق التي تُرضي الكريم الخلاق ﷻ.

كيفية اتباع السُنَّة

ظهرت طوائف كثيرة، كل الذي اهتموا به في باب السُنَّة الشكليات التي وردت عن رسول الله ﷺ، بتربية اللحية، ولبس العمامة، ويكون لها عدبه، ويتبع هيئته في اللبس، وهيئته في الأكل والشرب، وهيئته في النوم، وهذا أهم شيء عندهم في باب السُنَّة، ومن لم يفعل ذلك عندهم يكون مخالفاً للسُنَّة، حتى أن بعضهم يعتبره خارجاً عن الإسلام!، حاشا لله ﷻ.

نحن مرجعنا كلنا هدي أصحاب رسول الله، وبعدهم التابعين الذين اتبعوهم بإحسان، وبعدهم السلف الصالح، هؤلاء ماذا كانت وجهة نظرهم للسُنَّة؟ قالوا: الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ فيها سنن عبادات، وسنن عادات.

---

٧٩ سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ

فسُنن العبادات هي التي سنَّها لنا رسول الله ﷺ مع العبادات، فسنَّ لنا مع كل صلاة سُنَّة، إما سُنَّة قبلية فقط كالصبح، أو قبلية وبعدية كالظهر والعشاء، أو قبلية فقط كالعصر، أو بعدية كالمغرب.

وسنَّ لنا صيام غير شهر رمضان، كصيام الإثنين والخميس، أو ثلاثة أيام من كل شهر، أو يوم عاشوراء، أو يوم عرفة.

وسنَّ لنا غير الزكاة الصدقة، فالزكاة للمال الواجب عليه، لكن الصدقة أتطوع به من عندي، وسنَّ لنا الحج والعمرة للمرة الثانية أو الثالثة أو ما يزيد.

هذه السنن لِمَ سنَّها لنا رسول الله ﷺ؟ لأسباب كثيرة أكتفي منها بسببين، السبب الأول: أنها تكمل الفرائض، فلا يوجد واحد منا إلا ما قلَّ وندر في الأمة الذي يكون قلبه حاضراً في الصلاة من أولها إلى آخرها، وقد قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ، مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا } [٨٠]

وقال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ وَيُجَاهِدُ وَيُرَابِطُ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَعْمَلُ أَعْمَالَ الْبِرِّ، وَإِنَّمَا يُثِيبُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ مَا عَقَلَ عَنْ دِينِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا } [٨١]

ماذا يُكتب لي من الصلاة؟

لا يكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، وما حضر القلب فيه:

فلا يوجد أحدٌ منا يأخذ الأجر الكامل على الصلاة، إلا إذا حرصت أن أؤدي الصلاة في جماعة، لأنني لو أديت الصلاة في جماعة وفيهم واحد صلاته مقبولة، يقبل الله صلاة الجماعة كلها من أجله.

---

٨٠ مسند أحمد وابن حبان عن عمار بن ياسر ﷺ

٨١ الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين عن أبي إمامة ﷺ

ولذلك سلفنا الصالح كانوا عقلاء، فقد كانوا حريصين على صلاة الجماعة، سيدنا عمر كان نائماً ذات يوم بعد صلاة الجمعة، وكانت فترة نومه في اليوم كله وقت القيلولة بعد صلاة الظهر، فسألوه: لم لا تنام يا أمير المؤمنين؟ فيقول لهم: ((لو نمت نهاراً ضيعت رعيتي، ولو نمت ليلاً ضيعت نفسي، فجعلتُ النهار لرعيتي، وجعلت الليل لربي ﷻ))

فجاء رجل يوم الجمعة يوقظه فقام مفزوعاً، وقال للرجل: ماذا حدث؟

قال له: فلان مات، فقال: ظننت أن عصر الجمعة فاتني!، يعني موت فلان هذا شيء سهل لأنه أمر الله وليس فيه فصال، لكن لو فاتتني صلاة عصر الجمعة ... فيكون قد فاتني شيء كبير.

وسيدنا عمر قال أيضاً في الصلاة: (إن المرء ليشيب عارضيه – يعني يُصبح رجلاً كبيراً في السن – يصلي لله خمسين عاماً لم تُكتب له صلاة واحدة كاملة، قيل: ولِمْ؟ قال: لا يحسن وضوءها، ولا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها لله ﷻ).

إذا فنحن نحتاج أن نكمل الصلاة، حتى نأخذ أجرها عند الله، فبماذا نكملها؟ جاءنا رسول الله ﷺ بالسنن القبلية والسنن البعدية، وزاد لنا أيضاً ختام الصلاة، وقال لنا ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ دِينِهِمُ الصَّلاةُ، وَآخَرَ مَا يَبْقَى الصَّلاةُ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسَبُونَ بِهِ الصَّلاةُ، يَقُولُ اللَّهُ: انْظُرُوا فِي صَلاةِ عَبْدِي، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً، قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ، ثُمَّ قَالَ: انْظُرُوا هَلْ زَكَاتُهُ تَامَّةٌ؟ فَإِنْ وُجِدَتْ زَكَاتُهُ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً، قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ لَهُ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ تَمَّتْ لَهُ زَكَاتُهُ مِنَ الصَّدَقَةِ }[٨٢]

وهذا الكلام لمن يحافظ على أداء الصلاة طوال حياته، وليس من عنده قصور في الصلاة المفروضة نتيجة المشاغل والمشاكل التي في الحياة.

٨٢ مسند أبي يعلي الموصلي عن أنس ﷺ

فإياكم أن يظن أحدٌ أن هذا الحديث لمن صلي سبع أو ثمان سنين في حياته ويقول: أكملوا له من تطوعه، لا، هذا الإكمال لمن صلَّاها طوال حياته ولكن لم يأخذ فيها الدرجة النهائية، فيكملوها له من النوافل القبلية والبعدية.

ونفس الأمر في صيام شهر رمضان، الشيخ أبو طالب المكي صاحب كتاب (قوت القلوب) يقول:

(إنَّ من الناس من لا يكتب له رمضان واحد إلا في عشر سنوات، وإنَّ من الناس من لا يُكتب له رمضان واحد إلا في خمسين سنة)

لماذا؟

لأنه صائم بالنهار ولكنه لا يمتنع عن الخمسة الذين قال النبي فيهم:

{ خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ، وَيَنْقُضْنَ الْوُضُوءَ: الْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالْكَذِبُ، وَالنَّظَرُ بِالشَّهْوَةِ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ }[٨٣]

فكيف نُكمل صيام شهر رمضان؟

من الأيام النفلية التي يصومها المؤمن طوال العام، مثل صوم يوم عاشوراء وهو سُنَّة، لأن حضرة النبي صامه، وكذلك أصوم يوم عرفة فهو سُنَّة، لأن حضرة النبي صامه، وأصوم يوم النصف من شعبان، ... فهذا مستحب لأن حضرة النبي أمر به ولكن لم يصمه.

كذلك أصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، فهذه سُنَّة، لأن النبي كان يصوم الإثنين والخميس على الدوام، وكذلك أصوم ست أيام من شهر شوال، ... لأن الرسول ﷺ أمر بهم.

لكن هناك أحاديث أريد من الأحباب أن ينتبهوا لها، وخاصة التي تنزل على مواقع التواصل كالفيس بوك وغيره في هذه الأيام، وهي أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان ولا أعلم من أين أتوا بها.

---

٨٣ الديلمي في الفردوس والعلل لابن أبي حاتم عن أنس ﷺ

يعني أتوا بحديث يقولون فيه:

(من بشر المسلمين بشهر رجب فله الجنة) وحديث في صيام يوم السابع والعشرين من شهر رجب، ويقولون (صيام يوم السابع والعشرين من رجب كصيام ستين شهر) ولا يوجد حديث صحيح ولا ضعيف في صيام السابع والعشرين من رجب.

أريد أن أصومه فلا مانع، ولكن لا أصومه على أن هذا حديث، ولكن أصومه على أنه تطوع لله، لأن لي أن أصوم لله في أي وقت ما لم يكن يوماً منهياً فيه عن الصيام، كصوم يوم الجمعة منفرداً ليس معه الخميس أو السبت، أو صوم يوم الشك وهو آخر يوم في شهر شعبان، أو صوم يومي العيد لأنه عيد المسلمين.

هذه الأحاديث غير صحيحة وللأسف يتم نشرها، وتقول له: هذا ليس بحديث، فيرد علي ويقول: هذه محبة للمسلمين؟!! هذه ليست محبة وإنما استخفاف بالمسلمين، فالأحاديث التي ليس لها أساس عندنا، وليست صحيحة ولا ضعيفة لا نعبأ بها، ولا نسمع إلا لهذا النبي الكريم الذي قال الله لنا فيه:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (١٧الحشر).

فالسبب الأول للعمل بالسنن والنوافل أنها تكمل الفرائض التي أمرنا الله بإكمالها.

ويوجد سنن أُخرى عن حضرة النبي ﷺ نستوجب بها محبة الله:

كقيام الليل، وصلاة الضحى، وتلاوة القرآن والإكثار منه، والإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى، والإكثار من الاستغفار، والإكثار من الصلاة على حضرة النبي ﷺ، وهذه قال لنا فيها الله تبارك وتعالى في حديثه القدسي:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }[٨٤]

وكما قلنا:

٨٤ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

فإن النوافل القبلية والبعدية للصلاة هي في حقيقتها فريضة، لأنها تكمل الفريضة وليست نافلة، كالرقعة التي أضعها في الملبس، فهي ليست من الملبس، ولكنها أصبحت جزء منه.

فإذا أردت نوافل أخرى يحبني بها الله، أقوم الليل اقتداءاً بسيدنا رسول الله، وأصحابه المباركين ولو ركعتين، قال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ } [٨٥]

ركعتين فقط من الفجر يجعلان الإنسان في أعلى مقامات أهل القرب المذكورة في سورة الأحزاب، وصلاة الضحى قال فيها ﷺ:

{ يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنَ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ، تَسْلِيمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُهُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَبُضْعَةُ أَهْلِهِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَى } [٨٦]

سلامة يعني فقرة مفصل ..

فكل مفصل ليتحرك أنت تحتاج أن تخرج له صدقة في الصباح لله ﷻ، بدون أن تحتاج إلى طب ولا علاج ولا غيره ..

وأنتم ترون كبار السن يكون لأحدهم مفصلاً واحداً فقط وهو الركبة، عندما لا يتحرك هذا المفصل يذهب لأطباء الدنيا، ولا يستطيعون فعل شيء له.

هذه المفاصل عددها ثلاثمائة وستين مفصلاً كما قال النبي ﷺ:

{ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ } [٨٧]

---

٨٥ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٨٦ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي ذر الغفاري ﷺ
٨٧ صحيح مسلم وابن حبان عن عائشة ﷺ

وسبحان الله!

العلم والطب الحديث أثبتوا ذلك ووجدوه ثلاثمائة وستين مفصلاً، فكل مفصل من هذه المفاصل لكي يتحرك يحتاج إلى صدقة، فتكون ثلاثمائة وستين صدقة، والصدقة كإطعام الطعام، ومساعدة الفقير، وإرشاد الضال، وإقراء الضيف، ولكن عندما أصلي ركعتين سُنَّة الضحى فكأنني شكرت الله على نعمة المفاصل كلها، التي ليَّنها لي الله ﷻ.

الركبة عندما يقف مفصلها، لماذا يقف؟

يقولون: لأنه لم يعد فيه زيت يعني لا تتشحَّم، فالعظم يحتك بالعظم، وما الذي يشحمها الآن؟ لا شيء غير ملك الملوك ﷻ، فيعطيك الطبيب مسكنات، ويعطيك أشياء تريحك فترة، لكن لا يوجد علاج.

ملك الملوك ﷻ هو وحده الذي يجري هذه الأمور عندما يحافظ الإنسان على قيام الليل ولو قليل، وصلاة الضحى.

وحضرة النبي كان يصلي الضحى أحياناً أربعة، وأحياناً ثمانية، ولكن صلِّ أنت على الأقل ركعتين، والمهم أن تواظب على ذلك، لأن أهم شيء في هذه الأمور كلها المواظبة.

وتجعل لسانك رطباً بذكر الله في كل حركاتك:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران)

إما أقرأ ما تيسر من كتاب الله، فإذا كنت لا أحفظ شيئاً، أقرأ الفاتحة وأعيدها، فإنها أم القرآن، أو (قل هو الله أحد) وأكررها فهي ثُلث القرآن، وكلما قرأتها ثلاث مرات فكأني قرأت القرآن كله مرة واحدة.

وتذكر الله كما قال الله: ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب) لكن لا تعد على الله، لأنه لم يعُد عليك نعماه تبارك وتعالى.

أو تُصلِّي على رسول الله، أو تستغفر الله، فلو أن الإنسان اشتغل بهذه النوافل، فإن الله ﷻ يحبه، وإذا أحبه:

{ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[٨٨]

هذه السنن نسميها سنن العبادات.

أما السنن الأخرى :

كاللحية والعمامة وتقصير الثياب وكيفية الطعام والشراب والنوم، فهذه اسمها سنن عادات:

وإذا فعلتها فلي أجرها، ولكني لا أُلزم غيري بها، لأنها تتغير على حسب كل زمان، ويستحيل أن نلزم المسلمين أجمعين في هذا الزمان بالملابس التي كان يلبسها حضرة النبي، فكل زمان له عادات أو أعراف.

الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه :

كان في مذهبه العرف عنده أن من المروءة ألا يخلع الإنسان غطاء رأسه، وألا يأكل في الطريق، فإذا خلع الإنسان غطاء رأسه فقد سقطت مروءته، ولا يصلح للشهادة، وإذا أكل في الطريق فقد سقطت مروءته ولا يصلح للشهادة.

ولذلك العلماء عندما وضعوا قواعد الزواج الشرعية وقننوها، نظروا فوجدوا مذهب الإمام الشافعي لا يصلح الآن، فمن أين نأتي بشاهدي عدل؟!

لأن الناس كلهم الآن خلعوا غطاء رئوسهم، وكلهم يأكلون في الطريق، فماذا نفعل؟ قالوا: نأخذ بمذهب الإمام أبو حنيفة، وماذا قال أبو حنيفة؟ قال:

إذا توّبت الحاضرين، فقد تاب الله عليهم، وأصبحوا كلهم شهود عدول، ولذلك يبدأ العقد بالتوبة، فيتوب الجالسون وما داموا قد تابوا فقد أصبحوا كلهم شهود عدول.

فالإمام الشافعي عنده تسقط مروءة من لم يضع غطاء على الرأس، وهذا اسمه عُرف، فهل هذا العُرف يليق بعصرنا؟ لا، فنجد إماماً يصعد المنبر بدون غطاء رأس،

---

٨٨ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

ومعظمنا يمشي في الشارع وفي العمل بدون غطاء رأس، لماذا؟ لأن العلماء قالوا: الأساس في الغطاء ستر العورة، والرأس ليست من العورة، ولكنها شيء كمالي تخضع للظروف العرفية بين كل بيئة وبيئة أُخرى.

الرسول ﷺ كان يلبس العمامة، لكن أهل روسيا والمناطق القطبية هل تصلح معهم هذه العمامة؟ لا، لأن هذه العمامة ستبردهم، وأنتم ترون الطاقية التي يلبسونها هناك، فهذه عادات.

وهل نحكم على أهل هذا العصر أن يتناولوا الطعام الذي كان في مطبخ النبي ﷺ؟! لا، حتى في عصر الصحابة الراشدين ...

ذهب جماعة من خيار التابعين للسيدة أم سلَّمة رضي الله عنها وقالوا لها: نريد أن نأكل طعاماً كالطعام الذي كنتِ تطهينه لرسول الله، فقالت لهم: لن تستطيعوا أن تأكلوه، فلما أصروا، صنعت لهم طعاماً مما كان يأكله رسول الله، فلم يستطيعوا أن يأكلوه لأن العصر كان قد تطور.

سيدنا رسول الله ﷺ في عصره لم يكن عندهم مناخل، فكانوا يأتون بالشعير وليس القمح، لأن القمح كان يأكله الوجهاء فقط، أما معظم المؤمنين ومنهم سيد الأنبياء والمرسلين كانوا يأكلون الشعير، وكانوا يطحنوه بالرحاية ولا ينخلوه، وبعد ذلك يعجنوه ويخبزوه ويأكلوه.

الجماعة الذين أتوا من بعدهم ذهبوا لبلاد الشام وبلاد فارس فرأوا الحضارة وتنوروا، فأصبحوا يحضرون الدقيق الأبيض وينخلوه ويأكلوه، وهل مثل هؤلاء سيأكل عيش شعير مرة ثانية؟! لا.

فهل نستطيع أن نُلزم كل الأنام بالطعام الذي كان يأكله رسول الله؟

لا، لأن كل زمن له عادات وله أعراف !

ولكننا نأخذ من سنته وهديه في أننا نُسَمِّ الله في بداية الطعام، ونأكل مما يلينا، ونشكر الله ﷻ على هذا الطعام، أو ندعوا لمن دعانا إلى هذه الوليمة بالخير، ويكون هذا الطعام من حلال، ونأكل ولا نشبع، حتى لا يأتينا المرض، وهذه القواعد العامة التي

أتمسك بها وليس بالتفاصيل التي كان عليها.

والملبس كذلك، فألتزم بالملبس غير اللافت للأنظار، ويغطي العورة، ومناسب للمؤمنين، ويكون من حلال أباحه لنا رب العالمين، ولا ألبس الذهب ولا الحرير، لأن النبي حرمهما على رجال الأمَّة، وأباحهما للنساء، ولا يكون الملبس على سبيل الخيلاء والفخر والمباهاة، قال ﷺ:

{ كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرَفٍ }[٨٩]

يعني لا يكون فيه إسراف وتبذير ولا خيلاء وكبر وزهو على من حوله، لكن من منا يلبس الملابس التي كان يلبسها رسول الله ﷺ؟

لا أحد!!

وقد كانت صناعة يدوية، ناس تغزل، وناس تنسج من الغزل، ولم يكن عندهم مصانع، فلو مشينا على ما كان عليه رسول الله سنلغي مصانع الغزل والنسيج، ونرجع للنول اليدوي والنسج اليدوي، لكن الإسلام لم يمنع ذلك:

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ (٣٢الأعراف).

إذاً سنن العادات:

الأمر يختلف فيها بحسب الأعراف، وبحسب كل زمان، وبحسب كل مكان، ومن فعل فعل رسول الله، وأخذ روح الفعل كما ذكرنا في بعضها، فهذا سينال هذا الثواب عند الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا دائماً وأبداً حُسن الفهم عن حبيبه ومصطفاه، وأن يفقِّهنا من عنده في كتاب الله، وأن يوفِّقنا أجمعين للعمل بما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

[٨٩] مسند أحمد والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

المجلس الحادي عشر

تصفية القلب

الخلوة

تصفية القلب[٩٠]

لما كانت عناية الله تبارك وتعالى الخاصة بالمؤمنين والمحسنين والموقنين تقتضي منه تبارك وتعالى أن يضيئ الأنوار في قلوبهم ليمشوا في الدنيا طبقاً لقول الله:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام)

فيكون كل مؤمن في هذا المقام ينطبق عليه حديث الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٩١]

والقلوب ملأها علام الغيوب بالأنوار منذ العهد القديم ..

ولكن في الحياة الدنيا :

تتراكم عليها الذنوب، وتتوالى عليها العيوب، فتسترها عن أنوار حضرة علام الغيوب التي هي أصلاً كائنة فيها، فيمشي الإنسان في دنياه لا يدري الطريق الأصوب الذي يمشي فيه والذي يرضي الله.

الخلوة

ولذلك كان أول ما عمله سيدنا رسول الله ﷺ – لنقتدي بهداه – :

أن بدأ بخلوته في غار حراء ...

ليعلِمنا أن السبيل الأهم في طريق الله أن يجلس العبد في خِلوةٍ مع مولاه، يُصفي فيها قلبه من كل شيء غير مولاه.

هذه التصفية تحتاج:

– إلى أن يخلو العبد بنفسه.

---

٩٠ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٢ من رمضان ١٤٤١هـ ١٥/٥/٢٠٢٠م عبر برنامج زووم

٩١ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

- وأن يعمل فيها بالشروط التي استنبطها الصالحون، بأن يكون قليل المطعم والمشرب، وقليلٌ في المنام، ويُقلل قدر استطاعته من الكلام مع الأنام، ويُكثر من ذكر الله تبارك وتعالى على الدوام.

وقد جعل الله ﷻ – وهو الحريص علينا – هذه الليالي والأيام المباركة؛ وهي العشر الأواخر من شهر رمضان فرصة لنا خاصة المؤمنين أجمعين،:

- لنجلو القلب من الظلمات ..
- ونُطهّر النفس من الحظوظ والأهواء والشهوات ..
- ونتمتع بنزول الأنوار البينات:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ (القدر)

حتى يطلع فجر الحقائق ﷺ في قلوبنا، فتستنير به أفئدتنا، ونُصبح ننظر بنور الله، وينطبق علينا قول حبيب الله ومصطفاه:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }[٩٢]

ونمشي في الدنيا متحققين بقول الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف).

أسأل الله تبارك وتعالى :

أن يطهر قلوبنا من كل الأغيار، وأن يفتح بصائر قلوبنا وأفئدتنا ويملؤها بالأنوار، وأن يجعل كل همنا في حُسن الاتِّباع الظاهر والباطن للنبي المختار، وأن نمشي في الدنيا على هداه، وأن يكون مقصدنا الأعظم هو وجه الله، وأن نتحرى الإخلاص في كل قول وعمل حتى نخرج من الدنيا ونحن في أتم الحضور مع حضرة الله.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٩٢ جامع البيان للطبري عن ثوبان ﷺ

المجلس الثاني عشر

الإعتكاف وقت الوباء

الإعتكاف وقت الوباء[٩٣]

الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان سُنَّة عن سيدنا رسول الله ﷺ. ولكن الله تبارك وتعالى من جميل صُنعه معنا، ومن مكارمه التي لا تُعد وتُحصى لنا ولإخوننا المسلمين أجمعين، جعلنا معتكفين أجمعين وإن كنا في بيوتنا.

فإن الاعتكاف :

يقتضي أن يكون المعتكف في مسجد تؤدى فيه الجمعة والجماعة.

فإذا كانت المساجد مغلقة أمام الجمعة والجماعة لعلة شرعية، كان الإعتكاف – بحمد الله – مكتوباً لنا أجمعين إذا جلسنا في بيوتنا ولم نشغل الوقت بعد الضرورات إلا في طاعة ربنا.

فإن الله ﷻ صاننا ونحن في بيوتنا عن كل الآثام والذنوب؛ عن الغيبة والنميمة، والقيل والقال، والنظرات المحرمة، وغيرها من الذنوب التي تطمس على القلوب فتحجبها عن جمال الحبيب المحبوب ﷺ.

فإذا قضى الإنسان وقته ... بعد أداء الواجب عليه نحو نفسه، ونحو عمله، ونحو أهله:

- **في ذكر الله ..**
- **وفي تلاوة كتاب الله ..**
- **وفي التسبيح لله ...**
- **وفي الصلاة على رسول الله ..**
- **وفي مطالعة درس علمٍ ينتفع به في دنياه، ويرتفع به في أُخراه ..**
- **وفي أي عمل صالح:**

كان له أجر الاعتكاف التام !!!

---

٩٣ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٣ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/١٦م عبر برنامج زووم

مع أنه والحمد لله في بيته ..

ويجلس على راحته وفي كمال هيئته ...

وذلك فضل الله علينا وعلى المسلمين أجمعين في هذا الوقت الكريم.

والحمد لله تبارك وتعالى أن الله خصَّنا بهذه الميزة الكريمة التي لم تحدث من قبل في أمة الإسلام ...

أن جعل المسلمين أجمعين المستمسكين بما ذكرناه معتكفين في هذه الليالي الطيبة المباركة.

فهل يستطيع أحدٌ منا أن يعد عدد المعتكفين من المسلمين في العالم أجمع الآن؟!

والمعتكفون تُفتح لهم أبواب السماء، ويُستجاب لهم الدعاء، ويُحقق لهم الرجاء.

فعلينا أن نستغل هذه الأوقات المباركة:

في الدعاء لنا أولاً ولأنفسنا ولأولادنا وأهلينا وللمسلمين أجمعين:

- أن الله يُحصِّننا بحصون أمنه ...
- ويرفع عنا أجمعين الوباء والبلاء ...
- ويُدخلنا في قول سيد الرسل والأنبياء ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ ضَنَائِنَ مِنْ خَلْقِهِ يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، وَإِذَا تَوَفَّاهُمْ تَوَفَّاهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ تَمُرُّ عَلَيْهِمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَهُمْ فِيهَا فِي عَافِيَةٍ }[٩٤]

اللهم اجعلنا من أهل هذا الحديث، وارزقنا العفو والعافية، وارزقنا كذلك إجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، واجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم إنك نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٩٤ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

المجلس الثالث عشر

المحبون والمحبوبون

أحوال المحبوبين

الخلوة قديماً وحديثاً

مواهب المحبوبين العلية

الصِدِّيق

صفاء عمر

جلاء عثمان

المحبون والمحبوبون[٩٥]

ذكرنا أن الله ﷻ قد جعل لنا في العشر الأواخر من شهر رمضان خُلوةً، نرجو من الله أن يُتمها علينا بصفاء ونقاء، حتى نلحق بالسابقين المقربين، ونلحق بالصالحين، وندخل في معية وروضة النبي الأمين ﷺ.

وقلنا فيها أن هذه الخِلوة هي أساس الطريق إلى الله تبارك وتعالى لكل سالك أمين، وكل مريد صادق الوعد مع نبينا الرءوف الرحيم.

والأحباب في كل زمان ومكان طائفتان:

- طائفة من المحبين ....

وربما يظل المرء منهم طوال عمره في زُمرة المحبين ولا يتعدى هذه المنزلة، وهي في نفسها منزلةٌ عظيمة، يكفي صاحبها فخراً وشرفاً قوله ﷺ:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٩٦]

أحوال المحبوبين

- أما طائفة المحبوبين فهم الذين يكونون منهم، وفرقٌ كبيرٌ بين من هو معهم، وبين من هو منهم، وقد قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

((من كان منا نال المنى، ومن كان معنا فَقِه المعنى)).

فمن كان منهم، يرث أحوالهم وأنوارهم وأسرارهم ومنازلهم ودرجاتهم ...

وهذا لكي يدخل في عداد هؤلاء:

لا بد أن يكون له في بداية حاله مع الله خلوةً تكون فيها تصفية لنفسه وقلبه، حتى إذا تخلَّى تحلَّى، وإذا تحلَّى له ربه يتجلى، وإذا ربه له تجلى فإنه يُكشف عنه الأستار وبنور النبي وبضيائه يتملَّى.

---

٩٥ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٤ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/١٧م عبر برنامج زووم

٩٦ جامع الترمذي عن صفوان بن عسال ﷺ

الخلوة قديماً وحديثاً

هذا الأمر العظيم لا بد له من الخلوة، والخلوة كما قلنا دأب سيد الأولين والآخرين والأنبياء والمرسلين والصحابة المباركين، لكن رسول الله ﷺ لأنه المثل الأعلى لجميع المقربين كانت خلوته في غار حراء، وتبعه على هذا النهج ثُلة عظيمة من الأولياء.

فسيدي أحمد البدوي :

كانت خلوته في غار حراء لمدة سبع سنين، وسيدي أبو الحسن الشاذلي كانت خلوته في جبل شاذُلة في تونس لمدة سبع سنين، والأمثلة في ذلك كثيرة.

لكن الله أنعم علينا في هذا العصر المبارك الميمون بالإمام أبى العزائم ﷺ حيث جعل نهجنا هو نهج الصحابة المباركين، وقال ﷺ:

((الخِلوة هي خُلو القلب من الأغيار)).

فإذا خلا القلب من الأغيار بجهاد شديد في ذات الله، وبنظرات العبد المقرب إلى مولاه يختص بها أهل حظوته، كان المرء في خلوة ولو كنا نراه في جلوة، ولو كنا نراه في السوق أو في أي مكان، ونراه ربما صامت اللسان، لا تتحرك منه الشفتان، ولكن قلبه مُعلَّقٌ بحضرة الرحمن يذكر الله بقلبه ذكر لا تستطيع أن تسمعه منا الأُذنان.

وهؤلاء الرجال حتى ولو كانوا في تجارة فقد قال الله تبارك وتعالى فيهم:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (٣٧النور).

يراه الناس فيحسبون أنه عن مولاه غافل، وهو يشاهد ما لا يشهدون، ويرى ما لا يرون، لأنه كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

إن الرجال كنوزٌ ليس يدريها إلا مرادٌ تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم قلوبهم صفت والله هاديها
همُ الشموس لشرع المصطفى وهمُ سفينة الوصل بسم الله مجريها

مواهب المحبوبين العلية

وأول ما يهب الله تبارك وتعالى لهم من المواهب العلية أن يقذف في قلوبهم من نوره فيُحدِّثون عن إلهامٍ فوري من الملك الموكل بالإلهام، أو من الله تبارك وتعالى من ذاته، وإذا تحدثوا فإنما ينطقون بما يُلهمهم به الله، وهذا ما نراه في الصحابة المباركين أجمعين.

الصِدِّيق

وعلى سبيل المثال:

- فإن أبا بكر الصديق ﷺ وأرضاه عندما وهب ابنته التقية السيدة عائشة حديقة خصَّها بها ناظراً لظروفها، ولكنه عندما اقترب لقاء الله أمر بمناداتها وقال: يا بُنيَّة قد كنت وهبتك حديقة كذا، ولكنه إنما هما أخواك وأختاك، فقالت: يا أبت ليس لي إلا أختٌ واحدة هي أسماء، وكانت زوجته حاملاً، فقال: انظري إلى بطن بنت خارجة وأظن أن ما في بطنها أُنثى.

وإذا مات الرجل وامرأته كانت حاملاً فلا يُبتُّ في أمر تركته إلا بعد ولادة هذه الحامل لننظر أتلد ذكر أم أنثى، وبعد ستة أشهر ولدت كما قال، وكان كما ورد في الأثر:

((من أراد أن ينظر إلى ميتٍ يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى أبي بكر))

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١٢٢الأنعام).

صفاء عمر

وكذا عمر :

في أحداثه الكثيرة والتي على رأسها رؤيته وهو على المنبر لجيش سارية ومناداته له، وسماعهم لندائه مع بُعد المسافة بينهما.

جلاء عثمان

وكذا عثمان بن عفان عندما دخل عليه صحابي وكان قد نظر وهو في طريقه إلى ساق امرأة، فقال ﷺ: أيدخل عليَّ أحدكم وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال: أوحيٌ بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكنها فراسة المؤمن، أما سمعت قول رسول الله ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٩٧]

أما الإمام عليّ ...

فقد أشار النبي إلى مقامه العلي في هذا المقام عندما دخل المسجد وكان علي نائماً، فقالوا: يا رسول أنوقظه؟ قال كما ورد ببعض الأثر:

((دعوه، عليٌّ وإن كان جسمه على الثرى إلا أن قلبه بالملأ الأعلى)).

ونكتفي بذكر هؤلاء الأقطاب ...

وإن كان كل الأصحاب لهم نصيبٌ من هذا المقام العظيم، وكذلك الصالحون، وكذلك الثُلة المباركة المتعاونة والمحيطة بالصالحين، لا بد أن يكون لهم بصيرة وإلهامٌ، يتلقون به من الله ﷻ ما يُلقيه عليهم من الهواتف الإلهية، ومن العطاءات الربانية.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفتح علينا فتحاً مبينا، وأن يهدينا صراطاً مستقيما، وأن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٩٧ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

المجلس الرابع عشر

فتح عين البصيرة

إخلاص النية

التخلص من موانع الحجب الإلهية

الخلاص بالإخلاص

الاقتداء بالنبي

التشبه بأخلاق النبي

الإلهام

فتح عين البصيرة[٩٨]

كيف يفتح الله تبارك وتعالى لنا عين البصيرة النورانية لنرى الحقائق الغيبية الإلهية بالعيون الكشفية؟

إن الله ﷻ من الأزل القديم خصَّنا بهذه المزية، وكانت بصيرتنا في العهد القديم في يوم ألست بربكم مُضية، وشاهدنا بما أشهدنا الله تبارك وتعالى حضرة الربوبية، وأجبناه بعد أن نطق على ألسنتنا بما نصَّ على ذاك في الآيات القرآنية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف).

من ألستُ لم ننس ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا

ولكن بعد أن أنزلنا الله إلى الحياة الكونية، وظهرنا في الخلق الجديد لنساير به العوالم المُلكية، وهو هذا الهيكل وهذا الجسم، وبعد أن استخدمنا الحواس الظاهرية، وأوردت لنا العين مشاهدها الكونية، والآذان الأصوات الإنسية، ورأينا ذلك بعيوننا العقلية، كل هذه الغواشي قد أثَّرت على بصيرتنا الروحانية، ولذلك يقول في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }[٩٩]

ما الذي يرفع هذا الغطاء؟

أولاً :

أن يُخصُّ المرء من الله ورسوله بخالص العطاء، وبسر هذا العطاء يمده الله بمدد من عنده، والحبيب بنورٍ من لديه، فيقوم ذاكراً لله، فيكون كما قال ﷺ:

---

٩٨ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٥ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/١٨م عبر برنامج زووم

٩٩ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى } [١٠٠]

فيُخلي الإنسان باله من الشواغل الكونية، .... وقلبه من الصور الملكية التي تشغله عن مشاهدة رب البرية والحضرة المحمدية ...، وينشغل ذاكراً لله تعالى بقلبه وجوارحه بالكلية، ويكون معه معيناً له على بلوغ هذه المقامات العلية أمورٌ لا بد أن يلحظها في كل أطواره السلوكية، لكي يترقى في هذا المقام، ... حتى يحطُّ به الوطر على المقامات الشهودية.

إخلاص النية

فيتعين عليه أولاً أن يكون خالصاً مخلصاً لله في كل نواياه، والنوايا محلها القلوب، فيُدقق النظر جيداً في كل نية، بحيث لا يصدر منه عمل إلا ومعه نية صادقة خالصة يبغي بها وجه مولاه.

والنوايا هي سر كل قرب للصالحين والعارفين إلى حضرة القريب تبارك وتعالى، فيُدقق جيداً في نواياه حتى قال بعض الصالحين: ((إني لا أخرج من بيتي إلا إذا استجمعتُ سبعين نية كلها لله تبارك وتعالى)).

التخلص من موانع الحجب الإلهية

فيراقب في النوايا الإخلاص لله، فيتخلص من موانع الحُجب الإلهية وهي رؤية الأكوان، والنظر إلى ما حوله من بني الإنسان، وإعجاب المرء بذاته، ورؤيته إلى عالم الظهور، وشهوته في الطمع في هذا الظهور، أي يكون له بين الناس سُمعةً مُدَوية، أو كراماتٌ ظاهرة، أو علومٌ باهرة، أو أحوال عليَّة فاخرة.

فيُطهِّر نفسه من هذه العلل الخفية، بعد أن حفظ ذاته الظاهرة من جميع الشهوات الشرعية والظاهرية التي طالبنا الله بها في الآيات القرآنية، وحضَّنا على تركها

---

١٠٠ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

الحبيب في وصاياه النبوية صلوات ربي وتسليماته عليه.

الـخلاص بـا لإخـلاص

فإذا تحقق بالإخلاص، خُصَّ بعطايا الخواص، ولذلك عندما وافت المنية الإمام الغزالي ﷺ، وكان حوله خاصة طلابه ومريديه، قالوا له:

أوصنا، فأخذ يقول ويكرر:

(الإخلاص، الإخلاص)

حتى خرجت روحه من جسده للقاء وجه ربه تبارك وتعالى.

فالإخلاص به الخلاص، وبه النجاة من كل هذه القاذورات، وبه الخلاص من المنازعات والشبهات والشهوات، وبه دخول عالم المعاني وعالم الشهود والقرب والتداني: ﴿ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

فإذا تحقق الإنسان بالإخلاص لا يهم معه كثرة العمل، ولا الإكثار من العبادات، فقد قال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ:

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ } [١٠١]

وكما ورد في الأثر في وصف عمل هؤلاء:

((إن لله عبادًا؛ التسبيحة الواحدة منهم مثل جبل أُحد)) لأنها تخرج مملوءةٌ بالإخلاص لله تبارك وتعالى، قال الله تعالى في حديثه القدسي:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي } [١٠٢]

هذا الإخلاص:

سرٌّ من أسرار الله، يستودعه قلب من يحب من عباده، لا يطلع عليه ملكٌ فيكتُبه، ولا شيطانٌ فيُفسده.

---

١٠١ الحاكم في المستدرك وحلية الأولياء عن معاذ بن جبل ﷺ

١٠٢ أحاديث مسلسلات، والرسالة القشيرية عن حذيفة بن اليمان ﷺ

الاقتداء بالنبي

فإذا تجلَّى الله على عبده بالإخلاص كان محلُّ نظره دوماً سيد المخلصين، وإمام الأولين والآخرين، ومن هو مشهودٌ له في الكون بالنيابة عن حضرته، فيراه في كل حركاته وسكناته، ليتشبَّه به في غُدوه ورواحه ومساه وصباحه.

ولذلك مقياس أهل الكمال أن تنظر إلى أفعالهم وأحوالهم ومدى تشبههم بالرجل الكامل الذي تشبَّه بالحبيب ﷺ في كل أحواله.

فإن كانوا يتشبهون به في الظواهر والمظاهر، فإنهم ليس لهم نصيبٌ في عالم الباطن، ولا في عالم الشهود، ولا في عالم الترقِّي إلى حضرة الكريم الذي فتح أبواب كرمه وجوده لمن تشبهوا بحبيبه ونبيه صلوات ربي وتسليماته عليه.

التشبه بأخلاق النبي

وجهاد هؤلاء في التشبه بأخلاق الحبيب، والتي يقول فيها أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه: ((ليست الكرامة أن تمشي على الماء لأن الأسماك تفعل ذلك، ولا أن تطير في الهواء لأن الطيور تفعل ذلك، ولا أن تقطع بين المشرق والمغرب في لحظة لأن الشيطان يفعل ذلك، ولكن الكرامة أن تُغيِّر خُلُقاً سيئاً فيك بخُلُقٍ حسن)).

فانظر إلى نفسك، وكل إنسان على نفسه بصيرة: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤القيامة) هل أنت أخلاقك في الحلم الإلهي والتعامل مع الخلق تتشبه بسيد الخلق في عفوه وصفحه وحلمه وكرمه وجوده؟! أم ليس لك نصيبٌ في هذه الأخلاق؟!.

فإذا كنت صاحب نصيب في هذه الأخلاق فأبشر، فأنت من أهل الوفاق ومن أهل الترقي في مقامات القرب لحضرة المنعم الرزاق، ولك نصيبٌ في إرث الحبيب المختار الذي يقول فيه:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ } [١٠٣]

١٠٣ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه

الإلـــهـــام

فإذا كنت على وفق أخلاق الحبيب، وتتمسك بالإخلاص في الحضور وفي المغيب، فإن الله ﷻ يُغدق عليك موائد كرمه وجوده، ويتجلَّى عليك بأنواره وبهائه، ويتجلى على قلبك أولاً بإلهامه، والإلهام الرافع للمقام أن يُلهمك النوايا الطيبة عند كل كلمة تخرج من فيك، ويجعلك تتخلق بقول النبي:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ }[١٠٤]

فلا تنشغل بغيرك، ولا تنشغل بعورات الآخرين، وإنما تنشغل بعورات نفسك لتسد خُلَّتك، وتُصلح من شأن سريرتك، وتؤهل نفسك للقبول والإقبال على حضرة الله تبارك وتعالى.

وهنا يكون قولك نذراً، ويكون نومك حضوراً بين يدي الله، ويكون لك نصيب في إرث حبيب الله:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[١٠٥]

ويكون طعامك ضرورة، ويكون اختلاطك بالخلق للضرورات، ولا تقع فيه في المحظورات، لأنك يقظٌ لبداوات نفسك، ويقظٌ لكل وساوس يحاول أن يدسها لك الشيطان، فتكون قد دخلت في حصون الرحمن:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر).

أسأل الله ﷻ أن يُدخلنا هذه الخلوة الربانية بهذه الأوصاف القرآنية، وبهذا التشبه بالحقيقة المحمدية، وأن يفتح لنا كنوز فضله وجوده وكرمه على الدوام، وأن يُنعم علينا بمشاهد عالين، وبما كان عليه في كل وقت وحين سيد الأولين والآخرين، حتى نكون من عباد الله الأتقياء الأنقياء.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

١٠٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

المجلس الخامس عشر

التحلي بالتخلي

التخلي عن رذائل النفس

التحلي بالجمال المحمدي

الأوصاف الإلهية

أذكار الأبرار

كمال التشبه بالنبي في أوصافه المعنوية

العبودية

التحلي بالتخلي[١٠٦]

ما الكيفية التي يتخلص المرء بها من الأغيار؟ وكيف تتنزل له من عند الله تبارك وتعالى الأنوار؟ وكيف تتنزل له من عند محبوبه الأعظم ﷺ الأسرار، ويُتوج بتاج المقربين والأطهار والأخيار؟

قسَّم السادة الصالحون هذا المنهج إلى قسمين، لا بد أولاً من التخلي ثم بعد ذلك التحلي، وآفة المريدين في كل وقت وحين وخاصة في هذا العصر المملوء بالظلمات أنهم يريدون التحلية بدون التخلية، ولا يكون ذلك أبداً.

التخلي عن رذائل النفس

لا بد أن يتخلى الإنسان عن عاداته، ويتحلى بعادات وأخلاق سيد المخلوقات والكائنات، فإذا كان العبد لا يريد أن يترك خُلُقاً فيه مع أنه يعلم أنه خُلُقٌ غير كريم، ويبدله بالخلق العظيم لنبينا الرءوف الرحيم فذاك من المكابرة، ويدخل في قول الله صاحب هذا الشأن:

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٢٣النحل).

فالإنسان المؤمن الذي يريد أن يرقى إلى مقامات الإحسان،... وبعدها إلى مقامات الإيقان:

لا بد أن يرجع أولاً إلى حقيقته الطينية، ثم يتخلى عن جميع العادات والأخلاق غير السوية التي يراها في نفسه، والتي يشير إليها الناصحون وخاصة المرشد الخبير البصير، إن كان في أحاديثه، أو كان في توجيهاته غير المباشرة، أو كان في نصائحه المباشرة للمريد السالك في طريق الله تبارك وتعالى.

ويُقبل على هذه العادات أولاً، وهذا جهادٌ للنفس:

لا بد في جهاد النفس أن يتخلى الإنسان عن عاداته ويتجمل بعادات سيد الكائنات، وإمام الأولين والآخرين ﷺ.

---

١٠٦ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٦ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/١٩م عبر برنامج زووم

التحلي بالجمال المحمدي

وخير معين للسالكين في هذا المقام، ما ذكرناه وأشرنا إليه في كتابنا (الجمال المحمدي) فلا بد أن يقرأه بقلبه، ثم ينفذه عملياً على مسرح نفسه، وأمامه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

حتى يظهر فيه أثرٌ من هذا الجمال، وفوراً يشعر بمحبة الناس له وخاصة الصادقين لِما تجمَّل به من هذه الخلال؛ خلال الحبيب المصطفى ﷺ.

الأوصاف الإلهية

اعلم يا أخي علم اليقين أن القوم لا يحبونك لذاتك، وإنما يحبونك لما رأوا فيك من أوصاف حبيب الله ومصطفاه، أو لما ظهر عليك من جمالات وكمالات حضرة الله، والله ﷻ لا يحبك لجسدك الطيني، ولكن لأوصافك الإلهية التي جعلتها مطابقةً لخير البرية، فيُحبك الله كما أحبه لأنك سرت على نسقه، وعلى أوصافه، وعلى أخلاقه صلوات ربي وتسليماته عليه، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: ((أحبب ما فيك منه – تبارك وتعالى – فهو المحبوب له لا أنت)) يعني أحبب أوصاف الله التي فيك، وكما ورد في بعض الأثر: ((إن الله يحب من خَلْقِه من كان على خُلُقه)).

أذكار الأبرار

وأهل البدايات ندربهم على هذه الكمالات بكتابنا (أذكار الأبرار) بأن يتذكروا الأدعية التي كان يقولها ويرددها حضرة النبي في كل حركاته وسكناته، وفي غُدوه وروحاته، كدعاؤه عند الخروج من المنزل، ودعاؤه عند دخول المنزل، ودعاؤه عند القيام من المجلس، ودعاؤه عند النوم، ودعاؤه عند دخول المسجد، ودعاؤه عند الخروج من المسجد، وغيرها من الأدعية التي استهان بها كثيرٌ من السالكين في زماننا وأعرضوا عنها، فأعرض الله تبارك وتعالى عنهم، مع أنها هي الأساس الذي ينبني عليه كمال أهل الكمال في كل زمان ومكان.

كمال التشبه بالنبي في أوصافه المعنوية

فقد كان همُّ كل الصالحين السابقين والمعاصرين – وإن شاء الله تبارك وتعالى اللاحقين – هو كمال التشبُّه بسيدنا رسول الله ﷺ في أوصافه المعنوية سواءٌ في تعامله مع الخلق، أو في تعامله مع الكائنات، أو في تعامله مع الله تبارك وتعالى، وذلك في جميع الحالات، حتى كان قائلهم يقول:

((بقي لي أربعون عاماً لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين .... ما عددتُ نفسي من الموحدين)).

ويشرح الإمام أحمد بن عطاء الله السكندري هذه المقولة التي رددها سيدي أبو الحسن الشاذلي، وبعده سيدي أبو العباس المرسي ليُزيل اللبس عن السامعين والسالكين، فقد ظنوا أنه يراه جهرةً عياناً ولا يغيب عنه طرفة عين ولا أقل، وهذا إذا حدث فإن الإنسان يغيب عن الوجود بالكلية، ويكون في حالة فناء كلي في خير البرية، ولا يُنتفع به من غيره إلا إذا تجلى عليه ربه فجعله جامعاً فارقاً، وأكرمه بما أكرم به الأفراد الوارثين، فقال ﷺ موضحاً هذا المقام:

((ليس معنى ذلك أنهم لا يغيبون عن شهود حضرته بهيئته وملابساته، ولكن أنهم لا يغيبون في كل نَفَسٍ عن الاقتداء به في هيئته وسنته)).

فإن المرء مطالبٌ في كل نَفَسٍ من أنفاسه:

- **بأن يقتدي بحضرة النبي ﷺ فيما كان يفعله في هذا النَفَس، إن كان بعينيه في النظر كيف كان ينظر، أو حركة يديه، أو حركة جسمه، أو حركات لسانه، أو حركات قلبه الباطنية.**

فهم يستحضرون الحبيب ﷺ في هيئاته الظاهرية والباطنية في كل نَفَس، حتى لا يغيبون عن الاقتداء به واستحضاره في كل نَفَسٍ من أنفاسهم، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل ذلك:

والعـــارف الفـــرد محبـــوبٌ لخالقـــه فـــات المقامـــات تحقيقـــاً وتيقينـــاً
فـــي كـــل نَفَـــسٍ لـــه نـــورٌ يشـــاهده مـــن حضـــرة الحـــق ترويحـــاً وتيقينـــاً
يمشـي علـى الأرض فـي ذُلٍ ومسكنة هـــام الملائـــك شـــوقاً فيـــه وحنينـــاً
معنـــاه غيـــبٌ ومبنـــاه مشـــاهدةٌ والفـرد معنـى ولـيس الفـرد تكوينـاً

العبودية

وفي ذلك يجاهد العبد نفسه في التخلص من عاداته وشهواته النفسانية والدنيوية، حتى يكون عبداً لله حراً مما سواه، فلا يليق بسالك يمشي في طريق الله أن يجالس العوام والعاطلين من الأنام على الطرقات ويتحدث معهم ويخوض معهم في الأحاديث العامة والتي يقول فيها الله: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥المدثر).

ولا يليق بسالك أن يكون له شهوة تسيطر عليه كأن يعشق السيجارة ولا يستطيع أن يتخلى عنها، أو يعشق القهوة أو الشاي ولا يريد أن يمل منهما، أو يريد أن يصطحب الشيشة في غُدُوه ورواحه، ومساه وصباحه.

إن كان هؤلاء لا يستطيعون أن يتخلصوا من هذه العادات، فكيف ينتظرون أن يخرق الله لهم العادات، ويؤيدهم بالكرامات ﷻ؟! لا يخرق الله لك عادة حتى تخرق كل العوائد من نفسك، وقد قال ﷺ:

{ الْمُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ مُكَاتَبَتِهِ دِرْهَمٌ }[١٠٧]

ومعنى الحديث أن العبد إذا كاتب سيده ليدفع ثمن نفسه ويصير حراً، لا يتخلص من العبودية بالكمال ما دام عليه درهمٌ واحدٌ من ثمنه لم يؤده لسيده.

ولا يتحقق العبد بكمال العبودية لله، إلا إذا تحرر من رقِّ الأشياء، فلا تتحكم فيه عادة، ولا تسيطر عليه شهوة، ويخرج من القيود التي قال فيها الحبيب:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ

١٠٧ سنن أبي داود وموطأ مالك

{ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ }[١٠٨]

فإذا كانت تسيطر عليه شهوة الطعام، ولا يستطيع أن يتخلص منها فهو عبدٌ لبطنه، وهكذا قس على ذلك سائر الشهوات.

إذاً لا بد أن يُحرر العبد نفسه بنفسه من جميع الشهوات، حتى يعتق رقبة نفسه: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (البلد).

فإذا تخلَّى عن جميع هذه العادات، وتخلى عن الحظوظ والأهواء والشهوات، جمَّله الله تبارك وتعالى بما كان عليه الحبيب المصطفى في جميع الأوقات.

فإذا تجمَّل بذلك، ولم يُلهه ذلك، ولم ينشغل بذلك، كأن يريد أن يكون شيخاً إذا تحلى بهذا الجمال، أو ظهرت عليه بعض أنوار أهل الكمال، ويطمع في السيادة على المريدين، ويطمع أن يؤيده الله بالكرامات، أو يخترع لنفسه ليُري أصحابه وحوارييه أنه من الوارثين، وأنه يعلم خفاياهم، أو أنه يرى رؤيات لهم، والرسول ﷺ يقول:

{ مَنْ أَرَى عَيْنَيْهِ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ يَرَ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ شَعِيرَةً }[١٠٩]

يعني من أرى عينيه ما لم ترياً، كُلِّف أن يؤلف بين خيطين يوم القيامة، ولن يؤلف بينهما أبداً، فإذا لم ينشغل بذلك وكان قصده وجه الله، وتحقق بقول إمامنا ﷺ:

الحـــب مبـــدأنا والوجـــه قبلتنـــا والمصـطفى قـدوتي فـاعلم مراقينـا

خلَّصه الله من جميع الأغيار، وجمَّله وحلَّاه بجمالات النبي المختار، وحمَّله الأمانة التي يطيقها من بضاعته من الأسرار، ويكون هذا وارثٌ من ورثة النبي المختار بمقدار ما خُصَّ به من الأنوار والأسرار.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمِّلنا بهذه الجمالات، وأن يكمِّلنا بهذه الكمالات، وأن يخلع رقابنا من عتق العبودية للنفس والشهوات والأهواء، وأن يجعلنا أحراراً في معية النبي المختار.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠٨ البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

١٠٩ مسند أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

المجلس السادس عشر

جهاد الهوى

إشارات العبد مع موسى

مقام القليل

كياسة المؤمن

العزة الإيمانية

جهاد الهوى

جهاد الهوى[١١٠]

ما زلنا نتحدث عن بعض المجاهدات التي ينبغي أن يكون عليها أهل العنايات، ممن يتفضل عليهم المتفضل ﷻ بكريم المشاهدات.

ومن جملة هذه المجاهدات ما أشار إليه سيدنا رسول الله ﷺ وهو راجعٌ من غزوة تبوك، وكانت تُسمى غزوة العُسرة، لأنها جاءت في شدة شديدة، بينها وبين المدينة سفرٌ طويل، وكانت في شدة حرارة الصيف، وكانت أيضاً في وقت جَنى ثمار النخيل، وهو المحصول الرئيسي لأهل المدينة المنورة.

وبعد أن لاقى أصحاب النبي ﷺ المشاق في طريقهم، وفي تعدد أنواع جهادهم، وهم راجعون قال ﷺ لهم ولنا وللمؤمنين الصادقين إلى يوم الدين:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[١١١]

الجهاد الأكبر هو مخالفة النفس والهوى، والهوى هو الداء المكين الذي لا وصول للعبد إلى بُغية يبغيها إلا بعد قلع جذوره من النفس بالكلية، فقد قال الله تعالى فيه في القرآن: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (١٧٨الحج) وحق الجهاد يكون في جهاد الهوى، فإذا تحقق جهاد الهوى، فوراً يصدر قانون الاجتباء والاختيار والاصطفاء: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ (١٧٨الحج) وفوراً يضع الله عن صاحب هذا الجهاد كل المشاق في العبادات والمجاهدات، فتكون هينةً لينةً عليه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨الحج).

والهوى أي الميل، أي يميل الإنسان إلى ما تميل إليه النفس من شهوات، أو رغبات، أو آمال فانيات، أو حظوظ به إلى الدنيا هاويات، ما كيفية هذا الجهاد؟ قال ﷺ ملخصاً هذا الجهاد في كلماتٍ محدودة:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[١١٢]

---

١١٠ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٨ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/٢١م عبر برنامج زووم

١١١ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر ﷺ

١١٢ معجم السقر وشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

أي أن المؤمن مطالبٌ بأن يكف عن نفسه الهوى، ويحاول قدر استطاعته أن يُلزمها بهوى الله، وهوى حبيب الله ومصطفاه، وذلك يكون بالعمل بشرع الله ابتغاء وجه الله، لا طلباً لحظ عاجل، ولا لدنيا، ولا مجاملة لهذا أو ذاك، وإنما يطبّق شرع الله رغبةً في رضاء الله، ولا يميل بالشرع إلى هواه، ويفسره على حسب مراده في نفسه، وإن كان يخالف شرع الله، لأنه بذلك قد يقع فيما لا تُحمد عقباه: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١٠٤الكهف).

فيظن أنه يُحسن الصنيع، بينما هناك هوى مستترٌ بين جوانحه جعله يميل بالشريعة المطهرة ويئولها لتوائم هواه، ويحقق مناه، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: ((والجاهل من اتبع هواه، وهو يظن أنه يعبد الله)) يظن أنه يقيم الشريعة في نفسه أو في غيره، بينما هو يقيمها لمقصد دني، أو لمطمع دنيوي.

فطهّروا الأهواء، واجعلوا مقصدكم وجه الله، ثم قوموا بعد ذلك على قدم رسول الله، عاملين بشرع الله طلباً لمرضاة الله تبارك وتعالى.

إشارات العبد مع موسى

وقد بيَّن الله تبارك وتعالى في قصة السلوك القرآني لسيدنا موسى مع شيخه العبد الصالح، وبيَّنَها في ثلاث كلمات يظنها البعض مترادفات، ففي أول الأمر حكى عن نفسه فقال عن السفينة: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (٧٩الكهف) فهنا كانت له إرادة، وإن كانت إرادته هنا لشدة صفائه تطابق إرادة الله تبارك وتعالى.

وجاهد نفسه أكثر فأكثر حتى أصبحت إرادته تطابق إرادة الله فقال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ (٨١الكهف) تطابقت إرادته مع إرادة الله لشدة فنائه في مولاه، وتعلقه بالكلية بالعمل بما يُحبه الله ويرضاه.

فلما فنى بالكلية ولم يعد له أمرٌ مع رب البرية، وأصبح الله هو الظاهر فيه، وهو الذي يُحرك قواه الظاهرة والخفية، وصار كما قال العبد الصالح:

أنـــا آلـــةٌ والله جـــلَّ الفاعـــل أنـــا قلـــمٌ والإقتـــدار أصـــابع

فنيت إرادته ولم يعد له إرادة فقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ (٨٢الكهف) بعد أن انتهت إرادته بالكلية، وهذا مقام أهل الفناء الكلي، الذين لا يتحركون إلا بالله، ولا ينطقون إلا بالله، ولا يفعلون إلا بما يحبه ويرضاه تبارك وتعالى.

فلكي نتحقق بهذا المقام علينا بأن نكون تحت رهن إشارة العبد القائم بالنيابة عن الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

لا يكون لنا هوى يتنافى مع هواه، لأن هواه ما يُحبه الله ويرضاه، ولا نخالف في نَفَس أو أقل ما أمرنا به في طريق الله، لأن الله قال لنا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

مقام القليل

وأهل هذا المقام أقل من القليل، لأنك عندما ترى بعين البصيرة ولا بد لأي أخ صادق أن يجاهد حتى تُفتح له أعين البصيرة، ويستنير بنور الله في كل حركاته وسكناته، فلا يُدخل على الأحباب من ليس منهم، ولا يُدخل على شيخه من هو في باطنه عدوٌ لأهل الطريق، وإن كان في ظاهره يتظاهر أنه في مقام الصِدِّيق، يقول إمامنا ﷺ: ((ليس الرجل من كثُر إخوانه، لكن الرجل من انتقى إخوانه)).

فكل من تقرَّب منك وأراد أن يسلك الطريق اختبره أولاً، وانظر إلى نزغاته، وإلى ميوله وعاداته، وإلى الأمر الكامن في خَفِيّ ذاته، فكم من أخ قدَّم لنا إخوة وظن أنهم من كبار الصادقين، وعند أول نظرة له، نجد أنه جاء لحاجة دنيوية، ولا يبغي غيرها من الجهاد، ولا التجمل بأحوال الصالحين، إلا ظاهراً حتى ينال بغيته، ويحصل على شهواته.

فإذا نال شهوته ولو بعد سنين ارتد على عقبيه، خسر الدنيا والآخرة، بل ربما ذهب ولم يتورع يسُب فيمن أسدوا إليه النعم، ويتقوَّل عليهم أقوالاً ليست فيهم ليثير عليهم الآخرين، وهؤلاء يقول فيهم رب العالمين: ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (١١٢الأنعام).

وبدأ بالإنس لأنهم أخطر، فكما فعل إبليس يفعلون، وكما تقرب بالعبادات حتى لُقب بطاووس الملائكة، وظن أنه ينال بذلك منزلةً عند الله، وخفي أمره على كثير من

أهل الملأ الأعلى، لكن في وقت الاختبار الإلهي سقط إلى غير رجعة: ﴿ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (١٨الأعراف).

وكثيرٌ من الطفيلين في هذا الزمان يظنون أن أتباع الصالحين رجال طيبين يُخدعون، وقد كان يقول في ذلك ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ }[١١٣]

وغِرٌّ يعني يُخدع، فيخدعونهم بتظاهرهم بما ليس في قلوبهم: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ (١١الفتح) ويُحسنون التزيُّن ظاهراً بأعمال العبادات، حتى تظن أنهم من أهل كمال القربات، وهم يبطنون أهواءاً وشهوات خفيات دنيويات يرجون تحصيلها من هؤلاء المساكين المنكسرين الذين يثقون في كل المؤمنين، لأن هذه سجية المؤمن وطبيعته في كل وقت وحين.

كياسة المؤمن

إذاً لا بد أن يكون عندك شيء من البصيرة النورانية، لتختبر من حولك، وتكون كما قال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ }[١١٤]

وهؤلاء لهم بعض العلامات الظاهرة التي نعرفها جميعاً، فكل من يريد قضاء مصلحة من أخ من الأحباب، ويذكر له أن هذا أمرٌ من الشيخ، أو هذا بعد موافقة الشيخ، أو الذي أرسله إليه الشيخ، تعلم أنه ليس في سجل أولي الألباب والأحباب، وإنما هو من أهل هذا الباب.

لأن المريد الصادق يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

((كما تحجب الحلوي عن أعين الذباب، فاحجب شيخك عن أعين الجُهَّال))

لا يكشف ما بينه وبين شيخه لغيره، ولا يسوق شيخه في سبيل تحقيق دنياه، ولا

١١٣ سنن الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
١١٤ مسند الشهاب عن أنس ﷺ

يُحمِّله هموم معاشه وطلباته التي لا تنتهي في دنياه، لأنه يعلم يقيناً أنه لو اتقى الله، سينطبق عليه قول الله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

العزة الإيمانية

لا يذكر المريد شيخه إلا في موضع تجلة وإكرام، وفي موضع احترام وإعظام، ويكون مجمَّلاً بعزة النفس والمروءة والشهامة كما كان أصحاب النبي من المهاجرين، فمع فقرهم وشدة حاجاتهم، وعلمهم بغنى إخوانهم من الأنصار، وإخوانهم هم الذين عرضوا عليهم ما يطمحون إليه من الدنيا ليقيم أودهم، ولكنهم أروهم العزة الإيمانية والعفاف الإسلامي الذي يُحبه منهم النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف لأخيه سعد بن معاذ: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في زوجك وبارك الله لك في بيتك، .. ولكن دلني على السوق، فذهب سعد إلى النبي يشتكي منه أنه لم يقبل منه، فأُعجب النبي ودعا له بالبركة.

فقالوا: كان عبد الرحمن بن عوف لو تاجر في تراب لربح منه ذهباً، حتى أنهم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وكان متزوجاً من أربع نسوة والأربعة يشتركون في الثُمن لأن له أولاد، كان نصيب كل واحدة من الأربع من الذهب فقط ثمانين مقطفاً مملوءةً بالذهب، مع أنه كان يبذل المال شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً، لكنه نالته دعوة النبي للعفة التي يُحبها النبي في أصحاب النبي المباركين أجمعين.

جهاد الهوى

أيها الأحبة هذه النقطة:

نقطة جهاد الهوى عليك أن تركز عليها جيداً، وتلحظ نفسك بعين القدس التي جعلها فيها ربك ...

وجِّه كاميراتك القلبية وأعين بصيرتك المضية إلى مملكتك أولاً، ثم راجع نفسك، هل تمشي وفق منهج وضعه لك ربك، وأقره نبيك، ووضحه وشرحه لك شيخك، أم

أنك تمشي على حسب هواك وتريد أن تنال مناك؟!.

إني أرى – إلا من رحم ربي – أن معظم الأحباب شيخه نفسه، يفعل ما توسوس به إليه نفسه، ويظن أنه يفعل الخير، ولم يعرض ذلك على شيخه ليعلم هل هو على الحق المبين، أم أنه وقع ولم يشعر بهذا الوقوع.

وأذكر مثالاً واحداً على ذلك لعلَّ الله ينبهنا جميعاً إلى ذلك: عندما نكون في مجلس مبارك كمجلسنا هذا، وهو مجلس ممتد إلى عالم العُلو إلى سدرة المنتهى، وليس ما يتنزل فيه علومٌ فقط، ولكن كما قيل:

((تسبق أنوارهم علومهم فتؤهل القلوب وتجذبها لسماع الغيوب))

فيه توزع السكينة، وفيه توزع العطاءات، وفيه تقسم النفحات، يكفيك أنه يحضره سيد السادات، وأصحابه المباركين.

ويأتي الإنسان الخبيث النفس فتقول له نفسه: أنت غير محتاج لهذه العلوم، لقد سمعت منها الكثير، وأنت غير محتاج لهذا المجلس، لأنه لم ير بعينه الكليلة إلا الجالسين الظاهرين، ولم ير الجالسين من عالم الباطن وعالم الأسرار وعالم الأنوار وإمامهم النبي المختار، فيشغل نفسه بشيء، وإذا عاتبه أحد إخوانه أو خلانه يقول: أنت لا تدري فأنا كنت في مهمة أعظم، وفي عملٍ أجلّ.

ما العمل الأجل والأعظم من النظر في وجوه الإخوان الذين ينظر إليهم الرحمن ويواليهم بالنظرات الحبيب العدنان ﷺ؟!!.

هذه واحدة، وعلينا أن نقيس عليها ..!!

علَّ الله يُحول حالنا إلى أحسن حال، وينقلنا إلى مقام الرجال أهل الكمال، ويطهّرنا من الحظ والهوى ونزغات النفس ووساوس الشيطان، ويجعلنا من عباد الرحمن الذي ليس للشيطان عليهم سلطان، ويجعلنا نُوالى بفيض الله وإمدادات حبيبه ومصطفاه، وننال رضاء مشايخنا في الله، فتلك هي الباب الأعظم لعطاء الله، فبشرى لمن وافى ووفَّى، وتابعني ونال رضاء صحبي.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس السابع عشر

عبادة المقربين

دوام العمل

عيد أهل المغفرة

عيد أهل مقام الإحسان

عبادة المقربين[١١٥]

عبادة العوام ليس لها دوام، يقبلون على الله في أوقات أو ساعات أو أيام، ثم يغفلون لشغلهم بدنياهم وأنفسهم عن الله تبارك وتعالى بعد ذلك في معظم الأوقات والساعات والأيام.

دوام العمل

والسابقون السابقون الذين يرغبون أن يكونوا من المقربين، يتابعون في هذا النهج سيد الأولين والآخرين ﷺ، فقد قالت السيدة عائشة ﵂ واصفةً عبادته ﷺ المحببة إلى الله:

{ كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً }[١١٦]

أي يديم عليه، وبيَّن ﷺ لمن يريد أن يكون معه، السبيل إلى ذلك فقال ﷺ:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[١١٧]

ولذلك تجد العارفين والصادقين والصالحين عباداتهم لله مستمرة طول العام، فلا يقرأون القرآن في شهر القرآن ثم يهملون تلاوته ويتركونه في باقي الأيام، لأن الحبيب ﷺ يقول في هذه العبادة:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[١١٨]

ويتنزل هؤلاء الصالحين في شهر رمضان ليأخذوا معهم العوام، فيُصلّون صلاة القيام بعد العشاء مباشرة لتكون سهلة على العوام، لكنهم بعد رمضان يحافظون عليها في الوقت الأسنَى الذي يُحبه الله طول العام، والذي يقول فيه ﷺ:

{ يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

---

١١٥ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٩ من رمضان ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/٢٢م عبر برنامج زووم

١١٦ البخاري ومسلم عن عائشة ﵂

١١٧ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة ﵂

١١٨ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ﵁

الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ }[١١٩]

ولذلك تصف السيدة عائشة ﵂ عبادة النبي في هذا الوقت المبارك الميمون، فتقول:

{ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً}[١٢٠]

ولذلك يحرص الصالحون على هذه الصلاة في العشر الأواخر من رمضان ليتدربوا عليها ويستمروا عليها طول العام.

وخفَّف النبي ﷺ هذا الأمر حتى قال ﷺ مرغباً للضعفاء أمثالنا:

{ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ؛ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى؛ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ }[١٢١]

أي يتعاونا معاً على هذه العبادة التي ليس لها شبيه ولا مثيل، ولذلك يقول ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا؛ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[١٢٢]

أي ولو حتى ركعتين في كل ليلة، بل إن من واظب ولازم هذه العبادة من الأئمة البررة الكرام كان الله تبارك وتعالى يرفع عنهم الحرج، والرسول ﷺ يبين لهم ذلك، فيقول ﷺ لمن داوم على هذه الصلاة:

{ مَنْ فَاتَهُ وِرْدُهُ مِنْ اللَّيْلِ فَلْيَقْرَأْهُ فِي صَلَاةٍ قَبْلَ الظُّهْرِ؛

---

١١٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁

١٢٠ البخاري ومسلم عن عائشة ﵂

١٢١ سنن أبي داود والنسائي عن أبي هريرة ﵁

١٢٢ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﵁

فَإِنَّهَا تَعْدِلُ صَلَاةَ اللَّيْلِ }[١٢٣]

أي إذا كان هناك أمر مهم، أو غلبه النوم ولم يتمكن من هذه الصلاة في وقتها في الثُلث الأخير من الليل، يصلها في الوقت ما بين شروق الشمس إلى وقت الظهر إن شاء الله تبارك وتعالى.

ناهيك عن أن هؤلاء الأقوام هم المنعوتون بقول الله في محكم القرآن: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (٣٥الأحزاب) فلا يملّون ولا يكلّون من ذكر الله ﷻ بمختلف أنواعه طرفة عين ولا أقل.

أما الصيام فيكفينا قول الحبيب المصطفى ﷺ:

{مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ}[١٢٤]

والدهر أي العام، فمن صام شهر رمضان، وصام بعده ستة أيام من شهر شوال متتابعين أو متفرقين، كان صائماً طوال العام عند الله تبارك وتعالى، ويُرفع له أجر الصائمين وإن كان يأكل ويشرب ويُعطي نفسه ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب.

عيد أهل المغفرة

هؤلاء الأقوام ما عيدهم؟

أقل العيد عند هؤلاء يقول فيه الإمام عليٍّ ﷺ وكرَّم الله وجهه عندما دخل عليه البعض في يوم العيد، فوجدوه يأكل خبزاً جافاً خشناً، فقالوا:

يا أمير المؤمنين حتى في يوم العيد؟!

فقال ﷺ وكرَّم الله وجهه:

((وما العيد؟ اليوم عيد من تقبَّل الله عمله وغفر ذنبه وشكر سعيه، اليوم لنا عيد، وغداً لنا عيد، وبعد غد لنا عيد، وكل يوم لا نعصى الله تبارك وتعالى فيه فهو عيد)).

١٢٣ سنن النسائي وأحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ
١٢٤ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي أيوب ﷺ

فعيد هؤلاء الأقوام أن يمرَّ عليهم اليوم أو الأيام أو الشهر بدون ذنبٍ ارتكبوه ظاهراً أو باطناً في حق أنفسهم أو غيرهم، وإنما تشبهوا بمن قال الله تعالى فيهم:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم).

عيد أهل مقام الإحسان

أما أهل مقام الإحسان:

فيشهدون في هذا اليوم الكريم:

- **العود والإعادة إلى مشهد ألستُ بربكم:**
  - **فيشهدون الجمالات التي شهدوها في هذا اليوم.**
  - **ويتمتعون بلذيذ المحادثات التي استمعوا إليها من الله تبارك وتعالى في هذا اليوم.**
  - **ويحظون بكل ما ورد عليهم فيه من جمال، ومن كمال، ومن لطفٍ، ومن أُنسٍ، ومن أسرارٍ لا يعلمها إلا كُمَّل الرجال ..**

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا منهم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل أيامنا كلها أعياداً، ولياليا كلها قدراً، وأن يجعلنا في هذه الدنيا في رضاه، ولا يشغلنا إلا به، ولا يشغلنا بغيره طرفة عين ولا أقل، ويجعلنا من عباده المحفوظين من الفتن والمعاصي ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس الثامن عشر

الصيام وأهل المقامات العلية

فضل الله على المسلمين

أهل الإحسان

أهل مقام الإيقان

دوام مصاحبة الصالحين والصادقين

الصيام وأهل المقامات العلية [١٢٥]

لعلنا جميعاً خرجنا من شهر رمضان المبارك وقد علت همتنا، وقد قويت إرادتنا، وقد زادت في مراقبة الله ﷻ خشيتنا، وخاصة وأن الله ﷻ يتفضل على عباده أجمعين في يوم الجائزة بما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فضل الله على المسلمين

فيتفضل أولاً على كل المسلمين الصائمين، بمغفرة الذنوب وستر العيوب، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى لهم، بعد أن صلُّوا العيد في ساحاتهم أو مساجدهم أو بيوتهم:

{ انْصَرِفُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، فَقَدْ أَرْضَيْتُمُونِي، وَرَضِيتُ عَنْكُمْ } [١٢٦]

فيخرجون أجمعين بمغفرة من الله ﷻ وعفو وإحسان.

أهل الإحسان

أما أهل مقامات الإحسان فإن الله تبارك وتعالى يتفضل عليهم بمقامات المقربين، فمنهم من تتنزل الملائكة على قلبه تمده بالأنوار الإلهية، ومنهم من تمده بالعلوم اللدنية، ومنهم من تمده بالأنوار الكشفية، ومنهم من تنقله إلى الصلة المباشرة مع الحبيب المصطفى خير البرية، ومنهم من يحيون قلوبهم فيصير قلبه تقياً نقياً، لا يغفُل عن ذكر الله وإن غفل الغافلون، ولا يسهو وإن سها الجاهلون، ولا ينسى وإن نسي الغافلون؛ يذكر الله بقلبه على الدوام في اليقظة إن كان أو في المنام، وهذا لمن شرَّفهم الله بوراثة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام حيث يقول ﷺ:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي } [١٢٧]

---

١٢٥ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٥ من شوال ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٥/٢٨م عبر برنامج زووم
١٢٦ فضائل شهر رمضان وشعب الإيمان للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٢٧ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

أهل مقام الإيقان

أما أهل مقام الإيقان:

- **فإن الله ﷻ يرفعهم من سياحة الصيام إلى سياحة التجول في ملكوت الله الأعلى ..**
- **متبعين أثر الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وفيهم يقول الله تبارك وتعالى:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (١٧٥الأنعام).

أي أن جملة الموقنين تسيح أرواحهم في ملكوت الله ...

ويشهدون ما غاب عن عيون الرأس في هذه الحياة جذبةٌ إلهية، وعناية ربانية، ببركة النظرة الحنانية من المصطفى خير البرية ﷺ.

- **وهؤلاء تنام أعينهم وقلوبهم تتجول في ملكوت الله الأعلى ...**
  - **تأتيهم بطرائف الحكمة ...**
  - **أو تأتيهم بالعلوم التي لا يعلمها إلا هم ..**
    - **والتي يقول فيها الله:**

﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (٦٥الكهف).

هبات كثيرة، وعطاءات لا تعد ولا تحد، توزَّع من فضل الله وإكرام الله على القانتين، والراكعين، والساجدين، والخاشعين، والمقبلين على الله تبارك وتعالى في كل وقت وحين، وليس على المعطِي حفظ العطية، ولكنها على المُعطَى له.

فعلينا إذا أراد الله أن يديم علينا هذه العطاءات، وأن يرفع كل رينٍ وكل غينٍ وكل بينٍ وكل غطاء، أن نواصل ما كنا عليه في شهر رمضان من الإقبال على الله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار، ودوام ذكره، والعمل دوماً على شكره، والتأسي في ذلك بمنهج حبيبه ﷺ.

دوام مصاحبة الصالحين والصادقين

وأن نديم بعد ذلك على اللقاء بالصالحين، والإخوة الصادقين، لا نفارقهم وإن فارقنا أجسادهم، ولكن قلوبنا معهم في كل وقتٍ وحين عملاً بقول رب العالمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة).

فإن مقام الحفظ للعابدين والتائبين والراكعين والساجدين وأهل خشية الله أجمعين، لا يكون إلا بدوام مصاحبة الصالحين، ودوام الجلوس ظاهراً أو باطناً، جسماً أو قلباً مع عباد الله الصادقين، فإن هذا هو الذي يحفظ المرء من البعد عن الله، أو الهاوية في طريق لا يحبه ولا يرضاه، أو الحرمان من العطاءات الإلهية التي وهبها له مولاه.

قال الله في حق سيدنا آدم عليه السلام: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١١٥طه) كان سبب وقوعه فيما وقع فيه أمران، النسيان وضعف العزيمة، والنسيان يحتاج إلا مُذَكِّر، والمُذكِّرون هم عباد الله الصالحون، الذين ورثوا مقام التذكير عن سيد الأولين والآخرين: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ (٩الأعلى) ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١الغاشية).

والنسيان يحتاج إلى مُذكِّر له مكاشفات ومؤانسات، يُذكِّرنا بما كنا عليه يوم لقاء الله في يوم ألست بربكم، فتحن القلوب إلى بارئها، وتحن الأرواح إلى مبدعها، هذا هو المُذكِّر الحق الذي ذكره الحق ﷻ.

والعزيمة لكي تقوى تحتاج إلى إخوة صادقين، وقد طلب ذلك كليم الله، فقال:

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ﴾ (طه) لماذا؟

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ ﴾ (طه).

فالإخوة الصادقون يشدون عضُد المرء، ويأخذون بأيديه إلى دوام الإقبال على حضرة الله، ويعينونه على طاعة الله، وعلى التأسي برسول الله، وعلى بلوغ المراد الذي يرجوه في الدنيا، وهو معرفة الله تبارك وتعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ علينا بصحبة عباده الصالحين، ومجالسة ومعايشة الإخوان الصادقين، وأن يجعلنا لا نغفل عن مراقبته وخشيته طرفة عين ولا أقل.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس التاسع عشر

أنواع الأوراد

الأوراد الخاصة

أوراد الفيس بوك

خاصَّة الخاصَّة

مقام الصديقية

ثمار الورع عن الحرام

ملاحظة النبي للصِدِّيق

توجيه الله تعالى للصِدِّيق

مكانة أبى بكر

حال أهل الفتح

المقامات العلية

فناء الصحب الكرام[١٢٨]

تسبيح الكائنات

درجات أهل الفناء

أوراد خاصة الخاصة

مقام لا حول ولا قوة إلا بالله

١٢٨ الجميزة – السنطة – الغربية ١١ من ذي القعدة ١٤٤١هـ ٢/٧/٢٠٢٠م عبر برنامج زووم

أنواع الأوراد[١٢٩]

كثيرٌ من الأحباب يسألون عن الأوراد التي ينبغي أن يقوموا بها ليصلوا إلى كمال المراد، وهناك أوراد للمبتدئين، وأوراد للخاصة، وأوراد لخاصة الخاصة.

أوراد المبتدئين

أما أوراد المبتدئين فقد ذكرناها في كتابنا (أوراد الأخيار) وتعتمد على قراءة ختم صلاة الصبح للإمام أبي العزائم بعد صلاة الفجر حاضراً، وتلاوة جزء من القرآن في كل يوم، ثم الاستغفار مائة مرة في النهار، ومائة في الليل، وذكر الله بما ورد عن رسول الله بأن يقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير) مائة مرة في النهار، ومائة في الليل، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل، وأن يقول: (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله العظيم) مائة مرة بالنهار ومائة مرة باليل، وأن يكون له مدارسة ولو باب من العلم كل يوم.

وهذه الأوراد يجب على الأحباب جميعاً أن يلقِّنوها للطالب والمريد والسالك الجديد، لا يتركونه ويعتمدون على أن الشيخ هو الذي سيُلقِّنه، فالشيخ يلقِّن الأوراد لخاصة الخاصة، أما الأوراد العامة فهي متاحة للجميع، وعلى كل أخٍ مسئولية من الله إذا فتح الله له الباب، وأدخل عن طريقه واحد من الأحباب، فعليه مسئولية أن يُلقنه الآداب، وأن يلقِّنه هذه الأوراد العامة ويتابعه حتى يستمر فيها.

الأوراد الخاصة

أما الأوراد الخاصة فهي لمن علت همَّتهم، وسمت إرادتهم، وقويت عزيمتهم، وأرادوا أن يبلغوا مقامات الإحسان، وأن يكونوا من أهل العرفان، فقد سمعتُ من بعض من انتسب إلينا ممن كان ينتسب إلى طُرق أُخرى، أن أهم ما يحرصون عليه هي الأحزاب

١٢٩ الجميزة – السنطة – الغربية ١٢ من شوال ١٤٤١هـ ٤/٦/٢٠٢٠م

والأوراد التي يقرأونها من المشايخ والعارفين والواصلين، ونحن نختلف معهم في ذلك.

١- تلاوة القرآن

فأهل خاصة الخاصة من العارفين وردهم الأساسي هو قول سيد المرسلين ﷺ:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ } [١٣٠]

هذا سيدي أحمد البدوي ﷺ يحكي عنه تلميذه النجيب الأول سيدي عبد المتعال أنه كان يُحي الليل كله يتلو كتاب الله ﷻ.

وهذا سيدي أحمد بن ادريس ﷺ يحكي عن نفسه فيقول: رأيتُ الرسول ﷺ فسألته: يا رسول الله هل أشتغل بالذكر أم تلاوة كتاب الله؟ قال: فقال لي: القرآن القرآن يا أحمد.

والسر في تعلّق بعض هؤلاء الأقوام بالذكر أنهم يقولون أن القرآن فيه قصص الأنبياء، وأحاديث الغابرين، وأحاديث المجادلين لسيد الأولين والآخرين، فأبوابه كثيرة قد تشغل المرء عن التوحيد الذي ينبغي أن يدخل به إلى ميدان العارفين، أما الذكر يوليه وجهته فوراً.

ولكن الكُمَّل من الأولياء والصالحين كان إقبالهم بتلاوة كتاب الله مع التدبر والتفكر، فينتقلون من التلاوة مع التدبر، إلى التلاوة مع المشاهدة، فيشهدون أنوار القرآن وهم يكررون بألسنتهم أحرف القرآن: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود) يقرأون مع المشاهدة لما يقرأون.

فإذا قرأوا آية من القرآن جاءهم بعض معاني هذه الآية المخصَّص لأهل العناية، فيشهدون الأنوار، ويتحققون بالأسرار التي لا تظهر إلا للأطهار والأخيار والأبرار.

سيدي الشيخ مُحَمَّد علي سلامة ﷺ قال لي: كنت أقرأ القرآن كل أربعة أيام مرة، أي يقرأ كل يوم ربع القرآن!، ورُوي عن سيدي مُحَمَّد أبو المواهب الشاذلي أنه كان منشغلاً بتلاوة الأحزاب الواردة عن الصالحين فجاءه الرسول ﷺ في المنام وقال له: ((يا مُحَمَّد ما هذه الوريقات؟!! عليك بكتاب الله)).

١٣٠ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ﷺ

فعبادة الخاصة التي يواظبون عليها رغبة في الفتح، وأن يكرمهم الله ﷻ ويحبوهم بما خصَّ به عباد الله الصالحين هي تلاوة القرآن.

٢- ذكر الله

أما العبادة الأُخرى، فهم يحرصون حرصاً بالغاً على أن لا يتنفسون نَفَساً من أنفاسهم إلا في ذكر ربهم تبارك وتعالى، يبخلون بالنَفَس الواحد أن يخرج في الدنيا، أو في غفلة، أو في لهو، أو في لعب، ناهيك عن النَفَس الذي يخرج في إثم، فليس لهم شأنٌ به بالكلية، والذي يخرج في إثم كأن يخرج في غيبة أو نميمة أو سبٍّ أو شتم أو لعن أو ماشابه ذلك.

فهم دائماً وأبداً مع الله، ولا يغفلون عن الله طرفة عين ولا أقل، يذكرون الله كما قال في قرآنه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران) والذكر هنا كما قال الله: ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب) فليس له حدٌ ولا غاية ولا نهاية، لأنهم يريدون أن يكونوا من أهل العناية، فينشغلون بذكر الله تبارك وتعالى، والذكر هنا هو الذكر القلبي، وليس الذكر اللساني، وإنما تتحرك القلوب في ذكر علام الغيوب آناء الليل وأطراف النهار.

٣- الصلاة على النبي

ويُصَلُّون صلاة اتصال بحضرة الحبيب المحبوب ﷺ، لأنهم يُصَلّون عليه حال استحضاره أو حال حضوره، فيُصَلون في البداية ويستحضرون هيئته الشريفة، وذاته المنيفة، فإذا رقَّ الحجاب وشربوا من صافي الشراب، بدا لهم ظاهراً بغير نقاب، فصَلُّوا عليه وهم يشاهدون جمال حضرته.

صلِّ صلاة اتصال تحظى بالحسنى واستغرق الوقت في كشف بلا ميل

٤- قيام الليل

ولأنهم يريدون أن يكونوا من السابقين المقربين، فلا بد أن يكون لهم حضور بين يدي الله في الثُلث الأخير من الليل، فيكونون بين يدي الله قائمين، ليدخلوا في قوله ﷻ: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾ (الذاريات).

فيُصَلون ثمان ركعات على الأقل بتأني وحضور مع الله .... تأسياً بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

٥- إسقاط الهوى

ثم هم بعد ذلك لهم وردٌ جامعٌ يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: ((وردهم إسقاط الهوى)) فيُسقطون الهوى من نفوسهم بالكلية، ويكونون بالحق قائمين، وللحق مشاهدين، وعلى الحق ﷻ دائماً وأبداً مقبلين، ليس في قلوبهم هوادة لغير الله ﷻ، وليس لهم شيء يتحكم فيهم غير مراد الله ومراد حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

٦- الورد الخاص

ولهم بعد ذلك أحوال يتنقلون فيها بإذن من الواحد المتعال، خصَّ الله بها كل رجل منهم بحالٍ خاص به، ولا يعترض بحاله على غيره، ولا يظن بحاله أنه خيرٌ من غيره، بل يعتقد الخير في الجميع، ويظن أنه ينتفع ببركة دعائهم، وسر إرضائهم، لأن الله ﷻ وزَّع العطاء، ولا يدري أحدٌ ما أفضل العطاء، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

مع العلم أن كل سالك مع الأوراد التي ذكرناها، يكون له وردٌ خاصٌ به يتقرب به إلى رب العالمين:

وهذا الورد ليس ورداً قولياً، ولكنه ورداً فعلياً:

فقد يكون ورده الإصلاح بين الناس، وقد يكون ورده خدمة الفقراء والمساكين والمرضى والعجزة، وقد يكون ورده أن يوقظ النوَّام، ويدعوهم إلى المنازل الكريمة وحضور مجالس الصالحين والسالكين، وقد يكون ورده أن يجلب ما يحتاج إليه المسلمين وخاصة الأقوات، ويرضى باليسير من الربح، ويجعل ماله تحت أمر المسلمين في أي وقت وحين، وقد يكون ورده هو تحفيظ القرآن لمن يحفظه ابتغاء وجه الله، وقد يكون ورده تعلم العلم وتعليمه طلباً لمرضاة الله.

والأوراد في هذا المجال كثيرة، والخصوصيات تأتي إليه من الحضرة المنيرة، ولذلك كان كل مريد ينفرد في سلوكه عن غيره، لأن كل مريد سالك له وردٌ خاصٌّ به.

أوراد الفيس بوك

ولذلك من دواعي العجب ما ظهر في هذا الزمان وخاصة بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي كالفيس بوك:

نجد أقواماً يدعون غيرهم إلى عمل محدد ومعين، كأن يقولوا: نريد أن نستغفر مليون مرة، ويوزعون المليون على عدد محدد، أو نريد أن نصلي مليونية على حضرة النبي ﷺ، ويوزعون المليون على عدد أيضاً، أو يريدون أن يوزعوا تلاوة القرآن أجزاءاً أو أرباعاً أو أنصافاً على عدد محدد، وهذه عبادة طيبة لها أجرٌ حسن.

لكن الأحسن من يعبد ابتغاء وجه الله، لا يبغي من وراء عمله جزاءاً ولا شكوراً: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان) وهؤلاء يقول فيهم رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) ولذلك يقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف).

فهناك الحسن وهناك الأحسن، وهؤلاء يطلبون الأحسن، والأحسن لا بد أن يكون مباشرة بين العبد ومولاه، ولا يطَّلع من البشر أو غيرهم عليه أحدٌ سوى حضرة الله، وهذا غاية الإخلاص، لأنه يريد أن ينتقل من المُخلِصين إلى المُخلَصين، نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون منهم أجمعين.

خاصَّة الخاصَّة

أما خاصَّة الخاصَّة هم الذين لا يرون لأنفسهم حالاً ولا قالاً ولا عملاً ولا أملاً، بدايتهم الفناء بالكلية في ذات الله تبارك وتعالى.

مقام الصديقية

فبدايتهم الفناء، وأحوالهم نأخذ مثالاً واحداً منها ونراقب تربية حضرة النبي ﷺ لهذا المثال الأعظم، وذلكم هو الصِدِّيق الأكبر رضي الله تبارك وتعالى عنه.

ما الأوراد التي لقَّنها وعلَّمها له رسول الله ﷺ لأنه أخصُّ الخواص؟.

١- ورد الصمت

يقول ﷺ: ((كنا نتعلم الصمت، كما تتعلمون الكلام))

ورده الصمت؛ الصمت عن الكلام مع البشر ليتكلم بقلبه مع خالق القوى والقدر تبارك وتعالى، يرتقي من مجالسة الناس إلى المؤانسة مع رب الناس، وخاصة أنه يقول تبارك وتعالى في حديثه القدسي:

{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي }[١٣١]

ويقول في الحديث الآخر تبارك وتعالى:

{ أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ }[١٣٢]

ولذلك سِيمَا المخلَصين تجدهم دائماً صامتين، لا يتكلمون إلا بضرورة الوقت، ويُلهمهم رب العالمين بالكلام الذي يحتاجونه في هذا الوقت والحين.

كان ﷺ ليستعين على هذه الطاعة الجامعة يضع حجراً تحت لسانه، يكفُّه عن الكلام، فلما سُئل في ذلك؟ قال ﷺ وقد أمسك بلسانه: ((هذا الذي أوردني الموارد)).

ومن أراد أ ن يرتقي إلى هذا المقام، فليعمل بوصية الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لسيدنا عقبة بن عامر:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[١٣٣]

وقال لمعاذ بن جبل ﷺ وقدَ أَخَذَ بِلِسَانِهِ:

{ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟! }[١٣٤]

---

١٣١ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن أبي مروان الأسلمي ﷺ
١٣٢ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
١٣٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عقبة بن عامر ﷺ
١٣٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاذ بن جبل ﷺ

أول أوراد هؤلاء الصفوة المجتبين الصمت، فالصمت عن الكلام باللسان، والصمت عن المعاصي بالجوارح والذنوب والآثام، والصمت باطناً عن الخواطر المذمومة التي تشغل المرء عن الحضور التام بين يدي الله تبارك وتعالى على الدوام.

٢- الورع

وهم في ذلك يستعينون بذلك على الورع، ولذلك قال ﷺ:

{ خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ }[١٣٥]

والورع ترك الشبهات التي يظن المرء أنها ربما تكون حلالاً، وربما يكون فيها شيء من الحُرمة، فيتركها ورعاً، وقال ﷺ:

{ لَا وَرَعَ كَالْكَفِّ }[١٣٦]

وقال في أعبد الناس:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[١٣٧]

ويظهر هذا الورع في بيان الصدّيق ﷺ حين يقول: ((كنا نترك سبعين باباً من الحلال، مخافة الوقوع في باب واحد من الحرام)) يعني هناك سبعين باب منها تسعة وستين باباً حلالاً، وبابٌ واحدٌ حرام، لكنه لا يتعينه ولا يتبينه، فيترك السبعين باباً كلها ورعاً، وهذه هي عبادة الصديقين الثانية التي أسَّسها لهم سيد الأولين والآخرين.

ويضرب لنا الصدّيق مثلاً عملياً في ذلك، فقد كان ﷺ لا يطلب طعاماً أو يأتيه طعام إلا ويسأل مَن أتى به؟ ليعلم حِلَّه من حرمته، وذات مرة كان شديد الجوع، وأهل هذا المقام يعملون بقول الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[١٣٨]

وطعامهم قوله ﷺ:

---

١٣٥ معجم الطبراني ومسند البزار عن حذيفة بن اليمان ﷺ
١٣٦ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي ذر ﷺ
١٣٧ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة ﷺ
١٣٨ زاد المعاد والبداية لابن كثير

{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ }[١٣٩]

لا يعرفون الشبع، ولا يذوقون طعمه أبداً ولو مرة، وإنما يمشون على المنهاج الأمثل الذي كان عليه إمام الرسل والأنبياء، وعليه الصديقون وأهل الفناء في كل زمان ومكان.

فجاءه طعامٌ مع خادمه، وكان عبارة عن نوع من الكعك الذي يُصنع في الأعراس والأفراح، فأكل منه، فقال الغلام: يا سيدي لِمَ لم تسألني اليوم عن هذا الطعام؟ قال: الجوع، مِن أين أتيت بهذا الطعام؟ قال: يا سيدي كنت أتكهَّن لقومٍ في الجاهلية – وأتكهن يعني أمارس نوع من أنواع الكتابة بالسحر – وكان عندهم عرساً فدعوني فأعطوني هذا الطعام، فما كان من الصدِّيق ﷺ إلا ان أراد أن يُنزله بأصبعه، يعني يستقيئه، فعجز عن ذلك، فأخذ يشرب الماء ويشرب الماء ليحاول أن يُنزله، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ إن الله لم يكلِّفك بهذا، يعني إنك في جهادك تبالغ في الجهاد، وهذا في ظنهم، فقال: والله لو لم تنزل إلا مع آخر قطرة من دمي لأنزلتها، وظلَّ يشرب الماء ويتقيأ حتى أنزل الطعام، ثم خاطب المولى تبارك وتعالى وقال: اللهم لا تؤاخذني بما خالط الضلوع.

ثمار الورع عن الحرام

ما هذا؟! هؤلاء هم القوم الذين يريدون أن يكونوا من خاصة الخاصة، فإذا جاهدوا هذا الجهاد أعطاهم الله علامات يعرفون بها الحلال من الحرام، حتى يكونوا محفوظين بحفظ الله تبارك وتعالى على الدوام.

فهذا الحارث المحاسبي ﷺ كان إذا مدَّ يده إلى طعام ينبض عرقٌ في يده إن كان في الطعام شُبهة، فيعلم أن هذا الطعام فيه شبهة فيتركه.

كيف جاءته هذه الآية؟ كان أبوه من كبار الأغنياء، لكنه كان يميل في فكره إلى طائفة من الخوارج، وعندما مات كان ميراث الحارث المحاسبي منه حوالي ثمانين ألف دينار، فتركها ولم يأخذها، فقيل له لم؟ قال: قال ﷺ:

---

١٣٩ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ

{ لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى } [١٤٠]

فهو يرى أنه كان عنده زيغٌ في عقيدته، لذلك لم يقبل ما تركه له من الميراث، فأعطاه الله ﷻ هذه الآية في يده.

وعندما أراد بعض القوم أن يختبر سيدي أبي العباس المرسي ﷺ، فخنقوا دجاجة وسووها وأتوا بها أمامه ليأكلها هو ورفاقه، فقام منتفضاً وقال: ((إذا كان الحارث المحاسبي له عرقٌ ينفض، فأنا كلي عروقٌ تنفض)).

لأنهم يتحرون دائماً ما يحبه الله ويرضاه، ويحفظهم الله بحفظه من كل شيء يُغضب الله، أو يُشوِّش على القلب ويجعله لا يأنس بأنوار حضرة الله، قال ﷺ:

{ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ } [١٤١]

كرامات هؤلاء القوم من قوله ﷺ:

{ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ } [١٤٢]

فيستجيب الله لهم كل دعاء، ويُحقق لهم كل رجاء، لأنهم عملوا بقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١٧٢البقرة).

فإذا وفَّى بذلك يحاول أن يتخلق بأخلاق الله، وتلك العبادة الرافعة إلى مقامات القرب من حضرة الله، فقد ورد في بعض الأثر:

((إن الله يحب من خَلْقِه من كان على خُلُقه)) وكما ورد أيضاً: ((إن لله تسعة وتسعين خُلُقاً، من تخلَّق بواحد منها دخل الجنة)) .

وقال ﷺ: { خِصَالُ الخَيرِ ثَلاثِمِائَةٌ وسِتُّون، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: يَا رَسُولَ الله، لِي مِنهَا شَيء؟ قَالَ: كُلُّهَا فِيكَ } [١٤٣]

---

١٤٠ سنن أبي داود وعون المعبود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٤١ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
١٤٢ معجم الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ
١٤٣ أورده ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن عبد الله بن يسار ﷺ

ملاحظة النبي للصِدِّيق

وكان ﷺ يُعلِّمنا وهو المربي الفاضل كيفية ملاحظة التربية لهؤلاء الأقوام، فعندما خرج إلى عمرة القضاء، قال له سيدنا أبو بكر: يا رسول الله لا تحمل لنفسك طعاماً فقد جهزتُ طعامي وطعامك معاً، وحمَّلَهما على جمل، وأتى بخادم وقال له: لا شأن لك إلا بهذا الجمل، إياك أن تتركه لأن فيه طعام رسول الله ﷺ.

ومن العجب ان هذا الغلام سهى ولهى، فغاب الجمل، فجاءه أبو بكر ليسأله عن الطعام، فوجد الجمل قد ضاع، فأخذ يلعنه، وإذا بالنبي ﷺ وهو المربي العظيم أمامه وقال:

{ لَعَّانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟ كَلا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ }[١٤٤]

توجيه الله تعالى للصِدِّيق

بل إن الله تبارك وتعالى تولَّى كذلك توجيهه بنفسه في الآيات القرآنية، فقد كان له ابن خالة رجلٌ فقير، وكان يتكفَّل به ويعطيه كل ما يحتاج إليه، وهذا الرجل عندما أشاع المنافقون عن ابنته الطاهرة السيدة عائشة حادثة الإفك، كان ممن شارك في التشنيع عليها، فقال أبو بكر: لا أعطيه شيئاً بعد اليوم نظير ما فعله مع ابنته التقية النقية الطاهرة البريئة.

فنزل قول الله تبارك وتعالى موجهاً له ولمن على شاكلته من الصديقين وخاصة الخاصة من المقربين: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٢٢النور) عندما تُليت عليه الآية قال: بلى يا رب أُحب أن تغفر لي، ورد له ما كان يعطيه له وزاده أضعافاً كثيرة.

إذاً يتولى تربيته بذاته حضرة النبي، ويتولى تربيته الله تبارك وتعالى بنفسه، لكي يكتمل في الأخلاق الإلهية، ويكون له بذلك هذه المزية؛ أن يكون من أهل خاصة الخاصة الذين يجتبيهم الله تبارك وتعالى.

---

١٤٤ شعب الإيمان للبيهقي والأدب المفرد للبخاري عن عائشة ﵂

٣- بذل الكل

هؤلاء الأقوام كذلك من جملة خصالهم وأورادهم أن يبذلوا كل ما أتاهم ربهم، لا يخشون فقراً، ولا يخافون ضائقة، بل يبذل كل ما عنده لله ولرسوله.

فأبو بكر ﷺ كان كلما سمع النبي ﷺ يذكر أحد أصحابه الأرقاء في مكة، ويذكر مشفقاً ما يتحمله من العذاب، كان يعتبر هذا إشارة من حضرته ليفُك رقبته، فيذهب إلى صاحبه ويتفاوض معه ويُعطيه المال الذي يُرضيه، مع أن الآخر ينتهز الفرصة ويتغالى في ثمنه، ثم بعد أن يشتريه يعتقه لوجه الله تبارك وتعالى.

حتى أنه أعتق عشر رقابٍ على الأقل من حُر ماله لإرضاء رسول الله وحبيب الله ﷺ في ضعفاء أمته.

وبعد هجرته وفي غزوة تبوك، وكانت في جوٍّ شديد الحرارة، وفي أزمة اقتصادية شديدة للمؤمنين، طالب النبي ﷺ أكابر الصحابة وأغنياءهم بالتبرع لتجهيز الجيش، قال عمر ﷺ:

{ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[١٤٥]

ورد في بعض الأثر أنه قال ﷺ لهما: ((بينكما ما بين كلمتيكما)).

ولم يعنفه ولم يرده بل أقره على ذلك لأنه يعلم علم اليقين أن من أعطى الكل أخذ الكل.

فصاحب هذا المقام الذي يريد أن يكون من خاصة الخاصة يبذل كل ما عنده من مال، ومن حال، ومن علم، ومن قوى جسدية، ومن ولد، وكل ما يملك يجعله لله ﷻ، لأنه يرى أن الأمر كله لله بدءاً وختماً.

---

١٤٥ جامع الترمذي وأبي داود

وحال هؤلاء القوم قول الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦البقرة) يعني إنا وأموالنا وأولادنا وزوجاتنا ودورنا وكل ما نملكه ظاهراً وباطناً لله.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُجمِّلنا بأحوالهم، وأن يُكمِّلنا بأخلاقهم وأن يجعلنا نمشي على نهجهم.

فتى الإسلام الأول أبو بكر الصديق، أول من وصل إلى درجة الفُتُوة، وأول من رقى إلى مقام الصديقية، وأول من فنى بالكلية في الحضرة المحمدية وفي الذات الإلهية، سيدنا أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه، وفيه يُقال:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

فهنيئاً لمن يتشبَّه بهذا الرجل الكامل في معناه، المحبوب لحضرة النبي ولحضرة الله.

ذكرنا من جملة أوصافه التي لا تُعد ولا تُحد أنه كان يمتاز بعبادة الصمت ويتمرَّن عليها، وكان يتحرَّى المطعم الحلال، وكان بفضلٍ من الله يتخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى في علاه، وبذل كل ما آتاه مولاه فأعطاه الله كل ما يتمناه.

٤- قضاء حوائج الناس

ومن كمالاته الأخرى رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه كان له عبادة خاصة غير عبادة العابدين في زمن سيد الأولين والآخرين ﷺ، فالعابدين كسيدنا عبد الله بن عمر، وسيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم كانوا يتنافسون في قيام الليل في الصلاة وتلاوة القرآن، وبصيام الأيام المتتاليات المعدودات، وبذكر الله ﷻ في كل الأوقات.

لكن أبا بكر ﷺ اختصه الله تعالى بعبادة هو فيها رأس الخواص، وهي عبادة قضاء حوائج الناس، فقد كان يقضي بكل ما في وسعه لمن استطاع قضاء حوائجه، فكان يتفقد العجزة والمسنين بالليل ليقوم بخدمتهم.

كان قيامه كل ليلة أن يذهب إلى امرأة عمياء مُقعدة وحيدة في بيتها قبل الفجر بساعة، فيكنس لها البيت وينظفه ويرشه، ويحضِّر لها الطعام والشراب، ويوكلها ثم يذهب إلى مسجد حضرة النبي لأداء صلاة الفجر.

وعمر رضي الله تبارك وتعالى عنه علم مقامه الكريم عند الله، فأخذ ينافسه فيما

يفعله من أعمال صالحة يُرضي بها مولاه، فكان يفعل مثل ما فعل، ويتعقب العجزة والمرضى والضعفاء والمساكين كل ليلة تأسياً بسيدنا أبى بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه.

وأخيراً وقع على هذه المرأة العاجزة التي كان يذهب إليها أبو بكر، فكلما ذهب إليها وجد كل أحوالها مرضية، فقال: يا أمة الله من الذي يأتيك؟ قالت: رجلٌ يأتيني قبل الفجر بساعة يفعل معي كذا وكذا، ولا أعلم من هو ولم يُخبرني باسمه.

فتربَّص عمر ذات ليلة حتى رأى أبا بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه هو الذي يقوم بخدمتها، فناشده الله تبارك وتعالى أن يشاركه في هذا العمل، فأباح له ذلك، وأن يقوم بذلك بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وذهب عمر ﷺ إلى المرأة، وعندما قدَّم لها الطعام قالت: إن صاحبك قد مات، قال: كيف عرفتِ؟! قالت: كان يأخذ النوى من التمر ويُطعمنيه بغير نوى، وأنت جئت لي بالتمر وبه النوى!، فعرفت المرأة المسكينة منزلة الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وكان ﷺ يقوم بخدمة كل جيرانه، حتى أنه كان يقوم عنهم بحلب منائحهم وأغنامهم وماعزهم، حتى لا يشق عليهم في ذلك، ولذلك كان من العجب أنه عندما تولَّى الخلافة إذا به يراهم جميعاً يظهر عليهم الحُزن، فسألهم: لِمَ أرى عليكم كآبةً وحزناً؟ قالوا: لأنك لن تحلب لنا بعد اليوم، فقد أتاك ما يشغلك، قال: لا والله، لا أُبدِّل ولا أُغيِّر، وأنا معكم على العهد على الدوام.

٥- عبادة السر

ويُبين لنا ما حكيناه أمراً آخر في عبادة الصدِّيق، ومن هم على شاكلته، وهي عبادة السر، فكان لا يُحب أن يُطلع أو يَطَّلع أحدٌ على عمله، وكذلك أئمة الصالحين إلى يوم الدين.

فقد كان كثيرٌ منهم يقوم الليل كله، فإذا اقترب الفجر يضع كُحلاً في عينه حتى لا يظهر في عينه أثر السهر، ولا يُخبر حتى زوجه بما فعل في ليلته مع مولاه تبارك وتعالى، كانوا حريصين على عبادة السر، لقوله ﷺ:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ }[١٤٦]

وفي الأثر: ((صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفاً)).

وكان جُلُّ العارفين لا يعلم خاصة عبادتهم الواصلة منهم إلى الله، إلا إذا كان هناك من يأنسون فيه حُسن الاقتداء بهديهم، فيُخبرونه بما في طاقته، ليتابعهم على المنوال.

ومن عجب أنه ظهرت ظاهرة فيسبوكية في هذه الأيام، أُناسٌ يدعون إلى مليونية في الصلاة على النبي، وإلى مليونية في الاستغفار، وإلى أن يتشاركوا في تلاوة القرآن، ويوزعون الأجزاء أو الختمات على بعضهم، وربما هذا يكون عملٌ طيبٌ إذا حسُنت نياتهم، ويكون لهم ثواب وأجر عند الله.

ولكن ليس هذا نهج الصالحين الراغبين في القرب من رب العالمين، والراغبين في المواجهات العالية لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

٦- محبته للنبي

ولا ننسى في هذا المقام :

أن الصدِّيق بلغ في محبته للنبي أعلى مقام، ولعلكم تعلمون جميعاً أنه في حادثة الهجرة طلب من النبي ﷺ أن يتأخر حتى يستبرئ الغار قبله ويقول له: يا رسول الله أنا لو متُّ فأنا رجلٌ واحد، أما أنت فلو متَّ لمات الدين كله.

وأيضاً وهم صاعدون إلى الغار ويمشون على الصخور، وكان النبي ﷺ مُرفهاً في معيشته، فدُميت قدماه، فحمله الصدِّيق رضي الله تبارك وتعالى عنه على أكتافه حتى بلغ به باب الغار.

وأيضاً وهم سائرون في الطريق إلى المدينة رآه النبي ﷺ مرة يمشي أمامه، ومرة يمشي خلفه، ومرة يمشي عن يمينه، ومرة يمشي عن يساره، فسأله عن ذلك، فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّه، أَذْكُرُ الرَّصْدَ، فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَكُونُ خَلْفَكَ،

---

١٤٦ معجم الطبراني عن ابن مسعود ﷺ

وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لا آمَنُ عَلَيْكَ }[١٤٧]

فقال ﷺ:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٤٨]

والحكايات عن محبته ﷺ للرسول كثيرة وكثيرة، آخرها أنه عندما كان يجالسه في المدينة المنورة، وكان يظل عنده طوال يومه، وبعد صلاة العشاء كان يرجع إلى بيته، وكان بيته في مكان بعيد في آخر المدينة يُسمى السُنح، فكان إذا وصل إلى بيته يقول: ردُّوني إلى رسول الله ﷺ، من شدة شوقه إلى رسول الله، وكان يتمثل بذلك بقول حسان بن ثابت ﷺ وأرضاه:

أُحبك حباً لو يُفاض يسيره على الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله لأنك في أعلى المراتب من قلبي

٧- مقام القربة

قال محي الدين بن عربي في قوله ﷺ: { ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن فضلكم بسر وقر في صدره }[١٤٩]

مقام القربة مقام دون نبوة التشريع في المنزلة عند الله، وفوق الصديقية في المنزلة عند الله، وهو المشار إليه بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر، ففضل به الصديقين إذ حصل له ما ليس من شرط الصديقية ولا من لوازمها، فليس بين أبي بكر ورسول الله ﷺ رجل لأنه صاحب صديقية وصاحب سر، فهو من كونه صاحب سر بين الصديقية ونبوة التشريع ويشارك فيه، فلا يفضل عليه من يشاركه فيه، بل هو مساو له في حقيقته، وفي مقام القربة يقول الشيخ ﷺ:

ومنه أيضاً أبو بكر وميزته بالسر لو نظروا في حكمنا كملوا
فليس بين أبي بكر وصاحبه إذا نظرت إلى ما قلته رجل
هذا الصحيح الذي دلت دلائله في الكشف عند رجال الله إذ علموا

---

١٤٧ تاريخ دمشق لابن عساكر ودلائل النبوة للبيهقي
١٤٨ حلية الأولياء لأبي نعيم
١٤٩ رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول

ولم يحكم أحد من الأولياء ولا قام في مقام القربة مثل أبي بكر إلا من لا أعرفه، فإنه ﷺ ما ظهر قط عليه مما كان عليه في باطنه من المعرفة شيء لقوته، إلا يوم مات رسول الله ﷺ لكون الله أهَّله دون الجماعة للإمامة والتقدم، والإمام لا بد أن يكون صاحياً، لا يكون سكراناً، فقامت له تلك القوة في الدلالة على أن الله قد جعله مقدم الجماعة في الخلافة عن رسول الله ﷺ.

فكان رسول الله ﷺ يعرف من أبي بكر السر الذي وقر في صدره وحصل عنده ما لا تعرفه الجماعة، فحين مات رسول الله ﷺ ما بقي أحد إلا اضطرب، وقال ما لا يمكن أن يُسمع، وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره ،وعدم معرفته برسوله الذي اتَّبعه إلا أبا بكر، فإنه ما تغير عليه الحال لعلمه بما تم وما هو الأمر عليه، فصعد المنبر وقال قارئاً: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤ آل عمران) فتراجع من حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الإمامة والتقديم، فما بايعه من بايعه سدى، وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما جهل أيضاً من رسول الله ﷺ، أو من كان محل نظر في ذلك، أو متأولاً، فإنه ﷺ قد شهد له رسول الله ﷺ في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره، فظهر حكم ذلك السر في ذلك اليوم، وليس إلا استيفاء مقام العبودة، بحيث أنه لم يخل منه شيء في حقه وفي حق رسول الله ﷺ، فعلم مُحَمَّد ﷺ أن أبا بكر الصديق مع من دعاه إليه وهو الله تعالى، ليس معه إلا بحكم أنه يرى ما يخاطبه الحق سبحانه به على لسان رسوله ﷺ في كل خطاب يسمعه منه، بل من جميع من يخاطبه، وقد علَّمه الحق في نفسه ميزان ما يقبل من خطابه، وما يرد.

وأضاف أيضاً:

لما طلب رسول الله ﷺ الإذن في عروجه في الرؤيا بالدخول على الحق سمع صوتاً يشبه صوت أبي بكر وهو يقول له: يا مُحَمَّد قف إن ربك يصلي، فراعه ذلك الخطاب، وقال في نفسه: أربي يُصلي! فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب، وأنس بصوت أبي بكر الصديق تلا عليه: " هو الذي يصلي عليكم وملائكته " فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق.

وأضاف أيضاً:

قيل لأبي بكر ﷺ ليلة أُسري برسول الله ﷺ: أنه رأى ربه، قال: صدق، وكنت معه متمسكاً بأذياله مشاركه في مقاله، قيل: كيف؟ قال: في قوله: السلام علينا.

٨- خصوصيته في العلوم الوهبية

ولذلك فإن النبي ﷺ خصَّه بما لم يخصَّ به غيره من العلوم الوهبية، حكى بعض هذه المشاهد سيدنا عمر ﷺ فقال كما ورد ببعض الأثر: كنت جالساً بين يدي النبي ﷺ ومعنا أبو بكر، فقال: يا أبا بكر أتذكر يوم يوم؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أتذكر كيت كيت؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فقلت: يا رسول الله كأنما تتحدثان بلسان أعجمي، ولا أتبين من حديثكما شيئاً!!.

فعرف أنه خُصَّ بما لم يُخَصُّ به غيره، تصديقاً لقول النبي ﷺ:

{ مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شِيْئَاً إِلَّا وَصَبَبْتهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ } [١٥٠]

كذلك خُصَّ بفهم الإشارات العالية من الله، ومن حبيب الله ومصطفاه، فهو الذي أدرك الإشارة عندما قال النبي في حجَّة الوداع:

{ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا } [١٥١]

وأخذ يبكي، فتعجب الصحب وقالوا له: لِمَ تبكي؟ قال: إن رسول الله ﷺ ينعي لكم نفسه، ولم يفطن لهذه الإشارة غيره، لأنه أعطاه النبي معاليم الإشارات، وخصوصيات علم العبارات، وجعله ﷺ بابه لكل من اجتباهم الله ليدخلوا ويحظوا بحبيب الله ومصطفاه.

٩- باب النبي

فكان كلما جاء الأعراب من البادية ليدخلوا على حضرة النبي ﷺ، يتوجهون على حسب إشارة النبي إلى أبي بكر، فيُعلِّمهم كيفية الدخول وهيئة الجلوس، وكيفية الحديث مع رسول الله ﷺ، وغيرها من الآداب العالية التي يجب أن يعلمها من يدخل

١٥٠ أورده ابن الجوزي، وابن القيم وذكر أن فيه ضعف
١٥١ سنن الترمذي وابن ماجة عن جابر ﷺ

هذه الحضرة الراقية.

ولا يزال الأمر بعد ذلك على هذا المنهاج، فإن كثيراً من الأحباب بارك الله فيهم في هذا الزمان، نسوا هذا المنهاج، وأراد كل واحد منهم أن يدخل على حضرة مرشده بدون أخ سبق له مصاحبة المرشد ونال رضاه، ففقدوا الأدب، ومن حُرم الأدب حُرم الترقّي إلى أعلى الرتب، ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

((الزم الأدب ولو رُقيّت إلى أعلى الرتب)).

وأنا أيضاً كنت على هذا المنوال، فعندما منَّ الله عليَّ بمعرفة الرجل القائم الشيخ مُحَمَّد علي سلامة، صحبتُ تلميذه الأول النجيب مولانا الشيخ أحمد حسن غرباوي ﷺ، فجهَّزني وأدَّبني وعلَّمني ورقاني لمجالسة الشيخ، وكنت أريد أن أستزيد فإذا بالشيخ عند زيارتي له في ههيا في محافظة الشرقية، يقول لي: يكفيك هذا وترجع إلينا هاهنا.

فرجعتُ بعد أن حفظتُ هذه الآداب، مع أني كنت أبحث في الكتب جميعها عن الأدب مع الشيخ، وهي بُغيتي، وهي غاية حجتي، لأعلم كيف يكون الأدب مع الأشياخ؟ لأني أعلم علم اليقين أن الأدب سر الوصول لرب العالمين، ولسيد الأولين والآخرين ﷺ، أسأل الله ﷻ أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يعلِّمنا آداب الطريق، وأن يسلك بنا سبيل أهل التحقيق.

مكانة أبى بكر

سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ:

إمام من أئمة أهل الفناء، وإمام الصديقين، وإمام الواصلين، وإمام العارفين، وإمام السالكين، ولا غَرو فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ مبيناً بعض مكانته: ((أبو أبكر سيدنا، وأعتق سيدنا)).

ولما أراد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن يتحدث عن فضائل أبيه عمر بن الخطاب، وأراد أن يبين ميزاته، وما بينه وبين الصديق، فقال عمر ﷺ وهو القوَّال بالحق على الدوام:

{ وَاللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَوْمٌ، خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ، هَلْ لَكَ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِيَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَمَّا اللَّيْلَةُ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ هَارِبًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ خرج لَيْلا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ مَرَّةً يَمْشِي أَمَامَهُ، وَمَرَّةً خَلْفَهُ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعْالِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَذْكُرُ الرَّصْدَ، فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَكُونُ خَلْفَكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لا آمَنُ عَلَيْكَ، قَالَ: فَمَشَى رَسُولُ اللَّه ﷺ لَيْلَهُ كُلَّهُ حَتَّى أَدْغَلَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ حَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَجَعَلَ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى أَتَى بِهِ فَمَ الْغَارِ، فَأَنْزَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ قَبْلَكَ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ شَيْءٌ نَزَلَ بِي دُونَكَ، قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّ فِي الْغَارِ خَرْقًا أَسُدُّهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، فَمَزَّقَهُ، وَجَعَلَ يَسُدُّ بِهِ خَرْقًا خَرْقًا، فَبَقِيَ جُحْرَانِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَلَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْغَارِ، ثُمَّ أَلْقَمَ قَدَمَيْهِ الْجُحْرَيْنِ، فَجَعَلَ الأَفَاعِي، وَالْحَيَّاتُ يَضْرِبْنَهُ، وَيَلْسَعْنَهُ إِلَى الصَّبَاحِ، وَجَعَلَ هُوَ يَتَقَلَّا مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ، وَرَسُولُ اللَّه ﷺ لا يَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ لا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّه مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى رَسُولِهِ السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ لأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّه، فَهَذِهِ لَيْلَتُهُ، وَأَمَّا يَوْمُهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُصَلِّي وَلا نُزَكِّي، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُزَكِّي وَلا نُصَلِّي، فَأَتَيْتُهُ لا أَلُوهُ نُصْحًا، فَقُلْتُ: يَا خليفة رَسُولِ اللَّه، ارْفُقْ بِالنَّاسِ، وَقَالَ غَيْرِي ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَارْتَفَعَ الْوَحْيُ، وَوَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا مِمَّا كَانُوا يُعْطُونَ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَاتَلْنَا مَعَهُ، فَكَانَ وَاللَّهِ شَدَيْدَ الأَمْرِ، فَهَذَا يَوْمُهُ }[١٥٢].

١٥٢ تاريخ دمشق لابن عساكر ودلائل النبوة للبيهقي

وذكره الله تبارك وتعالى في القرآن مقروناً مع حبيب الله ومصطفاه في عدة مواقع: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة) كرر الله اقتران أبى بكر بحبيب الله ومصطفاه ليبين عُلو درجته، ورفعة منزلته، وشدة قربه من حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

١٠- قيمة العمل عنده

ومع هذه المنزلة العظيمة الكريمة والتي فني فيها أبو بكر بالكلية في الله ورسوله، إلا أنه رضي الله تبارك وتعالى عنه لم يرض بغير العمل، وضرب لنا القدوة الطيبة والأُسوة الحسنة لمن يمشي على نهج الصالحين، وعلامته أن يستغني بالعمل الذي يوفقه الله تبارك وتعالى له عن انتظار أو مدِّ اليد إلى الآخرين.

فكان إذا أصبح الصباح - وكان تاجراً - يذهب إلى حانوته ويفتحه للتجارة الحلال، مع أنه جعل معظم ريع تجارته لله، فحرَّر منه العبيد، وأعان به النبي في وقت الشدة، وساعد به في تجهيز جيوش المسلمين، وغيرها من أبواب الخير التي فتحها للفقراء والمساكين، إلا أنه لم يترك العمل.

حتى أنه من شدة حرصه على ذلك لما وُلِّي خلافة المسلمين إذا بأصحاب رسول الله ﷺ يرونه في الصباح وقد حمل بضاعته على ظهره ذاهباً إلى السوق، فقال عمر: ما هذا يا خليفة رسول الله؟! قال: أُطعم أولادي ونفسي ولا أمد يدي إلى غيري، قال: أصبحت الآن مشغولاً بأمر المسلمين، وجمع عمر الصحابة الكبار المباركين، وقالوا: نفرض له من بيت مال المسلمين ما يكفي طعامه في كل يوم وليلة، وكساءه في الصيف وفي الشتاء، فجعلوا له حُلتين للصيف، وحُلتين للشتاء، وجعلوا له نصف شاة يأكلها هو وضيوفه وأهله وأولاده.

فلما حضرت وفاته قال لابنته التقية السيدة عائشة ﵂: احسبي ما أخذته من بيت مال المسلمين ثم رديه إلى بيت المال من مالي، فقال له عمر ﵁: غفر الله لك يا خليفة رسول الله لقد أتعبت مَن بَعدَك.

ثم طلب أن يُروه الكفن الذي جهزوه له، وكان الكفن قطعةٌ جديدة من الثياب تصلح للخياطة، وتصلح كلباس، وتصلح أن يُكفن الإنسان بها، فلما لمسها ورأى

جِدَّها، قال: الحي أبقى من الميت، كفنوني في ثيابي هذه، وخُصُّوا بها رجلاً فقيراً من رجالات المسلمين، فعمل بقول رسول الله ﷺ وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كُمَّل السالكين:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }[١٥٣]

ولِمَ ذكر داود؟ لأنه كان ملكاً ومشغولاً بشئون الملك، وكان أيضاً عابداً لله ومشغولاً بعبادته، فكان يقسم وقته ثلاث، ثُلثٌ للعبادة، وثُلثٌ للحكم بين الناس، وثُلثٌ للعمل الذي يقتات منه هو وأولاده أجمعين.

ورُوي في سبب ذلك أنه كان في يوم عبادته وكان يدخل خلوته في هذا اليوم، ولا يفتح الباب لأحد، والخلوة ليس لها نوافذ، فإذا به يرى شخصين يدخلان عليه ولم يدري من أين دخلا، فسألهما، فقالا: نحن من ملائكة السماء أُعجبنا بعبادتك وطاعتك لله، فأحببنا أن نرافقك ونأتنس بك، فلما تواصلا معه عدة مرات، قال لهما كدأب كُمَّل الصالحين: هل فيَّ من عيب؟ قالا وهما له ناصحين: ليس فيك إلا عيبٌ واحد وهو أنك تأكل من بيت مال المسلمين، فآلى على نفسه أن يسعى لعمل صالح حلال يقتات منه.

ولما عزم وصدق مع الله النية ألهمه الله بصناعة الدروع من الحديد، وزاد في فضله عليه فألان له الحديد: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (١٠سبأ) فكان يصنع الدروع ويبيعها ويقسم ثمنها إلى ثلاثة أقسام: ثُلثاً يشتري به قوتاً لنفسه ولأولاده، وثُلثاً يشتري به حديداً آخر ليصنعه، وثُلثاً يتصدق به على الفقراء والمساكين، وهذا كان دأب الصالحين الصادقين أجمعين.

ولذلك كانوا يَتَسَمَّون بأسماء مهنهم التي يزاولونها، فهذا الجنيد سيد الطائفة يُسمى الجنيد القواريري، والقواريري يعني الزجاج، لأنه كان يشتغل بصناعة الزجاج، وهذا الحلاج لأنه كان يشتغل بحلج الأقطان، وهذا الحريري لأنه كان يشتغل في تجارة الحرير، وهذا القصاب – والقصاب يعني الجزار – لأنه كان يشتغل بالجزارة، وهذا الراعي لأنه كان يشتغل بالرعي، وهذا الخواص لأنه كان يشتغل بصناعة الخوص، وغيرهم

[١٥٣] صحيح البخاري والبيهقي عن المقدام بن معدي ﷺ

حتى عصر قريب، وذلك حتى يُطعم نفسه من حلال، ويتصدق على فقراء المسلمين.

هذه المآثر العُظمى تعلموها من الصديق ﷺ، وهو الذي أحسن تهذيب نفسه وتأديبه بها من الحبيب الأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه.

١١- الدعوة إلى الله

ومع ذلك ومع اشتغاله بالتجارة كان يصنع من التجارة مجالاً خصباً للدعوة إلى الله، وكان يشتهر بالأمانة بين التجار، فكان كل من أتى يشتري منه بضاعته ويتوسم فيه الهداية والصلاح؛ يحدثه عن دين الإسلام ويدعوه إلى الدخول فيه، ولذلك أسلم على يديه ﷺ أكابر الصحابة المباركين، كسيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا الزُبير بن العوام، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيدنا أبو عُبيدة بن الجراح، وغيرهم من كبار الصحابة الذي دخلوا على يد التاجر وهو يتحدث معهم أثناء شرائهم منه، فيعرض عليهم بضاعته الدنيوية، وبضاعته الدينية، فيشتروا الإثنين معاً.

وهنا أقام الحجة على كل من انتسب إلى طريق الله تبارك وتعالى مهما كان شأنه، ليس له عُذرٌ في عدم دعوة الخلق، وخاصة من يتوسم فيه الخير والسداد في دين الله و في صنعته، وهو في عمله، إن كان في تجارة، أو كان في زراعة، أو كان في دراسة، أو كان طبيباً، أو كان مهندساً، أو في أي عمل يستطيع أن يعرض على الناس بضاعته وصدقه وإخلاصه في العمل الدنيوي، فيجعل من يتحدث معهم يثقون فيه، ويُقبلون على الدخول في الأمر الذي هو فيه، وهذه سُنَّة سلفنا الصالح التي أخذوها من الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه.

حال أهل الفتح

بقي أمرٌ لمن يروم أن يمشي على هذا المنوال، أن لا يساوم الحق ﷻ بعمله، فيطلب له منزلة، أو يطلب من الله كرامات وإكرامات، أو يطلب من الله فتوحات، أو يطلب من الله رؤيات صالحات، أو يطلب من شيخه أن يكون نائباً أو مُقدماً على بلدة أو على مجموعة من الأفراد، لأن هذا الذي ذكرناه عطايا من الله، والعطايا منٌ ومنحٌ إلهية ليس لها مقابل مطلقاً، لا في الأعمال الصالحة ولا في الدنيا الدنية.

ما العمل الذي تعمله في الشريعة الغراء ويوصلك إلى مقام الإلهام؟ العمل بأحكام

الشريعة الغراء يوصِّل إلى دخول الجنة، ويؤمِّن المرء من دخول النار، وقد يرفع درجته في الجنة، لكن عند صاحب الجنة وعند رياض الحبيب المختار فالأنوار والأسرار والتجليات والإشراقات كلها نفحات وفيوضات، ومنحٌ من الله تبارك وتعالى، ومن رسوله ﷺ، وهي التي يقول فيها رسولنا ﷺ:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[١٥٤]

ولذلك عجبتُ عندما اخترت بعض أحبابنا لقضاء مصالح إخوانهم وحلِّ مشكلاتهم في بلادهم، فسمعتُ ورأيتُ البعض يلومني أنني لم أختاره لأنه يرى في نفسه كل الميزات التي تؤهله لذلك، ويتساءل: لِمَ لَمْ يختارني الشيخ مع أنني خيرٌ من فلان وفلان؟! فتذكرتُ قول سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: ((آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة)).

الطريق إلى الله ليس فيه منازل ولا رئاسة ولا كبرياء ولا حبٌ للظهور، بل قال إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((حب الظهور يقسم الظهور)).

وكان سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ يقول: ((من أحب الظهور فهو عبدٌ للظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبدٌ للخفاء، ومن كان عبداً لله، فسواءٌ عليه أظهره أو أخفاه)).

والصالحون اصطلحوا على أن الصادق الحق الذي يبدون له مشارق الأنوار ويدخلونه في رحاب الأخيار والأطهار هو الذي أصبح وليس في قلبه ولا في نفسه منازعة في مطامع دنيوية، ولا في مناصب فانية، ولا حتى في شهوات باقية راقية، وإنما يكون عبداً لله، ولا يرجو من الله إلا رضاه:

وكــن عبــداً لنــا والعبــد يرضــى بمــا تقضــي المــوالي مــن مــراد

سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ وهو رجلٌ من هؤلاء الرجال الكُمَّل، تبعه أحد أصحابه بعد صلاة العشاء عندما خرج من المسجد، ومشى وراءه دون أن يُشعره حتى دخل خلوته، وكمُن في مقامٍ لا يظهر فيه له، ونظر إليه فإذا به يبدأ في الصلاة لله، وظل طوال ليلته واقفاً يقرأ القرآن مع مناجاة مولاه.

---

١٥٤ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

ولما اقترب الفجر صلَّى ركعتين خفيفتين حتى يلحق بالفجر، فلما التفت إليه رآه، قال: منذ متى أنت هنا؟ قال: منذ أتيت بعد صلاة العشاء، ثم أخذ يتوسل إليه ويقول: بالله عليك ياسيدي خبرني بشيء مما شاهدته في تلك الليلة، قال: لا تستطيع أن تتحمل، فلما أكثر من التوسل له، قال: أخذني ربي في تلك الليلة – يعني أخذ روحه – فعرض عليَّ كنوز الدنيا، فقلت: وعزتك وجلالك لا أريدها، فعرض عليَّ جمالات الملكوت، فقلت: وعزتك وجلالك لا أريدها، فأدخلني الجنة وعرض عليَّ كمالات الجنة، فقلت: وعزتك وجلالك لا أريد هذا النعيم، فأوقفني بين يديه، وقال لي: وماذا تريد؟ فقلت: أريد أن لا أريد – يعني لا يكون لي إرادة مع إرادتك – فقال لي: أنت عبدي حقاً، ووليّ صدقاً، لأنه لم يعد له إرادة مع مولاه، وهم كما يقول الله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٣٤الزمر) ليس في عالم الدنيا، ولكن لهم ما يشاءون في مقام العندية، وهو من المقامات العلية.

المقامات العلية

فإن المقامات العُليا لأهل الكمال هي مقام المعية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل) ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح).

ثم مقام العندية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾ (٢٠٦الأعراف).

ثم مقام اللدنية: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦النمل).

فلهم ما يشاءون عند ربهم يعني في مقام العندية، لأن الدنيا بأكملها من بدايتها إلى نهايتها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء.

فكان الصدِّيق ﷺ الإمام الأعظم في هذا المقام، ولذا عندما اجتمع الأنصار لحظة مفارقة النبي الدنيا إلى الرفيق الأعلى، قدَّم عمر، ثم قدَّم أبو عبيدة، ولم يقدِّم نفسه، وإنما قدَّمه الله، لأنه كما قال عمر:

((يا قوم رجلٌ ارتضاه النبي ﷺ لديننا ولصلاتنا فهو أحق أن نرتضيه لدنيانا))

ولكنه لم يبتغ بذلك شيئاً، وكما قلنا أن كل ما أخذه لنفسه من الضرورات ردَّه لبيت المال في حالة النهايات.

هذا هو الكمال لأهل الكمال الذين يقول الله تبارك وتعالى فيهم لمن يبغي صدق الوصال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢١يس) ...

أما من يفتح ساحاتٌ أو مضايف للمنافع وغيرها، فهذا عملٌ طيب وعملٌ سديد وعملٌ رشيد وعملٌ لخدمة العباد بعضهم لبعض، ولكن ليس هو مقصود الرشيد الذي يبغي الوصال إلى الله ويبغي معية حبيب الله ومصطفاه.

فناء الصحب الكرام[١٥٥]

لدينا قولٌ جامع وهو أن أصحاب العطاءات الخاصة، والمنح المخصوصة، لا بد أن يجتازوا أولاً مرحلة جهاد النفس، ومرحلة تصفية القلب، ويتجاوزوا مرحلة الفناء، أي لا يكون لهم ظاهراً أو باطناً في أنفسهم أو في الآفاق إلا وجه الله تبارك وتعالى، وحبيبه ومصطفاه ﷺ.

تسبيح الكائنات

وقد بيَّن النبي ﷺ مرة حال عدد من أهل الفناء في جملة واحدة في حالة حسية لأصحابه المباركين أجمعين، يقول سيدنا أبو ذر رضي الله عنه:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }[١٥٦]

---

١٥٥ الجميزة – السنطة – الغربية ١١ من ذي القعدة ١٤٤١هـ ٢/٧/٢٠٢٠م عبر برنامج زووم

١٥٦ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه

إذاً أهل الفناء يسمعون تسبيح الكائنات الظاهرة والباطنة، بل يسمعون تسبيح أعضائهم التي خلقها الله تبارك وتعالى في ذواتهم، ويسمعون نغمات الأشياء كلها، يقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ:

نغمات تسبيح الكيان مُدامي يصغى لها قلبي يزيد هُيامي
قلبي لدى التسبيح يصغى واجداً وجْد المؤله من فصيح كلامي

والكيان يعني الجسم، وهناك من يقول إنهم يسمعون تسبيح الكائنات مجازاً، يعني بغير صوت ولا حرف، لكن الإمام أبو العزائم ﷺ صرَّح هنا، أنهم يسمعونها ويسمعون تسبيحها بأصوات فصيحة بليغة كما نسمع بعضنا، لشفافيتهم الروحانية وعُلو همتهم في ذات الحق ﷻ العلية.

درجات أهل الفناء

وأهل الفناء درجات:

نأخذ مثالاً واحداً نكتفي به:

فهذا إمام أهل الفناء أبو بكر الصديق ﷺ، وهذا رجلٌ من أهل الفناء الأشدَّاء وهو سيدنا عمر ﷺ، والدليل على أن عمر من أهل الفناء أنه ﷺ عندما أراد أن يدخل في الإسلام، وأسلم مع الحبيب المصطفى في دار الأرقم بن أبي الأرقم، قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا وَأَنَا فِي الآخَرِ لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا }[١٥٧]

أخذ ﷺ برأيه ومشورته، وهو يعلم أنه قد انتابته حالة جذب إلهية، جعلته لا يرى

١٥٧ دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

إلا وجه الله في الأكوان، وتنمحي الصور من أمام ناظري عينيه وقلبه في الوقت والآن.

فلما رآهم المشركون أُخذوا بهذه المفاجأة، ومن أخذهم لم يستطيعوا أن يتوجهوا إليهم بإيذاء ولو حتى بلفظة نابية، أخرسهم الحق بسلطان الحق، مع نبي الحق ﷺ.

وكان هذا الأمر الدليل الشرعي على مواكب الصالحين، والذين يصطفون إلى صفين من المريدين، ويمشي بينهما شيخهم كما فعل المسلمون مع سيدنا رسول الله ﷺ.

أما الدليل الثاني على شدة فناء عمر ﷺ أن المسلمين عندما أشار إليهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة لينجوا من تعذيب الكافرين وإيذائهم لهم، فما كان من عمر إلا أن ذهب ضحوة أو عند الظهيرة، والكفار حول الكعبة وقال قولته المشهورة: ((من أراد منكم أن تترمَّل زوجته، أو يتيتَّم أبناؤه، أو يفقد عمره فليتبعني خلف هذا الوادي) وكانوا كثرة كاثرة يستطيعون أن يتجمعوا عليه ويفعلوا فيه الأفاعيل، لكنه من شدة فنائه وجذبه في الله كان يراهم كذباب أو بعوض لا يغنون عن أنفسهم شيئاً، ولا يستطيعون أن يؤذونه من قريب أو بعيد.

وكان قد أعلن للمستضعفين الذين لا ناصر لهم ولا قريب يدافع عنهم أن يخرجوا في ضمانه وأمانه مهاجرين، فقد رُوي أنه خرج معه أربعين رجلاً من المستضعفين في رائعة النهار، ولا تحميهم كتيبة ولا جيش، لا يحميهم إلا الله، .... وفي الأرض عمر بن الخطاب ﷺ.

وهذا أشد الجذب الذي يحدث بالمؤمنين في هذه الحياة الدنيا، فإنه تحدَّى الكافرين أجمعين بمفرده ولم يعبأ بهم، بل وخرج معه المستضعفين وحماهم، ولم يتبعه واحد من الكافرين حتى وصلوا إلى المدينة آمنين.

هذا الرجل مع ما بلغه من هذا المقام العظيم في الفناء، إلا أن بينه وبين فناء الصدِّيق بُعد المشرقين، فعمر كان في أعلى مقامات الفناء، والصدِّيق كان في مقام الفناء عن الفناء، وهذا مقامٌ أعظم وأعلى وأكبر وأجل.

وظهر ذلك عند انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فقد خرج عمر كعادته مشهراً سيفه وهو يقول: من قال إن مُحَمَّداً قد مات ضربتُ عنقه، فجاء الصديق الأعظم ووضع يده على كتفه وقال: خفِّف عن روعك يا عمر، ثم قال: أيها الناس؛ من كان

يعبد مُحَمَّداً فإن مُحَمَّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ..

ثم تلا قول الله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤آل عمران) فنزل عمر بثقله قاعداً على الأرض، وقال: والله كأني لم أسمع هذه الآية إلا الآن .... فظهر مقام الصدِّيق الأعظم رضوان الله تبارك وتعالى عليه، وهو أنه كان في مقام فناء الفناء مع بقاء البقاء، مقام جمع الجمع على الله مع مقام فرق الفرق في التعامل مع خلق الله، وهذا ما يُسمى أبو العينين، أو صاحب الشريعة والحقيقة في الوقت والحال، وهذا المقام الأكمل لكُمَّل الرجال.

أوراد خاصة الخاصة

وكانت بداية حديثنا عن الصديق والفاروق بعده تبياناً لأوراد خاصة الخاصة:

فخاصة الخاصة هم الذين قلنا أنهم وصلوا إلى مقام الفناء، وأورادهم في هذا الوقت تكون أوراد قلبية، أو أورادٌ روحانية، منها ما يُسمى باللطائف البرزخية، واللطائف البرزخية لأن هؤلاء الأقوام تكون أجسادهم معنا، وقلوبهم وأرواحهم مع الله، يتجولون في عالم الملكوت الأعلى، أو في عالم البرزخ، فيذكرون باللطائف، واللطائف التي فينا هي القلب أو السر أو الخفا أو الأخفى أو نفخة القدس، أو غيرها من اللطائف التي خصَّ الله بها المبرَّزين من بني الإنسان، ولا تظهر في الجسد الظاهر لنا في الأكوان، ولكن تظهر لأهل العيان، وأهل الكشف العالي من الرحمن ﷻ.

فهؤلاء عندما يأخذون في ذكر هذه اللطائف يكونون في عالم البقاء، وأجسادهم في عالم الفناء، فيذكرون بالباقي لحضرة الباقي، ..... يذكرون باللطائف الباقية حضرة الباقي ﷻ.

وبعض المريدين يستحضر ذلك في بدايته، فإذا نام والنوم أخو الموت:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ (٤٢الزمر)

فعند استلقائهم للنوم يستحضرون أنهم ماتوا، وأُخذ بهم إلى قبورهم، ودخلوا إلى عالم يقول فيه الله: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٠٠المؤمنون).

وفي هذا المجال تظهر لهم أنوار عالم البرزخ، فيتلقون من الحبيب ﷺ أو وارثه أذكاراً برزخية لا تُكتب بمداد، ولا تُسطَّر على أوراق، ولا تسمعها الآذان على الإطلاق، وإنما تخرج من القلوب إلى حضرة الكريم الخلاق ﷻ.

هذه اللطائف البرزخية تزيد من لطفهم، فتزيد من قربهم، فتزيد من صفائهم، فتزيد من أنوارهم، فتزيد من مكاشفاتهم، ثم تزيد من مشاهداتهم، ثم تنقلهم إلى عالم المكالمة مع الله، أو عالم المحادثة مع حبيب الله ومصطفاه، وهي كما قلت لا تُسطَّر على الأوراق، وإنما تُؤخذ بالأذواق، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجمِّلنا بهذه الأحوال وأن يأخذنا إلى هذا المجال، وأن يتفضل علينا بهذا الكمال.

مقام لا حول ولا قوة إلا بالله

وهم مع ما يقومون به من مشاهدات وجمالات يعلمون علم اليقين أنهم لا حول لهم ولا طول لهم ولا قوة لهم إلا بالله العلي العظيم، وأن ما خُصُّوا به من منحٍ إلهية وعطاءات ربانية يرون أنفسهم لا يستحقونها، وإنما هي محض إنعام من الله، وخصوصية وإن كانوا لا يستحقونها ببركة رسول الله، ولذلك لا يُدلُّون بها، ولا يفتخرون بها، ولا يُخبرون أحداً بها، لأنهم يرونها من الله وبالله، وهم ليس لهم شأنٌ بها، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

كل الذي أنا فيه فضل محمد منه بدا وإليه كان وصوليَ
وأنا الظلوم أنا الجهول أنا الذي لولا عنايته هلكتُ بحالي

فالإنسان في نفسه لا يملك إلا الذنوب والعيوب، ولكن الله إذا اصطفاه طهَّره وأخلاه من الذنوب والعيوب، وجمَّله من فضله بجمال الحبيب المحبوب، وأهَّله بواسع إكرمه لعالم الغيوب، وكل هذا هم يعرفون أن الفضل فيه لله:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٤المائدة)
﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة).

المجلس العشرون

يقين ابى بكر الصديق

علامات الايقان عند الصدِّيق

مقام التجريد

علمه بالله

تواضعه وهضمه لنفسه

يقين أبى بكر الصدِّيق[١٥٨]

سيدنا الإمام أبو بكر الصدِّيق ﷺ وأرضاه إمام الصديقين، وقطب أهل الفناء والبقاء بعد سيد الرسل والأنبياء، ومهما قلنا ومهما فصلنا ومهما شرحنا فلن نستطيع أن نبين كل البيان، وإنما نذكر شذرات يسيرة يقتدي بها السالكين الصادقين، وأئمة العارفين، لعل الله ﷻ يتجلى على قلوبهم، فيفتح عليهم بما فتح به على النبي الكريم، ونزل من قلبه على قلب الصدِّيق رضوان الله تبارك وتعالى عليه.

يكفي الصدِّيق شرفاً وفخراً أنه بلغ أعلى مقامات القرب من الله منذ بداية دخوله الإسلام، فأعلى المقامات بعد مقام الإسلام والإيمان والإحسان مقام اليقين، وفيه يقول الله تبارك وتعالى عن خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (١٧٥الأنعام).

علامات الايقان عند الصدِّيق

والصدِّيق له من علامات الإيقان علامات لا تُعد ولا تُحد:

يكفي ما حدث له في حادثة الإسراء والمعراج ...

فعندما حدَّث الرسول ﷺ أهل مكة عن رحلة الإسراء وفقط، ولم يحدثهم عن المعراج، أسرعوا وجاءوا بأبي بكر، وقالوا: إن صاحبك يزعم أنه أتى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة – انظر إلى اليقين – فقال ﷺ وأرضاه:

إن كان قد قال ذلك فقد صدق!

قالوا: أتصدقه في ذلك ونحن نقطع على ظهور الإبل في الذهاب والإياب إليه شهرين متتالين؟! قال: إني لأصدِّقه في ما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء ينزل به الوحي من فوق سدرة المنتهى إلى الأرض في طرفة عين وأقل.

---

١٥٨ الجميزة – السنطة – الغربية ١٨ من ذي القعدة ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٧/٩م عبر برنامج زووم

لذلك منحه النبي ﷺ اللقب الكريم (الصِّدِّيق)، فمُنح لقب الصديقية منذ بدايته.

ثم أراد أن يُثبت للقوم بالدليل المحسوس صدق ما يقول النبي:

فطلب من رسول الله أن يصف له أبواب بيت المقدس، وكانوا أكثر من عشرة أبواب في ذاك الوقت، فحمل جبريل بيت المقدس على كفه، وأخذ يديره للنبي، والنبي يصف كل باب كما رآه، وأبو بكر يقول: صدقت.

أما الدليل الثاني على يقينه:

أنه عندما أراد الهجرة قال له النبي:

{ لَا تَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا }[١٥٩]

ففرح الصدِّيق وكتم أمره.

فلما كان يوم وليلة الهجرة دخل النبي ﷺ عليه في ساعة الظهيرة.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةَ }[١٦٠]

فبكت عيناه من الفرح.

ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

لم أر أحداً قبل ذلك يبكي من الفرح، حتى رأيتُ أبا بكر رضي الله عنه يبكي.

---

١٥٩ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٦٠ صحيح البخاري وابن خزيمة عن عائشة رضي الله عنها

وجاء إلى ماله وكان في كُوَّةٍ في الحائط، وكان المال قطعاً من الذهب في ذاك الوقت، فأخذه كله معه موقناً في وكالة الله له في أهله، وأنه تبارك وتعالى لن يتخلَ عنهم طرفة عين ولا أقل.

تحكي السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ فتقول:

جاءني جدي أبو قحافة – وهو أبو أبي بكر – فقال: لعله عندما فجعكم بنفسه فجعكم بماله فأخذه معه – وكان قد كُفَّ بصره، وانظر إلى يقين فتيات الإسلام وحُسن تصرفهن ولطفهن في هذا المقام – قالت: فجئت بأحجار ووضعتها مكان الذهب، ووضعت عليها ثوباً وجئتُ به وأخذت بيده وأمررتها على الحجر، فظن أنه ذهب، فقال: إن كان قد ترك لكم هذا فقد ترك لكم خيراً كثيراً، تقول: ووالله ما ترك لنا شيئاً.

أما اليقين الثالث:

فقد حكيناه في قصة الغار في طريق هجرة المختار ﷺ.

أما اليقين الجلي فكان يومه يوم بدر:

عندما انفرد النبي ﷺ في مؤخرة العسكر، وقد نصبوا له خيمة وأخذ يدعو الله ويشتد في الدعاء، ومن جملة ما كان يقول:

{ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ } [١٦١]

حتى نزل رداؤه من على كتفيه، فما كان من الصدِّيق صاحب اليقين ونعم الرفيق إلا أن ربَّت على ظهر الحبيب وقال: يا رسول الله كفاك مناجاتك ربك فإنه مُنجزٌ لك ما وعدك، فكان على يقين أن وعد الله لرسوله لا بد أن يتحقق.

وكذلك يظهر هذا اليقين عندما تنخلع القلوب في يوم الحُديْبية، وكان النبي قد أخبر صحبه أنه رأى أنه يطوف بالبيت معتمراً، فذهبوا معتمرين لابسين ملابس الإحرام ومعهم هديهم، فلما حدث الصلح ومنعه أهل مكة من دخول مكة في هذا العام، تحيرت

١٦١ صحيح مسلم والترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

كثير من قلوب المؤمنين، بل ارتابوا في هذا الأمر، وناهيك بعمر، وما أدراك ما عمر، يذهب إلى أبي بكر ﷺ فيقول: يا أبا بكر ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا، فيقول: بلى والله، فيقول: فلِمَ نرضى بالدنية في ديننا؟! وكان قد رأى في بعض شروط الصُلح اجحاف، فقال أبو بكر صاحب اليقين الأعظم: يا عمر الزم غرز هذا الرجل، هل أنبأك أننا سندخل مكة في هذا العام؟ قال: لا، قال: إذاً الزم غرزه ولا تحيد عنه قيد أنمُلة.

فكان هو الذي يثبِّت هذه القلوب التي ارتاعت مما رأته، وكانت طامعةً وآملةً في فضل الله أن يُعجل لهم الفرج ويدخلوا البيت طائفين في هذا العام.

أما يقينه الأعظم – وقد حكيناه سابقاً – عندما تزلزلت الأرض تحت أقدام المسلمين حين انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حتى أن عمر أخذ سيفه وقال: من قال إن مُحَمَّداً قد مات ضربتُ عنقه بسيفي هذا، فقال أبو بكر: اجلس يا عمر، فلم يجلس، قال: اجلس يا عمر، ثم قال: من كان يعبد مُحَمَّداً فإن مُحَمَّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ (١٤٤آل عمران)].

قال عمر: فلم تحملني قدميَّ فقعدتُ خائراً على الأرض، وكأني أسمع هذه الآية لأول مرة وحكى مثل قوله كثيرٌ من الصحب البررة الكرام.

فكان الصدِّيق ﷺ إمام أهل اليقين، بل بلغ الدرجة العُظمى من اليقين، فتجاوز علم اليقين وعين اليقين ووقع في حق اليقين على قدم سيد الأولين والآخرين ﷺ.

مقام التجريد

أما أحواله رضي الله تبارك وتعالى عنه التي أسَّسها لأهل الفناء، والتي من مشى عليها كان من كُمَّل الصالحين والأولياء، فأوَّلها تجريد الله تعالى بالقصد، فلم يكن له قصدٌ إلا مولاه، لأنه كان أعلم الناس بالله.

والعلماء أنواع، فهناك عالمٌ بالله، وهو يعلم صفات الله الذاتية، وعلامته خشية الله في قلبه، وارتجاف فؤاده على الدوام.

وعالمٌ بأسماء الله وصفاته، وهو المكاشف بما تفعله الأسماء والصفات في تسيير الكائنات.

وعالمٌ بأحكام الله، وهو العامل بالأحكام الشرعية النازلة في كتاب الله، والموضحة والمبينة في سُنَّة رسول الله ﷺ.

وعالمٌ بأيام الله، وهو الذي يعلم الأيام العُظمى التي يمر فيها كل عبد تقي نقي ويراها رأي العين، من يوم ألست بربكم إلى يوم الخلود.

وأعلاهم مقاماً العالم بالله، لأنه يخشى الله ويتقه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (٥٢النور).

علمه بالله

فأبو بكر ﷺ لعلمه بالله كان دائم الخوف من مولاه، حتى حُكي عنه من شدة خوفه من الله تبارك وتعالى أنه كان يخرج من جوفه رائحة كبد مشوية، مع أنه بُشِّر مراراً وتكراراً من البشير النذير، حتى أنه ﷺ كان من جملة دعائه له في الهجرة:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [١٦٢]

إلا أنه كان يقول:

((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدميَّ في الجنة)) .

بل كان يقول: ((ليتني كنت كبشاً ذبحني أهلي وأكلوني)).

هذا مقامٌ عظيم في التجريد، وتفريد التوحيد للحميد المجيد ..

فلا يرى لنفسه حولاً ولا طولاً، وتجاوز العوائق والعقبات التي يقع فيها كثير من الأكابر، فلا يقع في العُجب – أي الإعجاب بنفسه – ولا الزهو، ولا الفخر، وإنما كان دائماً يعلم قدر نفسه وقيمة نفسه.

وانظر إليه وهو يوجه ابنته السيدة عائشة ﵂ حيث تقول: لبستُ درعاً أعجبني،

١٦٢ الشريعة للآجري

فأخذتُ أنظر إليه، فدخل أبو بكر فرآني، فقال: يا عائشة من أُعجب بشيء من الدنيا لم يزل في مقت الله حتى ينزع عنه هذا الأمر، قالت: فخلعته وتصدقت به، قال: لعل الله بعد ذلك يغفر لك ويكفر عنك بتصدقك به.

وكان رضي الله تبارك وتعالى عنه داخلاً في بستان طيبٍ ذات مرة، فرأى طائراً يغرد على شجرة في البستان بصوت حسن، فقال: أيها الطائر إنك تُغرد بصوت شجي على خُضرة وتحتها ماء، وليس عليك يوم القيامة حساب، ليت أبا بكر يكون مثلك.

أي لا يكون له حساب، مع أن النبي بشَّره، والقرآن بشَّره، وبلَّغه الله الدرجة العُظمى في ميراث الحبيب حيث قال الله في شأن الحبيب: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) وقال في شأن الصدِّيق ﷺ: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (٢١الليل).

إذا كان هذا حاله، فهذا يُعطينا المثال الكامل لأهل الكمال؛ أنهم لا يرون لأنفسهم قولاً ولا فعلاً ولا عملاً ولا حالاً، بل يخافون من الله خوفاً يجعلهم يستصغرون كل هذه الأشياء في نظر رضا الله تبارك وتعالى عنهم.

هذا الحال جعله دائماً وأبداً يتجمل بالإخلاص، وبخالص الحب لله تبارك وتعالى، فيقول في الحب:

((من ذاق جرعةً من صافي طهور محبة الله، لم يلتفت نَفَساً إلى سواه))؟

ويقول رضي الله تبارك وتعالى عنه:

((لا خير في قول لا يُقصد به وجه الله، ولا خير في مال لا يُنفق في سبيل الله)).

ولو تتبعنا حياته الكريمة نجدها كلها تطبيقاً عملياً لهذه الحكمة العظيمة الرائعة التي ذكرناها، وبعد ذلك لا يسأل أحداً إلا الله ...

حتى كانوا يقولون: كنا نمشي معه في السفر فيسقط خطام ناقته – أي الحبل الذي تُجر به الناقة – فينيخها وينزل من على ظهرها ويأخذ حبلها، ثم يركبها وتنهض به مرة أُخرى، فيُقال له:

يا خليفة رسول الله هلاَّ أمرتنا فكفيناك هذا؟ فيقول: إن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا أسأل الناس شيئاً.

تـــواضعـه وهضمـه لـــنفـسه

كذلك كان يهضم حق نفسه وخاصة في المجتمعات، وهذا ما نراه في العارفين الكُمَّل في كل الأوقات، فعندما تولى الخلافة وصعد المنبر لأول مرة، قال:

((أيها الناس إني وُليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوموني)) ..

مع أنه بقول النبي والقرآن خيرهم وأعلاهم مقاماً ودرجةً وصُحبةً للنبي الكريم!.

ولما بلغ هذا الكلام الحسن البصري ﷺ فسره للحاضرين فقال:

إنه خيرهم ولكنه يهضم نفسه.

وقيل لرجل من التابعين الذين متَّع عينه برؤية أبي بكر، ... هل رأيت أبا بكر الصديق؟ قال:

نعم رأيته مَلَكاً في زي مسكين!

ويكفيه شرفاً وفخراً أن كان آخر كلامه من الدنيا كلام نبي الله يوسف الصديق: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف).

وقد طلب منهم أن يحملوه إلى حجرة النبي ويستأذنوه، فإن فُتح الباب من تلقاء نفسه يُدخلوه، وإن لم يُفتح الباب لا يُدخلوه ويردوه إلى مقابر المسلمين.

قال الحاضرون: فحملناه ولما وصلنا قلنا: إن أبا بكر يستأذن أن يكون مع صاحبه في القبر، وإذا بالباب يُفتح من غير أن نرى شيئاً، وسمعنا قائلاً يقول ولا نراه: أدخلوا الحبيب على حبيبه.

فرضي الله تبارك وتعالى عن الصدّيق، نعم الرفيق، أول من ذلَّل للخلق إلى الله بعد النبي الطريق، وكان عليهم شفوقٌ وعطوف.

اللهم اسلك بنا سبيله، وانهج بنا على نهجه، واجعلنا على قدمه أجمعين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المجلس الحادي والعشرون

إمام أهل الجذب عمر بن الخطاب

حال الجذب

دوره في إظهاره الدعوة

هجرته

جمالات أهل الفناء

مقام الإلهام

نزول القرآن على رأيه

حفظه من الشيطان

مقام المحادثة

براءة موسى كليم الله

خطابه للحجر الأسعد

كتابه لنيل مصر

نداؤه سارية الجبل

زلزال المدينة

إمام أهل الجذب عمر بن الخطاب ﷺ[١٦٣]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي وفَّق وأعان، ويسَّر لنا الأسباب، وطوى لنا الزمان والمكان، ليجعلنا من أهل العيان، نسأل الله أن نكون في زمرتهم في الدنيا وفي معية النبي العدنان ﷺ.

انتهينا من الحديث عن الرجل الذي تمكن في مقام الصديقية، وكان الرجل الأكمل في مقام الفناء والبقاء، وكان صاحب مقام الكمال بعد سيد أهل الكمالات ﷺ، سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ.

ونتحدث عن نموذج آخر من أهل الفناء، ذاكم هو سيدنا عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه.

حال الجذب

وعمر ﷺ إمام أهل الجذب، فإسلامة كان جذبة من الله واتته في أقل من لمح البصر غيَّرت كل أطواره الظاهرة والباطنة، لأنه كان استجابة من الله لدعوة حبيب الله ومصطفاه ﷺ عندما دعا الله فقال:

{ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ }[١٦٤]

لأنهما كانا أشد الناس في قريش ايذاءاً المسلمين الأولين، فاستجاب الله تبارك وتعالى له في الوقت والحين، وشرح الله تبارك وتعالى لعمر صدره للإسلام، وملأ قلبه بأنوار الإيمان في الوقت والحال، وأصبح في نَفَسٍ وأقل من أهل العيان وأهل الكشف الذين يعاينون ملكوت السماوات والأرض، ويُكاشَفون بما لا تراه العيون، وانطبق عليه الأثر الوارد عن سلفنا الصالح حيث يقولون:

((جذبة من جذبات الحق، توازي عمل الثقلين).

---

١٦٣ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٥ من ذي القعدة ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٧/١٦م

١٦٤ سنن الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

يعني لو الإنسان جَذَبَه الحق بجذبة من جذباته الإلهية، كانت أفضل من عمل الجن والإنس – أو أهل الملك وأهل الملكوت في التفسير الآخر – عبادةً وطاعةً لله ﷻ.

وليس معنى ذلك أن نطلب الجذبة، فقد قال الإمام أبو العزائم رضي الله تبارك وتعالى عنه:

((الجذبة تمناها كبار الأولياء، ولكن الله ارتضى لكُمَّل أوليائه أن لا يصلوا إليه إلا بطريق المجاهدة))

لأن الإنسان لا يشعر فيها ولا أثناءها بحرٍ ولا بردٍ ولا همٍ ولا غمٍ، بل ولا ليل ولا نهار، لأنه معاينٌ للحق ﷻ وأسراره وأنوار أسمائه وصفاته أطراف الليل وآناء النهار.

دوره في إظهاره الدعوة

والجذبة لم يتمناها عمر، ولكن طلبها سيدنا رسول الله ﷺ من الله فأصابت عمر، فاختطفته العناية الإلهية، وكان مجذوباً بالكلية، وقد ذكرنا من قبل أنه بعد أن نطق بالشهادتين في حضرة رسول الله ﷺ – وذاكم دليلنا على جذبته الإلهية – قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا وَأَنَا فِي الآخَرِ لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا }[١٦٥]

وكأنه لا يبالي بهؤلاء الأقوام ولا يعيرهم لفتةً ولا طرفة، لأنه لا يرى إلا أنوار الحق ﷻ منبلجةً في الأكوان.

والرسول ﷺ يعلم منه ذلك، ولذلك أطاعه في ذلك، فخرج مع المسلمين في صفين، الصف الأول في مقدمته حمزة بن عبد المطلب، وعلى مقدمة الصف الثاني عمر

١٦٥ دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

بن الخطاب، حتى وصلا والرسول في وسطهم إلى بيت الله الحرام، فأخذ الكفار ينظرون إليهم، وفي أعينهم كآبة، وفي وجوههم عُبوس ولا يستطيعون أن يخفون ذلك، ولم يستطيعوا أن يؤذوهم.

هـجـرتــه

وقلنا كذلك أنه الوحيد الذي هدَّدهم عند هجرته، وهم جمعٌ وهو فردٌ، وأخذ معه في هجرته أربعين رجلاً من ضعفاء المؤمنين، وهاجر بهم ولم يستطيع أي فارس هُمام من فرسان الكافرين أن يقترب منهم، أو أن يذهب إليهم، لأنه صاحب الجذبة الأولى للحق ﷻ، وجذبته كانت طلباً من الله ﷻ، واستجابة منه لحبيبه ومصطفاه ﷺ.

ظلت هذه الأنوار تتلألأ في قلب عمر، وتذيب كل شيء فيه، حتى تحقق له تمام الفناء في خالقه وباريه ﷻ.

وأهل الفناء، أو أهل الفناء الذين يصلون إلى مقام البقاء، يستوون في أمر؛ أنهم جميعاً يأخذهم الله ويعينهم على المجاهدة التي بعدها المشاهدة، فيرجعون إلى أصلهم الأول وهم يتفكرون ويتدبرون بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فيرجع إلى أصله الأول وهو التراب، ثم يرجع إلى أصله الثاني وهو الماء المهين، ثم يرجع إلى أصله الثالث وهو العدم البحت.

يعني يرى نفسه تراب – وهذه الرؤيا حالة يعيشها هذا الصنف لا نُحسن التعبير عنها إلا بقدر لأنها تحتاج إلى المعايشة وليست إلى المدارسة – يشعر بأنه ترابٌ، والتراب كما نرى لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم وليس فيه حياة، فيرى أن ما له في خلافة الله له في الأرض؛ في أرض نفسه هو التراب، وكل ما زاد عن التراب فهو جمالات من رب الأرباب ﷻ، فيقول لنفسه:

أكنــت ســميعاً أم بصــيرا وعالمــاً ولكننـــــي أنعمـــــتُ بالمـــــدرار

فيرى أن كل ما زاد عن التراب، فإنه يرجع إلى الكريم الوهاب، فيرد الأمانات إلى أهلها، ولا يأكل من هذه وينسبها إلى نفسه، بل ينسب كل الصفات الطيبة، وكل السمات الحسنة فيه إلى خالقه وباريه ﷻ.

بعد ذلك يجاهد حتى يرجع إلى الأصل الثاني:

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (المرسلات) وسُمي ماءٌ مهين لأن الإنسان يهينه، ولا يهتم به ولا يقوم بشأنه، ولا يحاول جاهداً أن يحتفظ به، بل يتخلص منه فوراً.

والماء المهين كذلك كالتراب وكالطين، كل ذلك ليس فيه شيء من جمالات رب العالمين، فيخاطب نفسه قائلاً:

سـمـوٌّ بعـد أسـفل سـافلين عجيـب سـر رب العـالمين

فيعلم أن كل ما زاد فيه عن التراب والماء المهين، هي أماناتٌ إلهية استودعها فيه رب العالمين، وعليه حفظ هذه الأمانات، ومراعاة العمل فيها بمراد الله ﷻ لا بمراده ..

وهذا حالٌ عَليٌّ، يكفينا هذه الإشارة إليه لكل لبيب فطنٍ ذكيٍّ ألمعيٍّ.

ثم يرجع بعد ذلك إلى الأصل الأول:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان١)

لم يكن شيئاً، وسيصير لا شيء، يقول من وصل إلى هذا المقام إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

علمـتُ أنـي كنـت لا شـيء فصرتُ لا شيء في نفسي وفي كلي
بـه تنـزَّه صـرتُ الآن موجـوداً بـه وجـودي وإمـدادي بـه حـولي
ومـن أنـا؟ عـدمٌ الله جملنـي فصـرتُ صـورته العُليـا بـلا ميـل

جمالات أهل الفناء

إذا وصل إلى هذا المقام ورأى نفسه لا شي..:

جمَّله الله بصفاته ..

وجمَّله الله ﷻ بكمالاته، ..

فظهر بين الناس مُجملاً بالجمال الذي كساه له رب الناس، والذي يقول فيه في حديثه القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[١٦٦]

فيستمد قواه من القوى الإلهية ..

وحوله وطوله من حول الله وطول الله جل في عُلاه.

يقول سيدنا عمر ﷺ وأرضاه وهو يتحدث عن نفسه في جهاده لهذه المقامات:
((ليتني كنت كبشاً استسمنني أهلي، ثم ذبحوني فأكلوني فلم يُبقوا مني شيئاً)).

وكان أحياناً يأخذ التبنة من الأرض ويقول:

((ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أُخلق، ليت أُمي لم تلدني،
ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً، ليتني كنت نسياً منسياً)).

مقام الإلهام

فلما أكرمه الله تبارك وتعالى بهذا المقام الكريم، جمَّله بصفاته، وكمَّله بهباته، ولذلك قال فيه الحبيب المصطفى ﷺ واصفاً له وهو في هذا المقام:

{ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ }[١٦٧]

فكان ينطق بما يريده الله وهو على الأرض مع الحبيب المصطفى وأصحابه البررة الكرام، وكان القرآن الكريم ينزل موافقاً على رأيه، لأن رأيه ليس من عنده، وإنما يأتي له الهاماً له مباشراً من حضرة الله تبارك وتعالى، ولذلك كان يقول:

{ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ الْمَقَامَ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" وَقُلْتُ:

١٦٦ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
١٦٧ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما

لَوْ حَجَبْتَ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ فَاسْتَقْرَيْتُهُنَّ أَقُولُ لَهُنَّ: لَتَكُفُّنَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ لَيُبْدِلَنَّهُ اللَّهُ بِكُنَّ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: يَا عُمَرُ أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ، فَكَفَفْتُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: "عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ" }[١٦٨]

نزول القرآن على رأيه

كذلك رأيه في أسرى بدر، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ:

{ مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ

١٦٨ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أنس ﷺ

ﷻ: ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)) إِلَى قَوْلِهِ: ((فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا)) فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ }[١٦٩]

فنزل القرآن على رأي سيدنا عمر ...

ورأي عمر من الله ..

ورأي النبي كذلك ﷺ من الله ..

لأن النبي كان يعلم أن الله يخيّره في كل أمر، وله أن يختار، لا تجري عليه الأقدار إلا بما يختار ...

لأنه ليس كأحد من البشر تجري عليه الأقدار بدون اختيار، لأنه رسول الله ﷺ.

فكان عمر ينزل القرآن الكريم على رأيه الذي اختاره، لأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، أي ينطق لسانه بما في قلبه، وقلبه يتلقى في الوقت والحال من ربه تبارك وتعالى مباشرة، ولا غرو فهو رجل ليس للشيطان ظاهراً أو باطناً عليه سلطان.

حفظه من الشيطان

فقد تغلب على نفسه بالجهاد، وبصفوة اختيار الله واصطفاء الله:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ (١٧٨الحج)

تنطبق على هذا الرجل الكريم، والله ﷻ حفظه حفظاً تاماً من الشيطان ..

حتى قال ﷺ له:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا سَلَكْتَ فَجًّا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا سِوَاهُ }[١٧٠]

يعني حتى أن الشيطان في الظاهر يهرب من الطريق الذي يسير فيه .. إن كان شياطين الإنس أو شياطين الجن، فجعله الله فاروقاً لأنه فرَق به بين الحق والباطل.

---

١٦٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٧٠ مصنف ابن أبي شيبة

مقام المحادثة

وكان نتيجة ذلك أن الله أفاض عليه بميزة خصَّ بها كُمَّل الأنبياء السابقين، فخصَّه بالمحادثة التي خصَّ بها كليم الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وفيه يقول ﷺ:

{ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ } [١٧١]

والمحدَّث يعني المُلهم الذي يُلْهَم بالحديث مع كل الكائنات، ويحدِّثها ويفقه قولها وتفقه قوله وخطابه.

براءة موسى كليم الله

فموسى عليه السلام عندما اتهمه قومه زوراً وبهتاناً لأنه كان شديد الحياء، وكان يُغطي جميع بدنه حتى وجهه فلا يُرى منه شيء، فاتهموه بأن به مرض كبَرَص أو غيره، ولذلك لا يكشف شيئاً من جسده.

ونزل يوماً – وكان يوم سوق – إلى نهر النيل ليغتسل فيه، وكان كعادة الأنبياء يغتسل من فوق قميصه، ولا يخلع إلا ثوبه، لأن الأنبياء لا يغتسلون عراة، وإنما يغتسلون من فوق الثياب:

فلما خرج – وكان قد وضع ثوبه على حجر – فإذا بالحجر يجري أمامه ناحية السوق، لأن الله يريد أن يُظهر براءته لقومه أجمعين.

فأمسك عصاه وأخذ يضرب بها الحجر ويقول: ثوبي حجر!!، يكلِّم الحجر ويطلب منه ثوبه!

حتى دخل به السوق، فرأوه القوم مليحاً وجميلاً وليس كهيئته هيئة بشر، وإنما كقمر صُنع في خِلقة بشر، من جماله وكماله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

١٧١ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

خطابه للحجر الأسعد

إذا كان حدث هذا المقام مع سيدنا موسى:

فإن الله أورثه لسيدنا عمر ﷺ وأرضاه:

فها هو عندمايحج بيت الله الحرام، ويقف أمام الحجر الأسعد ويقول مخاطباً له خطاب من يفقه ويفهم: إنك حجر – بكاف الخطاب – لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبلتك، فقال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه ليجلّي الأمر للحاضرين، وبعضهم كان في بداية اسلامه: إنه يضر وينفع بإذن الله يا أمير المؤمنين، ألا علمت أن الله حين أخذ العهد على الذرية في يوم ألستُ بربكم كتبه في كتاب، ثم ألقمه هذا الحجر، فهو يشهد لكل من استلمه أو قبَّله بالوفاء أمام الله يوم القيامة.

كتابه لنيل مصر

أما الأمر العجب العجاب ..

فعندما فتح عمرو بن العاص ﷺ بلدنا مصر، وجاءه أهل مصر بعد موسم الجفاف وقالوا: إن النيل لا يجري إلا إذا اخترنا فتاةً جميلة وحليناها بالذهب وأرضينا أهلها، ونصنع لها حبلاً عظيماً ونرميها في النيل حتى يأتي الماء، وإلا لا يأتي الماء أبداً!

فقال: انتظروا حتى أُرسل إلى عمر.

فأرسل إلى عمر، فقال ﷺ: أحسنت صُنعاً، ثم جاء بكتاب وكتبه وقال:

إذا وصلك كتابي هذا فاجمع قومك وهؤلاء الأقوام وارم الكتاب في النيل، ماذا كتب في هذا الكتاب؟

هذا عجب العجاب، كتب فيه:

((من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، إن كنت تجري من عندك، فلا حاجة لنا بك، وإن كنت تجري من عند الله، فسر بأمر الله ﷻ)).

فجمع عمرو بن العاص القوم، ورمى الورقة، وقيل: كانت حَجَراً، أو شُقافةً بلغتنا الدارجة ورماها في النيل.

ذكر المؤرخون في التاريخ أنه في اليوم التالي ارتفع النيل سبعة عشر ذراعاً من الماء ولم يكن فيه يومها ماء!

حتى نعلم في زماننا علم اليقين أن النيل يجري بأمر الله، لا بأمر الحبشة، ولا أهل الحبشة، ولا حكومة الحبشة، وإنما يجري بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

فالنيل يجري بأمر الله!

والخطاب الذي وجَّهه عمر للنيل كأنه خطابٌ لعاقل يقرأه ويفهمه.

وهذا من العجب العجاب الذي يقول فيه الله:

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ ﴾ (٥الرعد).

نداؤه سارية الجبل

كذلك قد حكيت لكم سابقاً قصته مع سارية الجبل، عندما نادى سارية وهو في بلاد فارس على مسافة أربعة آلاف كيلو متر، وأسمع الله سارية وجنده صوت عمر، وكان فيه النجاة، وفيه النصر من عند الله تبارك وتعالى.

زلزال المدينة

كذلك حدث زلزال في عصره في المدينة المنورة، فأمسك الدُرة وضرب بها الأرض، وقال لها:

((قِرّي واسكني فإني أعدل على ظهرك))

فامتثلت الأرض فوراً وسكنت في الحال.

أمورٌ كثيرة لا نستطيع حصرها من إلهام عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه ..

آخرها أنه بعد حجته الأخيرة كان يدعو ويقول:

((اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك)).

فسمعته ابنته السيدة حفصة زوجة النبي وأم المؤمنين، وقالت له:

كيف يكون ذلك؟! والشهادة لا تكون إلا في ميادين القتال؟

قال: سترون عن قريب!

وفعلاً لم تمر إلا أيامٌ معدودات وقُتل وهو ذاهبٌ إلى صلاة الفجر، ليأخذ مقام الشهادة، ويكون من الشهداء عند الله ..

لأن النبي ﷺ عندما كان على جبل أُحُد وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان، واهتَّز الجبل فرحاً بحضرة النبي وصحابته ...

فقال النبي ﷺ:

{ اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ }[١٧٢]

وصدق ﷺ، فقد مات عمر شهيداً ..

ثم مات عثمان بعده شهيداً ...

حتى نعلم أنه:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم).

ونكتفي بهذا القدر، في الحديث عن عمر بن الخطاب ﷺ، لأن الحديث عنه طويل، وأمجاده وخصائصه الفاضلة لا يستطيع أحدٌ استيعابها في كتاب ولا في كلام، ونحن نأخذ بعضاً أو نذراً يسيراً يدل على المقام الذي نحن فيه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٧٢ صحيح البخاري والترمذي عن أنس ﷺ

المجلس الثاني والعشرون

استحضار مشاهد الحج

أنواع الحج

الحج العام

مشاهد الآخرة

حج الخاصة

بين الرؤيا والحلم

استحضار مشاهد الحج[١٧٣]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم – الحمد لله الذي فرض الحجَّ علينا وعلى كل من اصطفاه واجتباه، وجعل الحج الأعظم هو الذي يُقصد به وجه الله، والصلاة والسلام على الحبيب الأعظم سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه ومن والاه.

لعل كثيراً من الناس كانوا يتمنون أداء فريضة الحج في عام الوباء هذا، ولكن نظراً لانتشار الوباء، ولأمور يعلمها رب الأرض والسماء، فقد اقتصر الحج هذا العام على قلة قليلة تلائم الظروف الحاضرة.

والذي كان ينوي الحج هذا العام، وربما جهَّز نفسه، وربما أصابته القرعة، قد يحزن، ولكننا معشر المؤمنين والمحسنين والموقنين حجنا دائم ومستمرٌ إلى رب العالمين سبحانه وتعالى.

أنواع الحج

كيف يكون ذلك؟ كلمة الحج معناها في اللغة القصد، فمن قصد زيارة بيت الله، فهو حاجٌّ – يعني قاصدٌ – لزيارة بيت الله تبارك وتعالى، وهذا يسمى الحج العام.

ولكن الخاصة يعقدون النية على زيارة الله تبارك وتعالى في بيته، وهذا حجٌ أعظم.

وخاصة الخاصة ينوون الحج، أي قصد رؤية وجه الله، والطواف بقلوبهم وأرواحهم وحقائقهم حول مجلى ذاته، وهذا هو الذي سماه الله الحج الأكبر.

الحج العام

أما الحج العام فهو انتقال الإنسان من بلدته التي يعيش فيها متوجهاً لزيارة بيت الله الحرام، وهذا يُغفر ذنبه، وتُضاعف له الحسنات أضعافاً مضاعفات، وفيها يقول ﷺ:

{ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ }[١٧٤]

---

١٧٣ الجميزة – السنطة – الغربية ٢ من ذي الحجة ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٧/٢٣م

ويقول ﷺ عن أعمال هذا الحاج:

{ وصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ } [١٧٥]

قال العلماء الأجلاء: ليست الصلاة فقط، ولكن التسبيحة بمائة ألف تسبيحة، والصدقة بمائة ألف صدقة، وختمة القرآن بمائة ألف ختمة، وهكذا كل عمل صالح يعمله المؤمن في هذه الأماكن المباركة يُضاف له بمائة ألف، ويُضاعف الله بعد ذلك لمن يشاء.

مشاهد الآخرة

على أن هذا الذي يقصد بيت الله، لا بد أن يُلاحظ أنه مسافرٌ كسفره إلى الدار الآخرة، ولا بد له من مشاهد، لأن الله قال في الحج:

﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ (١٢٨الحج).

وأعظم هذه المنافع التي تُشهد؛ أن يشهد المرء حكمة هذه العبادات التي يؤديها لمولاه تبارك وتعالى، فقد فصَّل الإمام الغزالي ﷺ في كتابه (إحياء علوم الدين) مشاهد هؤلاء الأقوام، فيشهد المرء عند خروجه من بيته خروجه من بيته إلى الدار الآخرة عند موته، ويشهد عند ركوبه للحج حمله على النعش إلى قبره، ويشهد عند غُسله للإحرام تغسيله عند موته، ويشهد عند خلع ملابسه عند غُسل الإحرام، خلع ملابسه لتغسيله عند موته، ويشهد عند التزيي بملابس الإحرام تكفينه بملابس لا خيط فيها ولا شيء فيها فيتشبَّه به.

ويُلبي نداء الله كأنه يسمع الله تبارك وتعالى يدعوه فيقول: لبيك اللهم لبيك، وكلمة لبيك يعني طاعة لك وإجابة، يعني أنا سأطيعك وأجيبك، فيستحضر الطاعة والإجابة لأنه لا يستطيع أن يتأخر عن طلب الله له، إذا جاء أجله:

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤الأعراف).

---

١٧٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١٧٥ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن جابر ﷺ

ويستحضر كذلك عند وصوله إلى البيت الحرام وطوافه بالبيت طوافه يوم القيامة في أرجاء الموقف العظيم، فيرجو رحمة الله، ويطلب الأمان من الله، ويبحث عن الشفعاء الذين يشفعون له عند مولاه، فيدعو الله سبحانه وتعالى دعاءاً حاراً من قلب وجل، ويُوقن أن الله ﷻ يستجيب دعاءه.

ويستحضر عند رُؤية الحجر أنه سيشهد له يوم القيامة عند الله بالوفاء، لقوله ﷺ:

{ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ بِهِ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ } [١٧٦]

يُبعث الحجر يوم القيامة وله عينان ولسان، يشهد لكل من استلمه أو أشار إليه بالوفاء عند الله تبارك وتعالى.

ويستحضر عند صلاة الركعتين خلف مقام سيدنا إبراهيم:

أن الله ﷻ استجاب له وأمَّنه لقوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (٩٧آل عمران)

أخذ الأمان من مولاه فيفرح.

ثم يتوجه إلى الصفا والمروة فرحاً مستبشراً فيتردد بينهما ويتذكر تردده بين كفتي الميزان، كفة الحسنات وكفة السيئات، يتردد بينهما والأعمال تنزل عليهما، وهو يرجو بقلبه رجاءً حاراً أن تكون كفة اليمين هي الراجحة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من الذين يلاقون الله بلا حساب، ويكونون من الذين يكشف لهم النقاب، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه في زُمرة الأحباب.

فإذا ذهب إلى عرفات:

ورأى الناس على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وصورهم وألسنتهم، لكنهم على هيئة واحدة لا يظهر تفاضل لأهل فضل، ولا تظهر ميزة لمن له ميزة كمنصب أو غيره في دنياه، فيتذكر الآخرة ويوم العرض على الله:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (١١٨الحاقة)

١٧٦ مسند أحمد والترمذي عن ابن عباس رضيالله عنهما

وفي هذا اليوم يرن في أُذنه قول الله:

{ أَلا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا، وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَقُولُوا: فُلانُ بْنُ فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بْنِ فُلانٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ }[١٧٧]

فيتذكر أن التقوى هي الأقوى، إن كان في الدنيا فهي حلَّالة المشكلات، وفكَّاكة المعضلات لقول الله في محكم الآيات: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق).

أما في الآخرة: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (١٣الحجرات) لم يقُل: إن أكرمكم عند الله التقي، لأنه لو قيل ذلك لكانت التقوى منزلةٌ واحدة، يتساوى فيها الأتقياء أجمعين، لكن ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ بصيغة المبالغة، أي أن التقوى درجات، والأتقياء كما قال الله: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ (١٦٣آل عمران).

فيجتهد الإنسان في تقوى الله، لعله يكون في الدرجة الأعلى التي يقول فيها الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل).

فإذا نزل إلى منى:

استحضر العوائق التي تعوقه عن طريق الله، وعن طاعة مولاه، وعن العمل النافع له في أُخراه من الشهوات والأهواء والحظوظ والملذات والدنيا وغيرها من الفتن، فيجمعها مع جمع الحصوات، يجمعها من نفسه، ويقذف بها الشيطان، أي يُخرجها من قلبه حتى يتبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من كل ما يباعد بينه وبين طاعته، ومن كل ما يصرفه عن العمل لأجل دخول جنته، فإذا قال ذلك تيقَّن أن الذي يُوسوس له ويُزين له ذلك هو نفسه التي بين جنبيه، فيذبح هديه، ويذبح معه نفسه التي بين جنبيه، حتى يدخل في قول الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

هذه بعض اللمحات التي يستحضرها المؤمن والمسلم من مشاهد الحج إلى بيت الله الحرام عند توجهه لزيارة بيت الله تبارك وتعالى.

[١٧٧] معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ

حج الخاصة

أما أهل الخصوصية فإنهم يقصدون زيارة الله تبارك وتعالى في بيته، وفي ذلك يقول سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ:

((حججتُ ثلاث مرات، حججتُ في المرة الأولى فرأيت البيت ولم أر رب البيت، وحججتُ في المرة الثانية فرأيتُ البيت ورب البيت، وحججتُ في المرة الثالثة فرأيتُ رب البيت ولم أر البيت)).

هؤلاء يعلمون أنهم ذاهبون لزيارة الله في بيته!

والزائر لا بد أن يشهد جمال صاحب البيت في تجلياته وأسمائه وصفاته، وفي أنواره تبارك وتعالى المنبثَّة في كل كائناته، بل وفي كل مخلوقاته، فيُطهر الإنسان منهم قلبه بالكلية، فإذا نوى الحج فقد يأتيه نداءاً خفياً أو نداءاً جلياً.

فقد يأتيه النداء للحج عن طريق المنام، بأن يرى في منامه بُشرى يُوقن بعد القيام من النوم أنها دعوة لزيارة الله في بيت الله الحرام، يرى أنه ذهب إلى البيت ويطوف به رؤية كأنها واقع.

بين الرؤيا والحلم

وأُنوِّه في هذا المقام إلى أن كثيراً من الأحباب يمشون وراء الأوهام، فيتوهمون أشياءاً في المنام ويظنون أنها حقيقة واقعة، وأنها رؤيا صادقة صالحة، ويستفتوننا فيها !!

ولم يرد لنا منها من عالم الرؤيا شيء، فنعلم أنها من عالم الخيال والأوهام، ولو قلنا ذلك يحزن، وما الداعي إلى الحُزن ما دمت صادقاً مع الله، وتريد أن ترى الحقائق الجلية التي لا مرية فيها ولا شك فيها مع الله؟!.

فقد رأى الصالحون حقائق بأعين الحس الظاهرة، ولكنهم علموا أنها من الشيطان، فلم يقبلوها، هذا سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ عندما رأى الشيطان متمثلاً له على هيئة نور من السماء إلى الأرض وهو في خلوته، وقال: عبدي عبد القادر لقد أبحتُ لك

المحرمات، فقال: اخسأ يا ملعون!

فتحول النور إلى دخان، فقال له: كيف عرفتني؟ قال: لأن الله لم يُحرم شيئاً على لسان نبي، ويبيحه لولي!

قال الشيطان: نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك، ولقد خرجَّت قبلك سبعين رجلاً من الصالحين بهذه الطريقة.

والشيخ أبو عسكر من بلاد المطاعنة في إسنا محافظة الأقصر، وقد كان موته من فترة قريبة، دخل إلى القبلة في صلاة الفجر فوجد مكتوباً فيها بالنور: لا إله إلا الله أبو عسكر ولي الله، فقال: اخسأ يا ملعون، وهل هذا شيء يُرى بالعين؟!

أي أن النور لا يُرى بعين الرأس ولكن بعين القلب!

فما تراه عين الرأس إنما هي خيالات من عالم الوهم، أو من عالم الخيال، بعد أن تدخل فيه النفس أو يُزينه الشيطان.

فإذا رأى الإنسان رؤيا صادقة بأنه ذهب إلى هذه الأماكن، والرؤيا الصادقة علامتها أن الإنسان يصحو من المنام ولا يريد أن يستيقظ، وكأنه يعيش في حقيقة واقعة، حتى لو أيقظه إنسان ربما يعاتبه، ويقول له: لِمَ لم تتركني أتمتع بما أراه؟!، أو ربما يرى النبي ﷺ يدعوه لزيارته وإلى حجّ بيت الله الحرام، أو يرى شبيهاً بهذا نفراً من الملائكة، أو قبساً من الأرواح الصالحة الصافية السابقة، وكل هذا قد يكون.

وقد تكون الرؤيا لأهل الجلاء البصري ظاهرةٌ شهوديةٌ عينية، ويسمعها بأذن قلبه بعد صفاء سريرته، وفي ذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

أُلبيـــه ســـماعاً حـــين يـــدعو فأســـمعه أُلبـــي بالشـــجون

منهم من يسمع سيدنا إبراهيم عندما وقف على البيت أو جبل أبي قبيس، أو على حجر البيت على اختلاف الروايات، قال ﷺ:

{ لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيم مِنْ بِنَاء الْبَيْت قِيلَ لَهُ: أَذِّنْ فِي النَّاس بِالْحَجِّ، قَالَ: رَبّ وَمَا يَبْلُغ صَوْتِي؟ قَالَ: أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغ! فَنَادَى إِبْرَاهِيم: أَيّهَا النَّاس كُتِبَ عَلَيْكُمْ

الْحَجّ إِلَى الْبَيْت الْعَتِيق فَحُجُّوا! قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض, أَفَلَا تَرَى النَّاس يَجِيئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْض يُلَبُّونَ }[١٧٨]

أخرج الله الأرواح من مستقرها، والأجنة من بطونها، وكلهم قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، فمن لبَّى مرة حجَّ مرة، ومن لبَّى مرتين حجَّ مرتين، ومن زاد على ذلك فبحساب ذلك.

فمن أهل الخصوصية من يحضر هذا المشهد ويعيش فيه بأمر من خالقه وباريه، ويسمع النداء من أبي الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ومنهم من يسمع النداء من حضرة الحبيب المصطفى ﷺ، وهو يقول:

{ حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لَا تَحُجُّوا }[١٧٩]

ومنهم من يسمع النداء من حضرة الرحمن تبارك وتعالى، ويحدوه مشهد:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج)

ويرى الحوار الذي كرره النبي المختار عندما قال: إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال رب العزة تبارك وتعالى:

{ أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغ }[١٨٠]

فالله هو الذي يُبلِّغ صوته، وهو الذي يُعد أهل البلاغ لأداء ما بُلغوا به، فله الحمد في الأولى والآخرة، وهو على كل شيء قدير.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبلِّغنا الحج الأكبر والحج الأعظم، وأن يجعلنا من الذين يتمتعون بهذه المشاهد، ولا تغيب عنهم أنوارها طرفة عينٍ ولا أقل.

---

١٧٨ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٧٩ سنن الدار قطني عن أبي هريرة ﷺ
١٨٠ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

المجلس الثالث والعشرون

حج أهل خاصة الخاصة

البيت العتيق

حج أهل خاصة الخاصة [١٨١]

أهل خاصة الخاصة هم الذين يقصدون وجه الله، ولا يبغون به سواه، وهؤلاء سفرهم يكون بعد إحرامهم من الكونين، أي أنهم يخرجون من جميع ما يشغل النفس والقلب والروح في الكونين، شُغلاً بالله تبارك وتعالى وبذاته القدسية وأسمائه العلية.

هؤلاء يُحرِمون أي يُحرّمون كل ما حرَّمه الله، فيدخلون في قول الله في ملائكة الله: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم).

فإحرامهم تحريم كل ما حرَّم الله تبارك وتعالى علينا ظاهراً وباطناً، ظاهراً من المعاصي والذنوب التي نرتكبها بالجوارح، وباطناً من الخواطر الردية، والوساوس الخفية، التي تمنع القلب عن مشاهدة الأنوار العلية، والحضرات القدسية، وفيهم يقول الإمام أبو العزائم ﷺ موضحاً سفرهم:

منـي أسـافر لا مـن كـوني الـداني ... أفـردتُ ربـي لا حـورٍ وولـدان
وجهـت وجهـي لله العلـي ولـي ... شـوق شـديد إلـى فضـل ورضـوان
قلبـي يـرى فـي مقـام خليـل حضـرته ... أنـوار مقتـدر بـر وديـان

يسافر من الأكوان إلى مكون الأكوان، وأول الأكوان كون نفسه، فيخرج من الأكوان المحيطة، والأكوان الذاتية له إلى حضرة المكون تبارك وتعالى.

هذا السفر الإلهي المعنوي النوراني يكون بعد جهاد الإنسان الأكمل لنفسه في ذات الله، وكمال تخلصه من حظه وهواه، ولا يبقى له أمام نظر باطنه وأمام عين قلبه إلا وجه الله، أو أسماء الله تجلى في عُلاه، أو حضرة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

وفي هذا المشهد العلي ... فإن هؤلاء الطلاب؛ ... طلاب الوجه الجلي، يعملون بقول الله ﷻ:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (١٩٧البقرة).

لا يبيحون لأنفسهم الرفث، يعني الحديث عن الشهوات وخاصة عن النساء،

١٨١ الجميزة – السنطة – الغربية ٩ من ذي الحجة ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٧/٣٠م

ولا يبيحون لأنفسهم مقاربة المعاصي أو الهم والتفكير فيها ولها، وينتهون عن الجدال بالكلية ظاهراً وباطناً.

فظاهراً لا يجادلون أحداً من خلق الله، لأن الجدال يولد الشحناء في النفوس، ويُثير الخصومات بين المتجادلين، وباطناً يسلمون لله ورسوله تسليماً كلياً، حتى يدخلوا في قول الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء) ومن فاز بالتسليم، فاز بكمال النعيم، وجمال حضرة الرءوف الرحيم ﷻ.

ويحرِّمون على أنفسهم صيد البر وصيد البحر، فصيد البر ما تصطاده الجوارح الظاهرة مما حولها في الآفاق، مما قد يدعوها إلى المخالفة أو إلى المعصية، والجوارح هي العين والأُذن واللسان واليدين والرجلين والفرج والبطن.

ويُحرِّمون صيد البحر؛ بحر الحقيقة، فلو عُرضت عليهم كل العطايا الإلهية في العوالم النورانية لا يلتفتون إليها، لأنهم لا يريدون ولا يبتغون إلا وجه الله تبارك وتعالى، حتى يكون لهم وراثة في قول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (١٣١طه).

فإذا تمَّت لهم معرفة نفوسهم، وقفوا على عرفات، وعرفات هنا الوقوف عليها يكون بعد معرفة النفس لما جاء في الأثر: ((من عرف نفسه فقد ربه)).

فإذا عرفوا أنفسهم عرفوا أنهم لا حول لهم ولا طول لهم إلا بالله، ولا قوة لهم على أي عمل إلا إذا أعانهم الله، فاستفرغوا الوُسعة في الدعاء لله أن يشملهم بعنايته، وأن يُحيطهم بمنه وجوده وكرامته، وأن لا يتخلى عنهم بحوله وطوله وحفظه وعنايته، وأن يكونوا دائماً وأبداً يقلبهم تبارك وتعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ (١٨الكهف) لا يشعرون بالدنيا ولا بما فيها ولا بمن فيها، لشغلهم بالله مُنشئها وخالقها وباريها.

فإذا عرفوا أنفسهم هذه المعرفة، والتي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

عرفات ختمٌ وهي بدء الإقتراب من بعدها أرمي جمار الإحتجاب

قرَّبهم الله ﷻ في المزدلفة إلى حضرة الزُلفى؛ حضرة القرب من الله ﷻ، فلما قرَّبهم به إليه، وأوقفهم بحبيبه ﷺ بين يديه، فتَّشوا في أنفسهم فجمعوا كل الحُجب التي تحجبهم عن مشاهدة وجه الله، وعن سماع خطاب الله، وعن التلذذ بمناجاة الله، فيجمعون جمرات الإحتجاب، ويرمونها عند مِنَى لتحقيق المُنى، ومِنى هي باب الدخول على حضرة الله.

فإذا أوقفهم على الباب، رموا كل جمرات الإحتجاب، وزيَّنهم الله عز وجل بزينة الصالحين والمتقين والأحباب وأُولي الألباب، بعد أن رموا كل هذه الجمرات، فيذبحون نفوسهم، ويحلقون أخلاقهم الذميمة.

عندها يأذن لهم بالطواف بحضرته، فطافت قلوبهم وأرواحهم برب البيت، بينما أجسادهم تطوف بالبيت، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

أطـــوف وحـــول مجـــلاه طـــوافي ورســـم البيـــت يُمحـــى بـــاليقين

بنور اليقين، المذكور في قول رب العالمين: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ (٥التكاثر) وفي قوله عز شأنه لهؤلاء الصالحين:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).

أطـــوف وحـــول مجـــلاه طـــوافي ورســـم البيـــت يُمحـــى بـــاليقين
وكيـــف تـــرى عيـــون الـــروح كونـــاً وتشـــهد حُســـن جنـــات وعـــين
ووجـــه مكـــون الأكـــوان حـــولي يُـــرى جهـــراً لكـــل فتـــىً مكـــين

كيف يكون هذا الطواف؟ يُعطي الله ﷻ لأهل هذا المقام بعد فنائهم عن ذواتهم وأوصافهم أوصافه العلية فيتجملون بها في الوقت والحال.

أطـــوف حـــوالي كعبـــة الأرواح بســـبع صـــفاتٍ مـــن ضـــيا مصـــباح

فيتفضل الله عليهم بصفاته العلية، فتطوف صفات الله المنبلجة فيهم، حول أنوار الله تبارك وتعالى الذاتية، بلا كمٍّ ولا كيفٍ ولكن بأنوارٍ تعالت معنوية.

فإذا حظوا بهذا المقام، ذهبوا إلى مقام الصفاء الأولي في يوم ألستُ بربكم، فوقفوا

على الصفا، ثم يتذكرون ما فُعل بهم عندما نزلوا إلى دار الجفا، وهم إنما نزلوا فيها للوفا، فيترددون بين صفاء الصفا، ومروة الوفاء بما أمر به الله على لسان المصطفى، حتى يتحقق لهم كمال الصفاء، وتمتلئ كل حقائقهم الباطنة بالنور والعظمة والجمال والبهاء، فيكشف الله تبارك وتعالى لهم عن حقيقة قلوبهم، فيرون الفارق بين الكعبة التي بناها إبراهيم، والبيت الذي بناه الجليل وهو القلب التقي النقي.

فيشهدون في قلوبهم حقائق لا تكشفها الألسنة، وتتوه عندها الأفئدة، يقول فيها سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه: ((السماوات والأراضين ومن فيهن، بل والعرش والكرسي وكل عوالم الله، لا تملأ زاوية من ثلاثمائة وستين زاوية، من زوايا القلب التقي النقي، الذي اصطفاه وطهره مولاه تبارك وتعالى)).

فيرجعون بأجسادهم إلى بلادهم ودورهم، ومعهم قلوبهم يشاهدون فيها ما لا يراه المشاهدون، ولا يستطيع أن يصل إليه كمَّل المقربون، بما أباح الله لهم فيها من مشاهد جمالاته وأنواره القدسية العلية.

هذا هو حجُّ أهل خاصة الخاصة، وقد ألمح الإمام أبو العزائم ﷺ إلى هذه الرحلة المباركة والسفر المعنوي إلى الله فقال:

عرفات ختم وهي بدء الإقتراب ... من بعدها أرمي جمار الإحتجاب
فأفر بعد شهودها متشوقاً ... فجمعت في جمعي لأفني في الرحاب
فأبيت مزدلفا لزلفي حظوتي ... فأشهد الفجر المضئ بلا سحاب
وبها جمعت جمار حجبي والهوي ... ورميتها في عقبة بالإنتساب
فأحل بالإطلاق من حظ ومن ... رتب الوجود ومن رآني عنه غاب
ونحرت هديي بعد رمي ظلامتي ... بيقين حق بعد فهمي للخطاب
وذبحت نفسي وهي لي أمارة ... متقرباً من بعد نحري بالمتاب
وحلقت أخلاقي الذميمة موقناً ... بحقيقتي أني ابتداء من تراب
فألاح لي وجهاً علياً مشرقاً ... فجذبت ولهانا إلي رشف الشراب
لزيارة ربي تنزه ظاهراً ... متنزلاً في بيته العالي المهاب
وبه أطوف مقبلاً رمز الهدى ... وهي اليمين ظهوره لا بارتياب

فيفك رمز حقيقتي في طوفتي ... ويلوح لي الوجه العلي بلا نقاب
وإلي مني عودي لبدئي أشرقت ... بتنزل المعطي لقد صح المتاب
وبها مقاماتي رميت بسبعة ... وتمامها السبعون حسنى في المآب
وهي الحجارة رمز كنز حقيقتي ... ولقد رميت أنا بأحجار الهضاب
فشهدت أسماء الجمال بعدها ... وإلي الوصال برمي نفسي ثم طاب
فدخلت في الإطلاق حلي رحلتي ... وبها فإحرامي استتاري بالسحاب
وأحل لي سعي إليه فصح لي ... نسبي القريب أنا العبيد ولا اغتراب
فقربت منه به بقرب قربة ... وشهدتني العبد المولى للجناب
وحججته من بعد حجي بيته ... وتركت تركي كيف ميلي للثواب

أما الذين اصطفاهم واجتباهم الله بذاته إلى ذاته، وتولى بذاته إحرامهم وتجهيزهم، فهؤلاء ليس لنا عنهم كلام، وإنما نسأل الله تبارك وتعالى أن يُذيقنا من إشاراتهم ما لا عنه نُلام، والله ﷻ ينفعنا ويرفعنا ببركة حبيبه المصطفى الصلاة وأتم السلام.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

البيت العتيق

سؤال: ما معنى قول الإمام أبو العزائم ﷺ في إحدى حكمه:

البيت العتيق هو من عُتق أن يكون له إلهٌ من حظ أو هوى؟

يقصد بالبيت بيت الله!

- فهناك بيتٌ بناه إبراهيم الخليل.
- وهناك بيتٌ بناه الجليل.
  - البيت الذي بناه الخليل هو الكعبة المشرفة.
  - والبيت الذي بناه الجليل هو القلب التقي النقي الذي حافظ الله وحفظه على صفائه ونقائه، وملأه بأنوار جماله وبهائه، والأثر يقول في

ذلك:

((لم تسعني سماواتي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)).

فالبيت الذي لم يعد للهوى نصيبٌ فيه ...

ولا للحظ والشهوات الدنية دخلٌ فيه ...

وأصبح حظه هو الحظ العظيم الذي يقول فيه المولى الكريم:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥فصلت)

والحظ العظيم هنا هو .... مشاهدة وجه الله، ... ومشاهدة أنوار الله، ... ومجاورة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

وأصبح هذا القلب كل شهوته في ذكر الله، وفي لقاء أحباب الله، وفي الإئتناس برؤية رسول الله، وفي السياحة في ملكوت الله، فأصبحت حقائقه العلية هي المهيمنة عليه، فأُعتق من الدنيا وخدمتها، وأُعتق من النفس ووسوستها، وأُعتق من الجوارح وزلاتها، وأُعتق من الناس وتلبيسهم وتدليسهم، وأصبح عبداً لله حراً مما سواه. ... وهذه هي تلبية رسول الله التي كان يلبيها بذاته عند حجة الوداع، فقد كان ﷺ يقول:

{ لبَّيْكَ حَجًّا حَقًّاً تَعَبُّدًا ورِقًّاً }[١٨٢]

تعبداً لله، ورقاً لله، لأنه أصبح حراً مما سواه ﷺ.

فهذا هو البيت الذي أعتقه الله ﷻ من كل شيء سواه، ولم يعد لأحدٍ سلطانٌ عليه، إلا لحضرة الله تبارك وتعالى.

نسأل الله أن يجمّلنا بهذا الجمال أجمعين، وأن ندخل في معية هؤلاء الكُمَّل، ونكون معهم في الدنيا ويوم الدين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٨٢ سنن الدار قطني عن أنس ﷺ

المجلس الرابع والعشرون

طريق معرفة الله

الولاية والكرامات

الفناء

صفات الولي

ترك التدبير

طريق معرفة الله[١]

في موجزٍ نُلخص فيه تقريباً أغلب ما ذكرناه عن معرفة الله عند أهل الفناء ، ونُسميه (طريق معرفة الله).

ومعرفة الله ﷻ التي نقصدها هي المعرفة الشهودية العينية التي يصل فيها العبد إلى شهود الحق تعالى، وجمالات أسمائه، وكمالات صفاته على قدره لا على قدر الله، فإن قدر الله لا يقدره أحد: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ (١٧٤الحج).

أما المعرفة الفكرية فهذه لعامة المؤمنين، بل ربما تكون للخلق أجمعين عن طريق التفكر في الأنفس، والتفكر في الآفاق، والنظر إلى المخلوقات والكائنات نظرة اعتبار وتدبُّر ليهتدي بمعرفة الصنعة إلى الصانع تبارك وتعالى، وهذه تسمى معرفةٌ عقلية، أو معرفةٌ فكرية.

لكن المعرفة الشهودية التي لا يرضى إلا بها العارفون المخلصون، فهي التي نتحدث عنها، والوصول إليها باقتضاب شديد يقتضي من العبد ما يلي:

أولاً: العلم بشريعة الله تبارك وتعالى كاملة، ثم العمل بها والإلتزام بأحكامها بدون تردد ولا لين ولا اهتزاز ولا حيرة، وإنما بعزم أكيد، وتصميم شديد على العمل بشريعة الحميد المجيد تبارك وتعالى.

فالشريعة هي الأساس، والحقيقة هي ثمرة الشريعة التي يأخذها العبد إذا كَمَّله مولاه، وجعله من أهل الخصوصية والإختصاص.

ثانياً: إذا عمل بالشريعة المطهرة ينبغي عليه الاقتداء بهدي الحبيب، لأنه الهدي المصيب في تقربه إلى الله بأنواع القربات وبالسنن والنوافل التي كان يُحافظ عليها سيد الكائنات.

ثالثاً: إذا فعل ذلك يعلم علم اليقين أن الأمر كله موكولٌ إلى فضل الله تبارك وتعالى.

---

١ الجميزة – السنطة – الغربية ١٦ من ذي الحجة ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٨/٦م

فعلى العبد تجهيز نفسه، وليس عليه أن يجتلب بجهاده وعباداته وقرباته فضل ربه، لأن الفضل كما قال فيه الله: ... ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣آل عمران) وقال أيضاً في رحمة هؤلاء الأقوام: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٧٤آل عمران).

فهو يتعرض لفضل الله، ولا يستطيع أن يجلب الفضل إلا اختصاص مولاه، وإلا أن ينظر إليه بعين المنة، ويجعله من أهل قربه ورضاه تبارك وتعالى.

فلا يطالب العبد بعد القيام بالنوافل والقربات والعبادات هذه الكمالات وهذه المقامات، لأنه لا يستحقها ولا يصل إليها بعمله.

ويحضرني في هذا الوقت الكريم السائل الذي سأل الشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي ﷺ، وقال له: يا سيدي ما العمل الذي أعمله لأرى رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ مجيباً: ليس هناك عملٌ تُستجلَب به رؤية رسول الله، وإنما هي تفضلٌ من حضرته على من اختاره واجتباه مولاه واصطفاه لهذه الدرجة العُظمى بفضل الله وإكرام الله وعطاء الله وجدواه تبارك وتعالى.

رابعاً: يعلم العبد علم اليقين أن الأداة التي يصل بها إلى هذا المطلوب وهو شهود نور وجه الحبيب المحبوب، هي التي يقول فيها الله في كتاب الله موضحاً الأدوات التي يُحصِل بها الإنسان العلوم والحقائق، حيث يُحصِّل بالسمع من العلماء، وبالبصر بالتفكر في نفسه وفي الأرض وفي السماء، لكن التجليات الإلهية والأنوار العلية لا تظهر إلا للقلوب التقية النقية:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ (٣٦الإسراء).

فالقلب هو الوعاء الإلهي النوراني الذي يجعل الله فيه نوراً من نور ذاته، يُدرك العبد بما فيه من الأنوار الإلهية مشاهد الأسماء الإلهية والكمالات العظموتية لله تبارك وتعالى.

إذا علم ذلك أقبل على هذا القلب بالكلية، حتى لا يجعل فيه غير مولاه، ويفرغه من كل ما سواه:

فـــرغ القلـــب مـــن ســـوانا ترانـــا يـــا مريـــداً جمالنـــا وبهانـــا

لا بد من تفريغ القلب من كل الأغيار، ثم تتنزل فيه الأنوار، لتُهيئه لتجليات حضرة الله ﷻ، وهذا هو جهاد الإنسان في تصفية قلبه.

خامساً: تصفية القلب لا تتحقق إلا بعد كبح جماح النفس، وردها عن وساوسها ودسائسها ومخالفتها، لأنها كلها حُجبٌ تحجب القلب عن الأنوار، وعن مشاهدة هذه التجليات والأطوار، فيجاهد نفسه حتى ينال أُنسه، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: ((تجاوز نفسك، تنل أُنسك)).

الـولايـة والـكـرامـات

فإذا جاهد الإنسان نفسه، وصفَّى قلبه، أكرمه الله تبارك وتعالى بما أكرم به عباده الصالحين؛ أكرمه بولاية الله، وأكرمه بالكرامات التي تُثبت له أنه من المقربين عند الله إلى الكرام من خلق الله.

والولاية فضلٌ من الله، والكرامات أيضاً عطاءات من الله، فالولي الكامل لا يطلب الكرامة ولا يفتخر بها إذا جاءته، ولا يحكيها لمن حوله، بل كان سيدي أحمد الرفاعي ﷺ يقول لمريديه: ((لا يطلبنَّ أحدكم الكرامة، فإن الأولياء الكُمَّل يفرون من ذكر الكرامة، كما تفر المرأة من ذكر حيضتها إذا أتتها)).

لأنهم يعلمون أنها فضلٌ من الله، ولكنها قد تغُرهم، أو تغُر غيرهم، أو تضُرهم إذا وقفوا عندها وحُجبوا بها، أو تضر غيرهم إذا لم يُسلِّموا لهم الولاية إلا بها.

ولكن أكبر كرامة للصالحين وللكُمَّل من الأولياء المتمكنين هي الاستقامة، فالاستقامة خيرٌ من ألف كرامة.

وأكبر كرامة هي أن يعين الله العبد على طاعته، ويوفقه لذلك، ويحفظه من معاصيه ومن مخالفته، ويحوطه بعنايته، حتى لا يقع في شيء من ذلك، فإذا أراد الله إكرام عبد أنزل له التوفيق، وإذا أكرمه بالتوفيق، فنعم الرفيق الذي يسير به بسرعة البرق، ويجعله من كُمَّل أهل التحقيق إن شاء الله تبارك وتعالى.

الفناء

ولا يتم للعبد كمال الشهود، والوصول إلى هذه الحضرات الإلهية إلا بعد الفناء عن مراداته، فلا تبقى له إرادةٌ مع إرادة مولاه، ولا يبقى له شيء يتمناه إلا ما يريده له الله، ولا يهوى شيئاً إلا إذا تحقق أنه كان يهواه حبيب الله ومصطفاه.

فإذا فني عن إراداته ومات عن حظوظه وشهواته، هنا يحييه الحق بذاته، ويدخل في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١٢٢الأنعام).

ومن هنا قال أهل التحقيق: ((لا شهود إلا إذا وصل العبد لمقام الفناء)) لأنه إذا فني عن إراداته ومراداته، صار قائماً بالله باطناً، عبداً لله على نهج حبيبه ومصطفاه ظاهراً، فإذا كان عبداً لله، فإن الله يُكاشفه بما لا تراه عيناه الظاهرة، ولا يراه أحدٌ بحسه وعقله من خلق الله تبارك وتعالى.

صفات الولي

وهذا الولي يجعل الله له أوصافاً يراها فيه الخلق ليتحققوا بأنه مُجملٌ بجمال الحق، فإن الله عز وجل يُلبسه زينة العبودية، ويتجلَّى عليه بأثواب الكمالات الإلهية، وهي خشية الله، والتواضع لجميع خلق الله، والحب الذي لا يستطيع أحدٌ وصفه لحضرة الله، والزهد في كل مُتع الدنيا وشهواتها، بل إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يصير لها كبير أمر عنده، ويجعل الله له دعاءاً مستجاباً، فإذا دعا الله أجابه الله ﷻ.

وهنا أُنبه الأحباب إلى دقيقة خفية عند كثير من أتباع الصالحين، حيث يظن كثيرٌ منهم أن الرجل الصالح يفعل ما يريد، ويُعطي هذا، ويمنع هذا، ويدفع عن هذا، وله مطلق التصريف في كل أمور المريدين!، ولكن هذا التصريف يكون عن رب العالمين.

فالولي الكامل لا يفعل إلا بمراد الله، ولا يتحرك إلا عن إذن صريح من مولاه، ولا يفعل صغيرة ولا كبيرة إلا وهو يشهد فيها خالص التوحيد لحضرة مولاه، لأنه تبرأ من

نفسه، وتبرأ من كله، بل يرى نفسه عدماً، ويرى المُحرِّك له هو حضرة الله:

علمتُ نفسي أني كنت لا شيء فصرتُ لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنزَّه صرتُ الآن موجوداً به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا عدمٌ الله جملني فصرت صورته العليا بلا ميل

فالولي إذا تحقق بصدق المريد، يدعو مولاه، والإجابة على الله، والعطاء بمحض فضل الله، والكرامة هنا يجريها الله جل في عُلاه، لا يطلبها الولي، ولا يطلب تَنزُّلها الولي، وإنما دائماً وأبداً يقول كما قال موسى بن عمران: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٢٤القصص).

فهؤلاء الأحبة الذين يظنون أن الأمر في يد العارفين بكن فيكون، نقول لهم: هب أن رب الوجود أعطاك كن فيكون، هل يريد أن يكون في كونه غير ما يريد؟!! وهل تكون مؤدباً إذا طلبت أن يحدث في كونه غير ما يريد؟!!.

ترك التدبير

إن الولي الكامل يُسلِّم تسليماً كلياً لله، ولا يرضى حتى في نفسه ولا في غيره أن يحدث إلا ما يريد الله، ولذلك هؤلاء القوم ليس لهم تدبير، وإنما عبارتهم المشهورة في ذلك:

((التدبير تدمير)) ....

ويقولون:

لا تدبِّر لك أمراً فأُولي التدبير هلكى
حقِّق الأمر تجدنا نحن أولى بك منك

وليس معنى ترك التدبير ترك الأسباب، وإنما القيام بما ينبغي، وكما أمر الله في الكتاب، وكحال النبي والأصحاب في الأسباب، ولكنهم ينتظرون العطاء والفضل في هذه الأسباب من الكريم الوهاب تبارك وتعالى.

فكما أني أضع الزرع في الأرض، وأجتهد في حرثها وريّها وتسميدها ومكافحة آفاتها، ثم أنتظر ثمارها عطاءاً من الله.

فكذلك أنا أقوم بالعبادات والنوافل والقربات كما كان يقوم بها سيد السادات، ولكن لا أُعوِّل عليها في بلوغ المقامات والعطاءات، وإنما أنتظر فضل الله وإكرام الله، لأن هذه العبادات والنوافل والقربات لا تُوصِّل ولا تُحصِّل شيئاً من فضل الله، إلا إذا أراد الله تبارك وتعالى للعبد ذلك.

ومن هنا .....

فإن الولي يدعو الله، ويستسلم في الإجابة لما يريده الله، ونفسه لا تتغير نحو مولاه طرفة عين، فإن أبطأت الإجابة يعلم أن ذلك لحكمة يعلمها الله، وإن عُجِّلت الإجابة يعلم أن ذلك فضل الله، ويخشى في نفس الوقت أن يكون في هذه العجلة استدراجاً من الله سبحانه وتعالى:

وكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضي الموالي من مراد

فالعبودية الكاملة تقتضي أن العبد يأخذ بالأسباب، ولكنه يُوقن ايقاناً كاملاً أن العطاء من كنوز حضرة الوهاب تبارك وتعالى.

أسأل الله تبارك وتعالى ...

أن يبلِّغنا وإياكم هذه المقامات ...

وأن يُجمِلنا بهذه الأحوال والعطاءات والهبات ..

وأن يحفظ لنا مقام العبودية ..

وأن يجعلنا من خيار السائرين على خُطى وقدم سيد البرية.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

==========

تمَّ بحمد الله وتوفيقه فله الحمد والمنَّة من قبل ومن بعد

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ـ ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواضيع بالإنجليزية وكذا الكتب المترجمة والمواضيع.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ مساهمات الشيخ الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون: ومساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى. بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

١- خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :*جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[١٨٤]، جمع على من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات إذاعة القرآن الكريم و برنامج المجلة الإسلامية.

٤- إذاعة وسط الدلتا :* حديث الصباح * الأمسية الدينية.

٥- إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

٦- - إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و برنامج صفحات من نور و برنامج النورانيات و الإسلاميات.

٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله. * برنامج فى زمرة الرسول ﷺ و برنامج أحسن القصص

٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من برنامج واحة القلوب و حلقات برنامج المحبين و حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزالا مستمرأن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ برنامج "الصائمون يتسائلون.

٩- - القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من برنامج "السيرة العطرة". وبرنامج "آيات محكمات". برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا.

١٠- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من برنامج "لقاءات إيمانية".

١١- القناة الثقافية: برنامج "فتاوى على الهواء" و_برنامج أهل الذكر.

١٢-- القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

١٣-المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحيى الشيخ عديد المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.كما شارك الشيخ وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١٨٤ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيرى بالمقطم .

۞ قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ المطبوعة:
حتى ١٨ أغسطس ٢٠٢٠م، ست عشرة سلسلة تحوى: ١٢٨كتاب

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت
	سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٢		
٩٦	**تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)**	١	
١٠٢	**تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)**		
١٠٥	**تفسير آيات المقربين : (مجلد ١- ج٣)**	١	
١٠٨	**تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)**	١	
١١٢	**تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)**	١	
٤	**نفحات من نور القرآن : (مجلد ٢- ج ١)**	١	
	السلسلة رقم ٢: الفقــه: ١٠		
٥	**مائدة المسلم بين الدين و العلم**	٢	
٥٤	**مختصر زاد الحاج والمعتمر**	٢	
٧٢	**إكرام الله للأموات**	١	
١٠٠	**دلائل الفرح بالرحمة المهداة**	١	
١٢٦	**دروس رمضان والتراويح**	١	
	السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٢		
١٣	**إشراقات الإسراء ج ١**	٢	
٢٣	**الرحمة المهداة**	٢	
٣٥	**إشراقات الإسراء ج٢**	١	
٧٠	**ثانى اثنين**	١	
٨٧	**تجليات المعراج**	١	
١١٤	**خصائص النبى الخاتم ﷺ**	١	
	السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٧		
٣	**الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة**	١	
٤٥	**شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى**	٢	
٩٧	**الإمام أبو العزائم، سيرة حياة**	١	
	السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧		
٣٤	**كيف يحبُّك الله**	٤	
٥٠	**قضايا الشباب المعاصر**	١	
٧٥	**أمراض الأمة وبصيرة النبوة**	١	
	السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات : ٧		
١٧	**خطب شهر رجب والإسراء والمعراج**	١	
١٩	**خطب شهر رمضان و عيد الفطر**	١	
٢١	**خطب الهجرة ويوم عاشوراء**	١	
	سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١		
	السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٥		
٤٣	**المؤمنات القانتات**	٢	
٧٤	**الحب والجنس فى الإسلام.**	١	

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت
١٤	**نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)**	١	
٩١	**الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)**	١	
١٠٩	**تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)**	١	
٤٨	**أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام: (مجلد ٥)**	٣	
٩٣	**أسرار خلة إبراهيم عليه السلام:(مجلد ٥)**	١	
١٠٣	**حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)**	١	
٢	**زاد الحاج والمعتمر**	٣	
٥٢	**كيف تكون داعياً على بصيرة**	١	
٧١	**الصيام شريعة وحقيقة**	١	
٩٥	**صيام الأتقياء**	١	
١٠٤	**سنن الهدى**	١	
٧	**حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق**	٤	
٢٢	**الكمالات المحمدية**	٢	
٣٣	**واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ**	٢	
٦١	**السراج المنير**	١	
٨٥	**الجمال المحمدى ظاهره وباطنه**	١	
٩٠	**شرف شهر شعبان**	١	
١	**الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى**	٢	
٤١	**المربى الربانى السيد أحمد البدوى**	٢	
٥٩	**الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى**	٢	
١٠٧	**الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية**	١	
٢٦	**إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام**	٢	
٣٩	**كونوا قرآنا يمشى بين الناس**	٢	
٦٧	**بنو إسرائيل ووعد الآخرة**	١	
٩٢	**فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)**	١	
١٦	**خطب المولد النبوى**	١	
١٨	**خطب شهر شعبان و ليلة الغفران**	١	
٢٠	**الحج و عيد الأضحى**	١	
٥٥	**الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١**	٢	
٧٨	**الأشفية النبوية للعصر**	١	
٩	**تربية القرآن لجيل الإيمان**	١	
٤٤	**فتاوى جامعة للنساء**	٢	
١٠٦	**المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى**	١	

السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٢				٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين		٢
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١		٢٨	المجاهدة للصفاء و المشاهدة		٢
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١		٣١	رسالة الصالحين		١
٣٢	مراقى الصالحين	٢		٦٠	نوافل المقربين		١
٦٤	أحسن القول	١		٧٩	دعوة الشباب العصرية للاسلام		١
٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١		٨٩	مجالس تزكية النفوس ٢		١
١٢٥	همة المريد الصادق	١					
السلسة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧				٨	مفاتح الفرج		٦
١٥	أذكار الأبرار	١		٣٧	مختصر مفاتح الفرج		٥
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣		٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح		٢
٥٦	نيل التهانى بالورد القرآنى	١		٧٣	جامع الأذكار والأوراد		٢
السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٧				١٠	الصوفية و الحياة المعاصرة		١
١١	الصفاء والأصفياء	١		١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب		١
٢٩	الصوفية فى القرآن والسنة	٣		٣٦	المنهج الصوفى والحياة العصرية		١
٤٢	الولاية والأولياء	١		٤٩	موازين الصادقين		١
٥١	الفتح العرفانى	١		٥٣	النفس وصفها وتزكيتها		١
٥٨	سياحة العارفين	١		٦٣	منهاج الواصلين		١
٦٥	نسمات القرب	١		٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء		١
٧٧	شراب أهل الوصل	١		٨٣	مقامات المقربين		١
٩٨	آداب المحبين لله	١		١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء		١
السلسة رقم ١٢ : الفتاوى: ٧				٢٤	فتاوى جامعة للشباب		١
٧٦	فتاوى فورية ج١	١		٨٠	فتاوى فورية ج٢		١
٨٤	فتاوى فورية ج٣	١		٨٦	فتاوى فورية ج٤		١
١٠١	يسألونك	١		١٢٧	القول السديد		١
السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٤				٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب		٢
٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١		٩٩	إشارات العارفين		١
١١١	بينات الصدور						
السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣				٨١	سؤالات غير المسلمين		١
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١		٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين		١
السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥				٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق		٢
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣		٦٢	بشريات المؤمن فى الآخرة		١
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١		١١٠	الدعاء المستجاب		١
سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزى محمد أبوزيد: ١٢				٥٧	تحفة المحبين ومنحة المسترشدين في فضائل عاشوراء للقاوقجى		١
١١٣	ورد الإستغفار اليومى أو استغفار أيام الإسبوع للإمام الحسن البصرى	٢		١١٥	أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق للعارف بالله الشيخ محمد على سلامة		٢
١١٦	الجواب الشافى على أسئلة الحكيم الترمذى فى كتابه ختم الأولياء للشيخ محمد على سلامه	٢		١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه		٢
١١٨	التوحيد فى القرآن والسنة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه	٢		١١٩	علامات وقوع الساعة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه		٣
١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه	٢		١٢١	شعب الإيمان للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه		٢
١٢٢	قطرات من بحار المعرفة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه	٢		١٢٣	عبادة المؤمن اليومية للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه		٤
١٢٤	من منابع الدين الحنيف للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه	٢	٢				

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
المكتبة الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
مكتبة سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أ تامر أمام مستشفى الحسين
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
الإسـكندرية		
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر

مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
الأقـاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – تقاطع آخر ش الحلو مع الإستاد الشرقى بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابى، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	الحاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس وأ/ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام و الأخبار والجمهورية والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أوعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة، ويمكن أيضا طلبها أون لاين من متاجر شبكة المعلومات (الإنترنت) طبقا للمتاح فى الوقت والمكان.

الـ فـ هـ رس ـت

المقدمة	٣
المجلس الأول: خطة المسلم للآخرة	٥
المجلس الثاني: معرفة الله ﷻ	١٥
وسائل المعرفة ١٧ — الطريق إلى المعرفة	٣٠
الحاجة إلى الجهاد ٢٣ — تعاريف التصوف	٣٢
حجج المحجوبين ٢٥ — وسائل التصفية	٣٣
بغية المؤمنين العظمى ٢٦ — ذكر الله	٣٦
أول فريضة فرضها الله ٢٩ — أوصاف العبودية	٣٩
المجلس الثالث: الذوق	٤١
الحياة الطيبة الراقية ٤٣ — عالم الإشارات	٤٥
درجات القرب من الله ٤٤ — أهل خشية الله	٤٧
المجلس الرابع: منهج الداعي إلى الله	٥٠
المجلس الخامس: جهاد النفس	٦١
المجلس السادس: شروط الشيخ المربي	٦٩
حياة القلب	٧٤
المجلس السابع: المنهج الصحيح للمريد والسالك	٧٦
آداب الدخول على المرشد ٨٢ — الغاية من صحبة الشيخ	٨٧
حُجُب المريد ٨٤ — وظيفة العارفين	٨٨
المجلس الثامن: صفات السالك الصادق	٩٠
سلوكيات الصادقين ٩٢ — عفة المريد	٩٤
المجلس التاسع: طلب المغفرة وتطهير القلب	٩٧
المجلس العاشر: القرآن الكريم والسنة	١٠٥
كيفية اتبَّاع السُنَّة	١١٠
المجلس الحادي عشر: تصفية القلب	١٢٠
الخلوة	١٢١

المجلس الثاني عشر: الإعتكاف وقت الوباء	١٢٣

المجلس الثالث عشر: المحبون والمحبوبون			١٢٦
أحوال المحبوبين	١٢٧	الصِدِّيق	١٢٩
الخلوة قديماً وحديثاً	١٢٨	صفاء عمر	١٢٩
مواهب المحبوبين العلية	١٢٩	جلاء عثمان	١٣٠

المجلس الرابع عشر: فتح عين البصيرة			١٣١
إخلاص النية	١٣٣	الاقتداء بالنبي	١٣٥
التخلص من موانع الحجب الإلهية	١٣٣	التشبه بأخلاق النبى	١٣٥
الخلاص بالإخلاص	١٣٤	الإلهام	١٣٦

المجلس الخامس عشر: التحلي بالتخلي			١٣٧
التخلى عن رذائل النفس	١٣٨	أذكار الأبرار	١٣٩
التحلى بالجمال المحمدي	١٣٩	كمال التشبه بالنبي في أوصافه المعنوية	١٤٠
الأوصاف الإلهية	١٣٩	العبودية	١٤١

المجلس السادس عشر :جهاد الهوى			١٤٣
إشارات العبد مع موسى	١٤٥	العزة الإيمانية	١٤٨
مقام القليل	١٤٦	جهاد الهوى	١٤٨
كياسة المؤمن	١٤٧		

المجلس السابع عشر: عبادة المقربين			١٥٠
دوام العمل	١٥١	عيد أهل مقام الإحسان	١٥٤
عيد أهل المغفرة	١٥٣		

المجلس الثامن عشر: الصيام وأهل المقامات العلية			١٥٥
فضل الله على المسلمين	١٥٦	أهل مقام الإيقان	١٥٧
أهل الإحسان	١٥٦	دوام مصاحبة الصالحين والصادقين	١٥٨

المجلس التاسع عشر: أنواع الأوراد			١٥٩
أوراد المبتدئين،الأوراد الخاصة	١٦١	حال أهل الفتح	١٨٢
أوراد الفيس بوك	١٦٥	المقامات العلية	١٨٤
خاصَّة الخاصَّة	١٦٥	فناء الصحب الكرام	١٨٥
مقام الصديقية	١٦٥	تسبيح الكائنات	١٨٥
ثمار الورع عن الحرام	١٦٨	درجات أهل الفناء	١٨٦

ملاحظة النبى للصِدِّيق	١٧٠	أوراد خاصة الخاصة	١٨٨
توجيه الله تعالى للصِدِّيق	١٧٠	مقام لا حول ولا قوة إلا بالله	١٨٩
مكانة أبى بكر	١٧٨		

المجلس العشرون: يقين ابى بكر الصديق			١٩٠
علامات الايقان عند الصدِّيق	١٩١	علمه بالله	١٩٥
مقام التجريد	١٩٤	تواضعه وهضمه لنفسه	١٩٧

المجلس الحادي والعشرون: إمام أهل الجذب عمر بن الخطاب			١٩٨
حال الجذب	١٩٩	مقام المحادثة	٢٠٦
دوره فى إظهاره الدعوة	٢٠٠	براءة موسى كليم الله	٢٠٦
هجرته	٢٠١	خطابه للحجر الأسعد	٢٠٧
جمالات أهل الفناء	٢٠٢	كتابه لنيل مصر	٢٠٧
مقام الإلهام	٢٠٣	نداؤه سارية الجبل	٢٠٨
نزول القرآن على رأيه	٢٠٤	زلزال المدينة	٢٠٨
حفظه من الشيطان	٢٠٥		

المجلس الثاني والعشرون: استحضار مشاهد الحج			٢١٠
أنواع الحج	٢١١	حج الخاصة	٢١٥
الحج العام	٢١١	بين الرؤيا والحلم	٢١٥
مشاهد الآخرة	٢١٢		

المجلس الثالث والعشرون: حج أهل خاصة الخاصة	٢١٨
البيت العتيق	٢٢٣

المجلس الرابع والعشرون : طريق معرفة الله			٢٢٥
الولاية والكرامات	٢٢٨	صفات الولى	٢٢٩
الفناء	٢٢٩	ترك التدبير	٢٣٠

نبذة عن الشيخ المؤلف	٢٣٢	الفهرست	٢٣٨
قائمة مؤلفات الشيخ	٢٣٤	تحت الطبع	٢٤٠
قائمة المكتبات ودور النشر	٢٣٦		

تحت الطبع:

١- إجابة العارفين ٢- عبر من حياة الصالحين

٣- تفسير آيات النور فى القرآن ٤- أوصاف الرسول ﷺ فى القرآن